معجم
ألفاظ الصوفية

دكتور
حسن الشرقاوي

المطبعة الثانية

مؤسسة
مختار

معجم
ألفاظ الصوفية

معجم ألفاظ الصوفية

دكتور
حسن الشرقاوي



الطبعة الأولى ١٩٨٧

الطبعة الثانية ١٩٩٢

الناشـــر : مؤسسة مختار (دار عالم المعرفه) لنشر وتوزيع الكتاب

الاداره والتوزيع : ٢٧ شارع الطيران مدينة نصر ــ القاهرة

تليفــون : ٦٠٣١٧٨

إهداء :

إلى العارفين بالله أهل الحق ،
أولياء الله ، رجال الليل الذين
ينيرون طريق الله بالإخلاص
والصدق والطاعة ،

د . حسن الشرقاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

لكل علم مصطلحات يعرف بها ويتعارف أصحاب هذا العلم بعضهم مع بعض من خلالها ، فمثلا لعلم الحساب مصطلحات وتعبيرات اصطلح عليها أصحابها يتفاهمون بها ، ويصعب على أى دخيل عليهم أن يفهم رموزهم ومصطلحاتهم ، كما أن لعلم الطب أيضا إشارات ومصطلحات ورموز لا يمكن لغير الأطباء معرفتها إلا عن طريق الدراسة والتحصيل ، وهذا أيضا ما نجده عند الكيمائيين والمهندسين وأصحاب المهن والحرف والفنون ، وتعتبر هذه المصطلحات والرموز من الأسرار التى لا تعطى لغير أهلها خوفا من دخول الغرباء الى المهنة ، ومن ثم انتشار المستفيدين والمتطفلين بما يؤثر على كرامة ومستوى التعامل فيها .

لذلك فإن الصوفية لم يفعلوا شيئا غريبا عندما استنوا لأنفسهم منهجا ونظاما وألفاظا لا يفهمها غير أهل الحقيقة وتكون للغريب غير معلومة مهما بذل من الجهد والدراسة لتحصيلها .

والاختلاف الوحيد بين ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم وبين ألفاظ ومصطلحات أصحاب العلوم الأخرى ، هى أن هذه الألفاظ لا تعرف عن طريق منطق العقل والنظر بقدر ما تفهم عن طريق الذوق والكشف ، ولا يتأتى ذلك إلا لسالك يداوم على مخالفة الأهواء ، وتجنب الآثام ، والبعد عن الشهوات ، وإخلاص العبادات ، والسير فى طريق الله بالرياضات والمجاهدات فى الطاعات حتى تتكشف لهذا المريد الصادق غوامضها ، وتتجلى له معانيها ، فيتحلى بها كالجواهر الفريدة لا ينازعه فى فهمها إلا من وصل إلى درجته أو جاوزها من أقرانه وأساتذته فى الطريق ، كما أن من يتعرف على غوامضها إنما هو الذى أفاض الله عليه من معانيها وفتوحاتها ، وهنا نعرض بعض هذه الألفاظ وقد قمنا بشرحها على قدر علمنا بها مستهدفين اطلاع القارىء على مفاهيمها وشرح ما تيسر لنا معرفته من معانيها حتى يستفيد الباحثون بها ويستنير بضوئها طلبة العلم والدارسون .

ومثل هذه الألفاظ ما أورده السيوطى[١] من أن حقيقة التوبة ، تميز الثقة من العزة ، ولسان الجنابة والتوبة من التوبة ، فإذا سمع الفقيه ـ على حد قوله ـ التوبة من التوبة ، قال كيف يتاب من التوبة وهى عمل صالح ؟ ، وإنما يتاب المرء من المعاصى ، حقيقة المعنى الصوفى لهذه التوبة أن العبد لا يلتفت بعد توبته إلى أعماله ولا يكن إليها ، ويرى القشيرى[٢] « أن توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة » .

وقد حكى عن داوود الطائى (ت ١٦٥ هـ) أن أحد الدراويش رآه مرة مبتسما فقال له : يا أبا سليمان : من أين لك هذا الانشراح ؟ . . . فقال داود : أعطونى الصباح شرابا يقال له شراب الأنس ، فاليوم يوم عيد أسلمت نفسى للابتهاج فيه .[٣]

وروى عن النبى ـ ﷺ ـ قوله لأبى بكر « أتدرى يا أبا بكر يوم يوم ؟ » . . . فقال : « نعم لقد سألتنى عن المقادير ، وروى عنه أنه قال لأبى بكر : أتدرى ما أريد أن أقول ؟ . . . قال : نعم هو ذاك .

ويرى صاحب الرسالة القشيرية[٤] « أن العلماء يستخدمون فى الفروع المختلفة للعلم تعبيرات أو اصلاحات أو ألفاظا يستخدمونها فيما بينهم كما نجد ذلك فى الكيمياء والرياضيات والجبر والاقتصاد ، وتنفرد كل طائفة متخصصة بها عمن سواها ، ويقصدون بهذه الألفاظ تقريب الفهم على المخاطبين بها ، وتسهيله على أهل الصنعة » .

كذلك فإن لأهل الباطن ألفاظا تستخدم فيما بينهم ، وذلك الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، علاوة على الاجمال والستر على من باينهم فى طريقتهم .

وكلما اعتلى الصوفى مقاما توسعت إدراكاته وتفهم الأشياء بطريقة أشمل وأعم حتى أن تصرفاته لتبدو للشخص العادى على أنها شاذة وغريبة عما هو مألوف لنا جميعا وعما اعتدنا عليه ، وربما ننسب ذلك إلى الهذيان والجنون .

---

(١) السيوطى - تأييد الحقيقة العلمية ص : ٢١

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص ٥٦ .

(٣) نيكلسون - فى التصوف الإسلامى وتاريخه - وترجمة د . أبو العلا عفيفى

(٤) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص ٥٦

كما أنه إذا دخل شخص عادى [١] أحد مجال الصوفية ، فيصعب عليه فهم ألفاظهم وإشاراتهم ، أما إذا دخل صوفى مجلسا من مجالسهم فإنه يندمج بينهم ويتفهم أقوالهم وكأنه يعرفهم من زمن بعيد ، ويعتبر هذا بالنسبة له جوا عاديا وطبيعيا ومألوفا [٢] وهذا يعنى أن التصوف تجربة ذوقية وليس علما يدرس .

ويرى صاحب الرسالة القشيرية [٣] أن من يتأمل ألفاظ الصوفية ويتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتهم ما يثق - بتأمله - بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو ، ولم يعرجوا فى الطلب عن تقصير ويقول الدكتور عبدالحليم محمود فى تفسير الرسالة القشيرية : « إن إشارات الصوفية وألفاظهم ليست غريبة - إذن - إلا على الذين لم يخوضوا التجربة ، ولم يتذوقوا حلاوة الطريق » . . . ويقول أيضا فى تقديمه لكتاب التعرف « التصوف تجربة روحية وليست للمادة شأن بالروح فليس للعلم الحديث إذن شأن بالتصوف » ، وقد قالوا قديما : « من ذاق عرف ، ومن لم يذق لا يعرف » إن الذين يعرفوا طعم الوجد والشوق الصوفى لا يعرفون ماهية الوجد والشوق الحقيقى [٤] .

ومثل عدم فهم ألفاظ الصوفية كمثل سائح يريد السفر إلى الحجاز - والمعروف أن بعض الحجاج يسافرون بحرا وبرا وبعضهم يسافرون جوا ، فإذا اختار هذا السائح الحاج طريقة غير مألوفة ، كأن يركب سبعا أو نمرا فهل نشجعه ؟ . . . أعتقد لا . بل سننكر عليه ذلك وسنمعن فى الانكار . . . ولكن هل ركوب السبع أو النمر سيمنع الحاج من إتمام الحج ؟ . . . أو يقال أنه لم يحج لأن أحدا لم يره مسافرا لأنه لم يستخدم الوسائل المعروفة كالطائرة أو الباخرة أو السير على الأقدام . . .

إن هذه الحجة يصدقها فقط من سبق له أن ركب سبعا أو نمرا أما بقية أو أغلب الناس لا يصدقونها لأنها وسيلة غير معروفة ، والناس على عوائدهم . كما أنها تعتبر فى لغة الصوفية خرقا للعادة أو هى كما يقول العامة كرامة .

وإننا استخدمنا فى شرح هذه القصة التفسير الظاهرى ، ربما أدى ذلك من

---

(١) أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص٨٨ .
(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٥ .
(٣) المرجع السابق
(٤) بكر عبد الله العيدروس - القطب الكبير الرفاعى ص٨ - ٢٠ .

القارىء أو السامع إلى الانكار على من ينطق بها ، ولذلك فإننا نجد فى هذه القصة ومثيلاتها عند السادة الصوفية طريقة أخرى للتعبير إذ أنهم يلجأون الى الإشارات والألفاظ التى لها معان خاصة للتستر على غيرهم من الأجانب فلا يفهمون منها شيئا . . .

ولقد شرح القشيرى [١] فى رسالته كثيرا ، من ألفاظ الصوفية وذلك لتسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سننهم كما أورد صاحب التعرف [٢] وأبوحامد الغزالى فى الاحياء هذه الألفاظ وتناولوا بالشرح والتحليل أقوال شيوخ الطرق .

ولقد بين الشعرانى [٣] أن ألفاظ الصوفية تختلف عن ألفاظ العلوم المختلفة ومصطلحاتها ، بمعنى أن المريد الصادق إذا دخل مجلسا من مجالس الصوفية وليس عنده أى فكرة عما يتكلمون به من الإشارات فإنه يفهم جميع ما يتكلمون به حتى كأنه واضع تلك الاصطلاحات والإشارات ويمكنه أن يشاركهم فى الخوض فى علومهم .

أما المريد الكاذب فلا يعرف ذلك إلا بتوقيف ، ولا يسمح له قبل إخلاصه فى الإرادة ، وهذا الحال أيضا مع علماء الظاهر الذين يعجزون عن فهم كلام الصوفية ، ويتمثل الشعرانى فى قصة حضور الإمام أحمد بن سريج ـ وكان من أكابر فقهاء عصره ـ يوما مجلسا للجنيد فقيل له « أفهمت كلامه ؟ فقال ولا أدرى ما يقوله ، ولكن لكلامه فى القلب ظاهرة تدل على الباطن ، وإخلاص الضمير وليس كلامه كلاما مبطلا » .

ويرى الشعرانى أن الإنكار الإشارة فى أهل الباطن ، ناتج من الحسد فلو أن المنكر ترك الحسد وسلك طريق أهل الله لم يظهر له إنكار لكلامهم ولاازداد علما الى علمه .

وروى عن الشيخ يعقوب الكراز ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « كنا ذات سنة مع السيد أحمد الرفاعى فى طلب الحج ، فلما وصلنا عرفات وصعدنا ، إذا

---

(١) الامام القشيرى - الرسالة جـ١ ص ٢٥

(٢) أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٨.

(٣) الامام الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ ص٣ - ١١

بستة أنفار قادمين من جهة الشام ، خمسة منهم لابسين الثياب الخضر ، وواحد منهم لباسه أبيض ، فتقيد الرفاعى بهم وباثنين منهم خاصة ، فسألت عنهم الرفاعى ، فقال لى : أذهب فاسأل عنهم ، فذهبت فأجابنى لابس البياض : أنا الخضر وهؤلاء الخمسة سيد المرسلين وأبوبكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم ، فلما سمعت ذلك رجعت وأعلمت سيدى الرفاعى بهم . . . الخ . .

ويذكر لنا الغزالى فى إحياء علوم الدين أن الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجمهور ، ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع ، ويقسم الصنائع الى ضربين ، علمية ، وعملية . والعملية عنده كالمهن والحرف ولأهل كل صنعة منهم ألفاظ يتعرفون بها على أصول صناعتهم ، والعلمية هى العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها ، لا يشاركهم فيها غيرهم ، إما فى صورة اللفظ دون المعنى أو فى المعنى وصورة اللفظ جميعا .

ويبين أن للصوفية ألفاظهم التى اختصوا بها ، ويشرح بعضها ، منها السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والأدب والرياضة والتجلى والتخلى والتحلى والعلة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة واللوائح والتلوين - والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والرسم والبسط والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحلم والزوائد والإراد والمريد والمراد والغربة والسكر والاصطلاح والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد .

وقد سأل أحد المتكلمين أبا العباس بن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية قد شتققتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين ، وخرجتم عن اللسان المعتاد هل هذا إلا طلب التمويه ، أو ستر لعوار المذهب [١] ؟ . فقال : ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا ثم اندفع يقول :

إن أهل العبارة سألونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضا تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتشهدنا سرورا له فى كل جارحة إشارة
نرى الأقوال فى الأحوال أسرى كأسر العارفين ذوى الخسارة

---

(١) الامام ابو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص . ٨٩ تحقيق د . عبد الحليم محمود

ويوضح لنا الشعرانى فى اليواقيت والجواهر [١] السبب الذى من أجله استخدم الصوفية إشاراتهم فيقول : إن الفقية إذا لم يوفق يقال أنه أخطأ ، أما الصوفى فإنه عندما لا يوفق يقال أنه كفر ، لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم .

أما القشيرى [٢] فيدافع عن أهل الحق ويناصرهم عندما يجهر بالقول « نعم ما فعل القوم من الرموز ، فإنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن يظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيفتنوا أنفسهم أو يفتنوا غيرهم .

ونضرب مثلا لبعض الإشارات المتعارف عليها بين أهل الحق ومعناها الظاهر :

	المعنى اللغوى	المعنى الصوفى
الصمت :	ترك الكلام بغير ذكر الله	صمت الضمير عن جميع التفاصيل [٣]
السهر :	عدم النوم	عدم الغفلة
العزلة :	جوع الأبرار لكمال السلوك	جوع المقربين لموارد الانس ، فالانس يجعل المريد متغيبا فتتوقف إدراكاته الحسية وهذا من رحمة الله وإلا فقد عقله

والفرق بين المعنيين ، فرق بين السلوك والنية ، فالسلوك الظاهرى للمريد إذا ظهر للعامة حسب مفاهيمهم فى الحكومة المدنية أنه فعل شاذ غير مألوف يستوجب عقابا أو استنكارا أو احتقارا ، فربما اختلف الحكم حسب السلوك الباطنى ذلك أن المريد فعل ما فعل بنية طيبة قاصدا وجه الله وأن نيته انعقدت على السير فى طريق الله ، لأنه كان فى ذكره ما ضيا ، يدفعه الحب ويحركه الشوق ويفيض به الوجد ، وفقد إدراكاته الحسية الزائفة ، واتزان شخصيته المصطنع وعادات مجتمعه وتقاليده الزائفة ، ولم يهتم بآراء وأفكار الآخرين وإنما أراد مرضاة ربه عسى أن يظله برحمته وأن يمن عليه بكرمه ويكتبه مع الذاكرين . .

---

(١) الامام الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ ص : ١٩ .

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ٢ ص : ١٨٧ وما بعدها .

(٣) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ٢ ص : ٢٩٩ - ٣٠٥ تحقيق د . عبد الحليم محمود .

الحق أنه لبون شاسع يبين ما يراه أهل الحق وأهل الظاهر . . فيما يحكم به على الأقوال والأفعال . . . ولكن يتبادر إلى ذهننا سؤال ، هل هناك اختلاف بين أهل الباطن والظاهر فى أحكام الشريعة الإسلامية ؟ . . فى الواقع لا . . . . فالصوفية يرون أنه لا حقيقة بلا شريعة ، وكان الرفاعى لا يقبل مريدا فى طريقته إذا لم يكن عارفا بعلوم الشريعة وأن جميع مشايخ الطرق يحددون أياما فى مجالسهم لعلم الفقه وتدريس العلوم الشرعية .

إذن فمن أين جاء هذا التباين فى الأحكام . . . وفى الرأى ؟ . . .

وهل هذا مفيد للمسلمين . . . . . .

فى الواقع أن الفرائض معروفة ، والتكاليف محددة ، والكبائر والصغائر معلومة ، والنواهى والأوامر مقررة ، فمن خالف أحكام الشريعة فهو منافق ، أو مشرك ، أو زنديق ، وعلى ذلك فالقصاص واجب على المخالف فى الدنيا والآخرة . . .

إذن فمن أين جاء الخلاف . . ؟ . . .

الحقيقة أنه لاخلاف بين أهل الحق وأهل الظاهر . . . وإنما الاختلاف ناتج عن درجات المعرفة . . . درجات العلم . . . فكل خلق لما يسر له ، فعلى قدر علمى وعملى يكون اجتهادى ، لذلك تتباين درجات الحكم على الأفعال ، والأعمال ، وتختلف باختلاف العلماء والحكماء والفقهاء .

فالعلم الحق كما يراه الحكيم الترمذى هو الذى جاء به القرآن الكريم والسنة المحمدية من أمر بمعروف ونهى عن منكر ، من حلال وحرام ، إلا أن تطبيق الشريعة يقتضى العلم ، وكلما ازداد العالم تفقها ازداد علما ، وكلما ازداد علما ازداد صدقا ، وكلما ازداد صدقا ازداد طاعة ، فيكون ظاهره كباطنه ، شريعته كحقيقته فما يهديه إليه النظر من علم يتوافق حتما مع ما يفيض الله عليه من عرفان ، وهنا انتقال من النظر إلى الذوق ، ومن البصر الى البصيرة ، ومن العلم الى المعرفة ، فلا تعارض ولا تناقض وإنما فهم أوسع ، وفكر أشمل ، ورأى أصوب ، وطريق أكمل ، فإذا صح اجتهاد العقل فى زمان ، فإن اجتهاد الذوق يصلح فى كل زمان ومكان ، لأن الذوق الصوفى إنما صادر عن مطابقة للكمالات الأخلاقية ، فالسلم الى الوحى يبدأ بمنطق العقل تأييدا لقوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين

لا يعلمون »[١] وقوله تعالى « قل هل يستوى الأعمى والبصير » وقوله تعالى « هل تستوى الظلمات والنور »[٢]

فإذا فرق العقل بين ما هو علم وبين ما هو جهالة فقد تقدم فى طريق الخير وبعد طريق الشر ، واهتدى إلى النور وتجنب الظلمة ، ثم أنه إذا عاش العقل فى سرمدية النور وفى كمال العلم وتخلص من الآفات والعيوب وحظوظ النفس وغلبة الهوى بعد بذل ومجاهدة . ومعاناة ومكابدة ، وتكلف وتخلية من الأوصاف المذمومة وتحلية بالأوصاف المحمودة ، اعتاد على الحق وطبع فى عقله وقلبه نورانية الصدق فسار فى طريق الإخلاص ، وبقى فى بيت الطاعة ، فترقى وارتقى منازل الصالحين ودخل مع أهل الله المخلصين ، خالف نفسه الأمارة ، ولام نفسه اللوامة ، فألهم بالحق والصدق ، ومازال مجاهدا نفسه ، صابرا على اختبار ربه ، راضيا بابتلاء الله ، حتى يمن الله عليه بالنعمة الكبرى والمنحة العظمى ، فتطمئن نفسه وترضى بالله ومن الله وفى الله ، فيكون مع أصحاب « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وهم الحامدون الشاكرون السابحون والراكعون الساجدون ، فيكشف الله لهم بعض مغيباته ، ويشهدهم شيئا من تجلياته ويذوقوا من لدنه علما ، فيزدادوا تحققا ويقينا ، وترسخا وعرفانا .

هؤلاء هم الصوفية فى أصدق أحوالهم ، وأكمل مقاماتهم وأرفع منازلهم ينشدون الحق باذلين النفس والدم فى سبيله . طالبين الحقيقة فى شجاعة القلب الجسور وتواضع العقل الحكيم ، لا يوقفهم طاعن ، ولا يديرهم حاقد، ولا يغويهم هوى ، ولا يجذبهم مدح ولا ثناء فطريقهم تربية وأخلاق ، وأهتمامهم إنما بالسلوك والعمل وإيمانهم بالله لحياتهم وآخرتهم ، هذا النور الذى يضىء طريق الخائفين ، والقدوة الحسنة للملهوفين والضائعين ، والباب الأرحب للتائبين والنادمين ، والأمل المنير للخاطئين والآثمين ، والأمن المقيم لكل قلب فى الدنيا والدين .

هؤلاء هم الصوفية على الحقيقة ، والعجيب أننا نرى أصحاب الدنيا والمتمنطقين ، ورجال الجهالات المتعظمين ، واخوان السوء والفاسقين ، وأصدقاء اللغو واللهو أنصاف المخمورين ، يتطاولون على الصوفية بألفاظ نابية ويتهمونهم بأكاذيب مغرضة ، قاصدين هدم الدين فى قمته متجسسين ومتلصصين ليأكلوا زورا

---

(١) الزمر ٩ (٢) الرعد ١٦

وبهتانا ، ويرفعوا رايات الحرب غلا وحقدا ، ولو تفكروا فى طريق الصوفية لعرفوا أنه الحق ، ولو ذاقوا ما ذاقه السالكون لألهموا اليقين :

لكن النفس أمارة بالسوء ، « وخلق الإنسان ضعيفا » ثم « قست قلوبكم من بعد ذلك »[١] و « ختم الله على قلوبهم »[٢] « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوءهم »[٣] « فذكر إنما أنت مذكر »[٤] « ومن أعرض من ذكرى فإن له معيشة ضنكا »[٥] « إنما يتذكر أولوا الألباب »[٦] « وما يعقلها إلا العالمون »[٧] « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »[٨] « أفلا تعقلون »[٩] ، « فليعلمن الله الذين صبروا وليعلمن الكاذبين »[١٠]

ويدعى هؤلاء الطاعنون أن كلمة التصوف لم يأت بها القرآن ، ولم تأت على لسان الرسول ﷺ لذلك فقد ادعوا أن التصوف بدعة ، وأن السالكين لطريق الله خارجون عن الدين .

ورغم أن منطقهم متهافت ضعيف « ورأيهم لا سند له من الحكمة والتعقل فإن لهم أشياعا من القاصرين وأصحاب المخالفة والمقلدين يسيرون فى كل موكب ويهتفون لكل ناعق .

حقا إن علم التصوف لم يرد لفظه فى القرآن كما أن علم الحديث لم يرد لفظه فى القرآن ، أيحق لنا والحال هذه القول مثلا إن علم الحديث بدعة ؟ . . . وكذلك فإن علم الفقه لم يرد فى القرآن ولم يأمر به فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن لحاجة المسلمين إليه رتبت مسائله ووضعت قواعده واستقر نبعه من القرآن الكريم والسنة المحمدية ، ولكن أيحق لنا لأن القرآن لم يرد نص فيه يحدد علم الفقه ، ولم يأمر الرسول به ، أن نقول إنه بدعة ؟ . . . وكذلك الحال مع كثير من العلوم الشرعية التى احتاج إليها المسلمون فيما بعد ليعرف المسلم حقوقه وواجباته داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فقد كان من الضرورى بعد الفتوحات الإسلامية ، دخول عناصر شتى من أجناس مختلفة فى الإسلام ، وترتيب علم الحديث ، وتنظيم

---

(١) البقرة : ٧٤
(٢) البقرة : ٧
(٣) محمد ١٦
(٤) الغاشية : ٢١
(٥) طه : ١٢٤
(٦) الرعد : ١٩
(٧) العنكبوت : ٤٣
(٨) الاسراء : ٣٦
(٩) البقرة : ٤٤
(١٠) العنكبوت : ٣

مسائله ، وجمع الأحاديث من الثقات ، وتدوين أقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الصحابة والتابعين ، وكان من الضرورى تنسيق أبواب الفقه الإسلامى فى الأحكام والمعاملات والعبادات ليعرف كل مسلم حقوقه وواجباته الشرعية ، وليؤدى ما عليه من فرائض وتكاليف ، ويسير على هدى القدوة الطيبة ويتجنب الوقوع فى الضلالات .

والأمر كذلك فى علم الصوفية ، فكما أن هناك فقها للفروع فان التصوف فقه للأصول ، وكما أن هذا الفقه فقه للجوارح فان التصوف فقه للقلوب ، ولا يمكن أن تكتمل الأصول الا بالفروع ، كما لا يمكن أن تكتمل الفروع الا بالأصول ، لذلك كانت حاجة المسلمين ماسة بعد القرن الثانى من الهجرة لهذا العلم ، وكان لابد أن يجتمع هؤلاء الزهاد والعباد ليرتبوا هذا العلم ويدونوه ، وذلك محافظة على التراث الاسلامى ، واتباعا للنور والهداية المحمدية ليعرف المسلم طريقه الى الله ، وليزداد المؤمن ايمانا ، ويستهدى بالأئمة من الصحابة التابعين طريقه فى الحياة والسلوك العملى ، ويحارب آفات نفسه ، ليظفر بما ظفروا ، وليكتشف ما كوشفوا به من أحوال ومنح وعطايا ، كما ورد فى قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا » (١) وقوله تعالى : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة » (٢) .

ومن ناحية أخرى اذا كان هناك علم للحديث يختص به أصحاب الحديث والرواة ، وكذلك علم للفقه يختص به العلماء والفقهاء ، وعلم الكلام يختص به علماء الكلام ، وعلم للتصوف يختص به الصوفية ، فإننا لا يمكننا أن نقول أن أصحاب الحديث لهم الحق فى الطعن فى آراء الفقهاء ، كما أن الفقهاء ليس لهم الحق فى الطعن فى أصحاب الحديث ، لأن كل مختص بعلمه متحقق فيه ، وكذلك الامر بالنسبة لعلماء الكلام فلا يجادل فيه الا صاحبه أو من كان من أصحابه ولا يحق للفقهاء الطعن والمجادلة فى مسائل الفقه لأنهم غير متخصصين فيها وغير ملمين بها .

كذلك الأمر بالنسبة للصوفية فلا يطعن فى فقه القلوب أو علوم الحقيقة إلا من وصل إلى مرتبة الصوفية ، ولا يقدح فى علومهم إلا من أوتى درجتهم فى العلم ، وهذا هو الأساس الذى يجب أن يحظى به الطاعنون قبل خوضهم فيه .

أما الصوفية فقد جمع الله لبعضهم من هذه العلوم ووصلوا إلى مقام العرفانية

---

(١) البقرة : ٢٥ . (٢) يونس : ٦٤ .

متدرجين فى العلوم الشرعية والنقلية إلى العلوم الالهامية والقلبية ، أى من طريق النظر والعقل ، إلى طريق الذوق والقلب ، فحصلوا علومهم وارتقوا فى سلم الحقيقة حتى وصلوا إلى منتهى غاية الواصلين .

ونجد ائمة الصوفية عبر الأزمنة المتطاولة يدرسون علوم الحـديث والفقه للعامة ، كما يعقدون للخاصة مجالس وحضرات للأذواق وفقه القلوب والذكر ، كما نجد ذلك عند بعض الأئمة كالجيلانى ، والرفاعى ، وأحمد البدوى ، وأبوالحسن الشاذلى ، وأبوالعباس المرسى ، وعبدالرحيم القنائى ، وابراهيم الدسوقى ، ـ رضى الله عنهم ـ واستمر ذلك إلى وقتنا هذا .

لذلك فإن الذين يسيرون على طريق الله ، إنما يلهمون إلهاما بعلوم قلبية يقتضى دراستها وتحصيلها أزمنة متطاولة ، مثل مؤلفات الإمام الغزالى ، والشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى ، والحكيم الترمذى ، وأبوطالب المكى ، والجيلانى وأبونعيم الأصفهانى ، والسراج الطوسى والإمام القشيرى ، والكلاباذى ، وغيرهم كثير رضى الله عنهم أجمعين .

لذلك وجب على الطاعنين قبل أن يخوضوا فى هجومهم على أهل الله ، أن يقرأوا كثيرا ، ويفهموا كثيرا ، ويتذوقا أكثر ، وأن يتقوا الله ، ولا يطعنوا إلا فى أصحاب الشرك والضلالة والإلحاد ، لا أن يحاربوا الذين يقولون لا إله إلا الله .

فلنقرأ معا هذه الألفاظ النورانية والتى جاءت معظمها فى ثنايا القرآن الكريم وأيدها الله قولا ومعنى ، والتى هى تعبير حقيقى عن مصطلحاتهم وإشاراتهم وأخلاقهم وآدابهم ، ولنحاول لتفهمها أن نصدق مع أنفسنا ، ونطبقها فى سلوكنا مع الآخرين ، فإنها وجبات كاملة للقلوب الجائعة للحق ، وجواهر لامعة للفقراء من أهل الصدق ومنارات هادية للذين يصارعون أمواج الدنيا المتقلبة وأسلوب لفهم الحياة بمنظار الكشف على طريق الإخلاص .

وفقنا الله وأعاننا على أنفسنا ، وأيدنا برحمة من لدنه وعلما ، حتى نسير فى طريقه ، غير آملين فى سواه ، ولا راجين غيره ، ليظلنا برعايته ، ويتولانا بعنايته ويؤثرنا بصحبته ، إنه الله لا إله إلا هو ، وكفى بالله وكيلا ،

د . حسن الشرقاوى

حرف الهمزة

أ

●●● الابتلاء ●●●

يعبر لغويا عن البلاء والابتلاء بمعنى الامتحان والاختبار (١) ، ويكون إما بالخير ، وإما بالشر ، والنعمة والنقمة ، ويرى الصوفية أن الابتلاء هو امتحان واختبار من الله تعالى لعبده الصادق ليتعرف تعالى على مدى صدقه واخلاصه فى محبته له .

والإبتلاء بهذا المعنى فى قوله تعالى ، « أنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » (٢) وقوله تعالى بمعنى الاختبار « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم » (٣) ، وكذلك الآية الكريمة « وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم » (٤) ، كما أن الابتلاء تعنى البلاء الحسن ، أى النصر من عند الله تعالى ، فالله يختبر عبده المخلص ليظهر كيف يكون حاله بعد البلاء ، وذلك فى قوله تعالى : « وليبلى المؤمنين منهم بلاء حسنا » (٥) ، وكما فى قوله تعالى أيضا : « هناك ابتلى المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديدا » (٦) .

وهذا البلاء أيضا يعنى اختبار الله تعالى للمؤمنين ، حتى يظهر صدقهم واخلاصهم وتوكلهم على الله فى كل الأمور ، كما جاء فى الآية الكريمة « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (٧) .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم حـ١ ص ١٢٥ (التراث للجميع) المجمع اللغوى

(١) القلم ١٧ — (٣) النساء ٦

(٤) آل عمران ١٥٤ — (٥) الأنفال ١٧

(٦) الاحزاب ١١ — (٧) البقرة ٤٩ .

أما الابتلاء بمعنى النعمة والمنة الإلهية والعطايا الربانية فإنما هى مذكورة فى الآية الكريمة فى قوله تعالى : « إنا خلقنا الأنسان من نطفة أمشاج نبتليه [١] وقوله عز من قائل « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعم فيقول ربى أكرمن » [٢] .

فالابتلاء هو نوع من التجارب التى يمر بها السالك إلى الله ، سواء كان خيرا أو شرا ، نعمة أو نقمة ، يمتحن بها الله عباده ، وينعم عليهم ، وأن أكثر الخلق وأعظمهم إبتلاء هم الأنبياء .

وأن الرسول محمد ﷺ أكثر الانبياء بلاء من الله ، وتاييدا لذلك قول الرسول ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أشد بلاء » .

ويجوز أن يكون البلاء من الله ما لا يغدق على أحدهم ، كما يجوز أن يكون نقصا فى المال أو الولد ، أو جوعا وخوفا وحرمانا ، وذلك كما فى الآية الكريمة « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا ترجعون » ، [٣] ، فإذا ابتلى الإنسان بالشر ولم يكن صابرا مجاهدا راضيا ، اعترض على إبتلاء الله وخرج عن طريق الطاعة والإخلاص فسقط وإنتكس وأصبح من الخائبين ، فلو صبر على ما ابتلاه الله به ورضى بما قسم له لأنعم الله عليه بنعمة من عنده ورحمة ورضوانا ، ووصل الى منتهى غاية السالكين .

وكذلك يبتلى الله بعض الزهاد والعباد والنساك بالخير الوفير ليعلم مدى إخلاصهم ، وهل يزدهم من الله إيمانا وورعا وصدقا أم أنهم سيفتنون بهذه الخيرات الزائلة فيقعون فى حبائل الشيطان ويكفرون بالله ويبتعدون عن طريق الحق .

والمعروف أن الزهد بالمعنى الصوفى هو أن يكون عندك المال والجاه ، وتزهد فيه ، وليس الزهد أن لا يكون عندك فتزهد ، لأن الزهد فى حقيقته هو غنى النفس عن متاع الدنيا وإقبال على الله فى إحتياج وفقر دائم .

فالإبتلاء زهد مع الغنى بهذا المعنى ، لأنه لو زاد المال أو نقص فإن الزاهد لا يهتم بزيادته أو نقصانه وإنما جل إهتمامه بالله تعالى ، بالحاجة اليه على الدوام ، وبالإحتياج اليه على الإستمرار ، فالمريد الصادق يحذر فى الابتلاء من الإعتراض على الله أو الرضا عن نفسه خوفا فى الوقوع فى الضلالات والإنتكاس لأنه يعلم أن الله

---

(١) الانسان ٢ (٢) الفجر ١٥ ، ١٦
(٣) الأنبياء ٣٥

سبحانه وتعالى يجرب عباده المخلصين منهم وغير المخلصين والصابرين وغير الصابرين ، والمجاهدين وغير المجاهدين ، تأييدا لقوله تعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » (١) .

ويرى الامام عبدالقادر الجيلانى (٢) « أنه لولا الإبتلاء والإختبار لا دعى الولاية خلق كثير » ، ولذلك قال بعهضم : وكل البلاء بالولاية كى لا تدعى ، وأن علامة الصحة فى الولاية ، الصبر على الأذى ، والتجاوز عن أذى الخلق ، فالأولياء يتعامون عما يرون من الخلق ، فلا يضحك فى وجه الفاسق إلا العارف بالله ولا يتحمل أذاه ، ولا يقدر عليه إلا الأولياء .

●●● الأبد والأزل ●●●

الأبد بالمعنى اللغوى (٣) هو الدهر ، وأبدا ظرف زمان لإستغراق النفى أو الإستمرار فى المستقبل وإستمراره بأن يقول الإنسان : لا أكلمه أبدا - أى لا أكلمه حتى آخر العمر ، وتقول أيضا سأظل فى بلدى أبدا ، أى لا أبرحها مادمت حيا وبهذا المعنى يقول الله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا » (٤) أى ما تطهر أحد من الناس من دنس الأثم الى آخر الدهر .

ويستخدم الصوفية (٥) معنى الأبد كأسم من أسماء الله تعالى والفرق بين الأبد والأزل ، أن الأبد هو ما لانهاية له ولا آخر ، والأزل ما لابداية له ، ولا أول .

ومن الأبد الأبدية ، كما أنه من الأزل الأزلية ، وهذه الأبدية تعنى عند الصوفية الإنقطاع لله سبحانه وتعالى والإسترسال مع الله فى جميع الاوقات أى على الاستمرار والدوام .

---

(١) محمد ٣١

(٢) الامام عبد القادر الجيلانى - الفتح الربانى والفيض الرحمانى ص ١٧٩

(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ١ - (التراث للتجميع) .

(٤) النور : ٣١

(٥) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - لجنة نشر التراث الصوفى ص : ٤٤١ حققه الدكتور عبد الحليم محمود .

••• الأبدال •••

جمع بدل . . . أحدى المراتب فى الترتيب الطبقى للأولياء عند الصوفية ، لا يعرفهم عامة الناس ـ أهل الغيب ـ ، وهم يشاركون بما لهم من إقتدار له أثره فى حفظ نظام الكون [١]

وهم أهل فضل وكمال وإستقامة وإعتدال تخلصوا من الوهم والخيال ولهم مظاهر أربعة : الصمت والجوع والسهر والعزلة والابدال ، لا ينقصون ولا يزيدون .

ويحفظ الله تعالى بالقطب الغوث كل هؤلاء ـ وقد سموا البدلاء لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته ولا يشك الرائى أنه البدل .

وترتيب الابدال كترتيب السموات السبع بحيث يكون إرتباط الأول بالسماء السابعة على الوجه الذى سنوضحه فيما بعد . ويروى عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال :

البدلاء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان ، والأوتاد بسائر الأرض .

ويقول يحيى بن معاذ [٢] الرازى : إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فأعلم أن طريقه التقوى ، وإذا رأيته يحدث بآيات الله فاعلم أنه على طريق الأبدال ، ويرى الدكتور أبوالعلا عفيفى أن الأبدال هم صنف من أصناف الصوفية على رأسهم القطب ، ويرى نقلا عن ابن خلدون أن فكرة الأبدال مأخوذة عن فكرة النقباء عند الشيعة .

ويقول السيوطى [٣] وقد أنكر عليهم ـ يقصد أهل الصوفية ـ بعض العلماء ذكر الأبدال والنجباء والأوتاد والأقطاب بزعم أنه لا أصل لذلك فى الحديث ويرد

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية العدد ٢ ص ١٤٢

(٢) د . أبو العلا عفيفى - التصوف الاسلامى - ص : ٢٠

(٣) الامام السيوطى - تأييد الحقيقة ص : ٨٩

السيوطى على هذا الزعم قائلا : لقد وردت الأحاديث والآثار بذلك وقد جمعتها فى كتابى « الخبر الدال » .

وينقل الشيخ أحمد حجاب عن الشيخ حسن أبوعلى أنه كثير التطور . تدخل عليه فتجده جنديا ، وأحيانا تجده صبيا ، وأحيانا تجده سبعا أو فيلا ، ويستشهد بما قاله الشعرانى فى ترجمة الشيخ حسن أبو على[1] قوله (إن من خصائص هذه الفئة من الأولياء أن الصورة التى يتمثلون بها لا تحكم عليهم بها ، بمعنى أنك لو أحدثت فى الصورة الممثلة مثلا أو ضربا أو حبسا أو أى ضرر آخر لم يظهر لذلك أثرا فى الصورة الأصلية ، ومثل ذلك كمثل التمثيل الحسى الذى يرى بالبصر ، والتمثيل المعنوى الذى يكون فى المنام فإنه لو تم تمثل ذلك فى المنام بذاته وصفاته وضربت أحدا بسكين فسال دمه فإن هذا لا يؤثر فى عدوك الحقيقى أى تأثير ـ ويرى أنه لما كانت روح سيدنا عيسى علوية ملائكية مشرقة بالأنوار الآلهية كانت أقدر على التمثيل من أرواح الأولياء .

وينقل لنا صاحب مدارج السلوك [2] عن ابن عربى فى كتابه رحلة الأبدال أنه قال :

يا من أراد منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها ان لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتدال دائم والجوع والسهر النزيه العالى

وترتيب الأبدال كترتيب السموات السبع بحيث يكون إرتباط البدل الاول بالسماء السابعة على الوجه التالى [3]

البدل الأول : يحكم الاقليم الاول للسماء السابعة على قلب الخليل عليه السلام .

---

(١) الشيخ أحمد حجاب - العظة والاعتبار - ص ٤١ وما بعدها

(٢) الامام أبى بكر محمد بنانى - معراج السلوك الى مالك الملوك ص : ٢١

(٣) الامام محي الدين بن عربى الفتوحات المكية ص ٣٧٠ - ٣٧٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠ .

البدل الثانى : يحكم الاقليم الثانى للسماء السادسة على قلب موسى عليه السلام .

البدل الثالث : يحكم الاقليم الثالث للسماء الخامسة على قلب هارون ويحيى عليهما السلام .

البدل الرابع : يحكم الاقليم الرابع للسماء الرابعة على قلب ادريس عليه السلام .

البدل الخامس : يحكم الاقليم الخامس للسماء الثالثة على قلب يوسف عليه السلام .

البدل السادس : يحكم الاقليم السادس للسماء الثانية على قلب عيسى عليه السلام .

البدل السابع : يحكم الاقليم السابع للسماء الأولى على قلب آدم عليه السلام .

ويقول الأمام الشعرانى (١) أنه تنزل عليهم العلوم لكل يوم علم من رقائق على قلب من هؤلاء ـ ويلى هؤلاء فى المقام النجباء والرجباء والنقباء وأهل الغيب وأهل النجدة ، وغيرهم ، وكل منهم ينظم عملا فى الحكومة الباطنية ويستهدف رسالة فيها ، ويروى صاحب روض الرياحين (٢) عن الخضر عليه السلام أنه قال : « ثلاثمائة من الأولياء ، سبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء ، وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد منهم هو القطب الغوث الفرد » .

ويحكى عن الجنيد ـ رضى الله عنه ـ قوله (٣) : حضرت أملاك بعض الأبدال من الرجباء ببعض الأبدال من النساء فما كان فى جماعة من حضر أحد إلا وضرب بيده الهواء وأخذ شيئا فطرحه من درر وياقوت وما أشبه ذلك فقال الجنيد : « فضربت بيدى فأخذت زعفرانا فطرحته فقال لى الخضر عليه السلام : ما كان فى الجماعة من أهدى من يصلح للعرش غيرك »

---

(١) الامام عبد الوهاب الشعرانى - اليواقيت والجواهر الجزء الثانى ص ٨٢

(٢) اليافعى - روض الرياحين فى حكايات الصالحين مكتبة البابى ص ١٧٢ وما بعدها

(٣) اليافعى - روض الرياحين - فى حكايات الصالحين - مكتبة البابى ص ١٧٢ وما بعدها .

ولا تتفق الروايات المختلفة الواردة فى كتب الصوفية على رأى فى تفصيلات هذا النظام الطبقى ، كذلك يوجد خلاف كبير فى الرأى حول عدد الأبدال ، فيرى البعض مثلا كابن حنبل والهجويرى أنهم أربعون ، ويقول المكى أنهم ثلاثمائة ، ويقول ابن عربى أنهم سبعة .

والرأى الغالب أن الأبدال فى الطبقة الخامسة من طبقات الاولياء التى تنحدر من القطب الأعظم ، ويتقدم عليهم بعد القطب الذى يأتى فى المرتبة الأولى الامامان ثم الاوتاد ، ثم الافراد السبعة ، ويأتى بعد الأبدال الذين هم فى الطبقة الخامسة النجباء ، ثم النقباء ، ثم العصائب فالحكماء أو المفردون ثم الرجبيون (الرجباء) [١]

وكل طبقة من الطبقات العشر لها أقليم خاص ومجال عمل خاص ، فإذا خلا مكان فى طبقة ملء بعضو من اعضاء الطبقة التى هى دونها مباشرة ، ويرى بعهضم أن مقام الأبدال (ويسمون أيضا الرقباء فى سوريا) مقام عال إذ بتوسلهم وشفاعتهم يستنزل المطر ويجلب النصر على العدو وتتقى النكبات العامة

ويسمى الفرد من الأبدال البدل ، والبديل هى الصيغة التى تجمع بحسب قواعد النحو على جمع آخر غير أبدال ، هو بدلاء ، ومع ذلك فإن هذه الصيغة المفرد ، ويستعمل الجمع أبدال فى الفارسية والتركية للدلالة على المفرد فى كثير من الاحيان

●●● الاتحاد ●●●

يبدو أن الصوفى إذا تعثر فى وجده ونطق بغير وعيه ، فى لحظة زهده ، ولذة عشقه ، بألفاظ مستغربة على السامعين من أهل العقل والنظر ، تشتم منها رائحة الحلول أو الاتحاد أو إذا صرخ الواجد أو جذب وصاح فقال أنا والله شيء واحد ، اتهم بالكفر والزندقة وأقيم عليه الحد والشرع وذلك ما حدث لبعض الصوفية كالحلاج وشهاب الدين السهروردى وغيرهم من أهل الحقيقة

والواقع أن هذه الأحكام قد صدرت عليهم فى تعسف وظلم شديدين .

(١) دائرة المعارف الاسلاميه العدد ٢ ص ١٤٢

وذلك أن السالك فى طريق الله يتعلق بأنواره تعالى حتى يفنى عن نفسه ، وعن فنائه ويستشرق بالفردانية المحصنة ، فلا يرى غير الله ، ولا يبقى له إلا الله ، فيصبح فى لحظة الوجد بهذه الحقيقة ، وهى حقيقة الحقائق .

وليس ذلك فى واقع الأمر اتحادا ، وإنما وجدا وعشقا وسكرا وفناء ، إذ أنه عندما يصحو ، يعرف أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد (١) لأنه اذا فنى السالك عن كل ما سرى الله تعالى ، عن نفسه وعن فنائه جميعا ، سمى ذلك مجازا اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا .

والمعروف عن الصوفية أنهم يرون أن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشركة فى قلب العبد وذلك بادعاء شى من أوصاف الربوبية ، قولا أو فعلا أو عقدا (١) وأن ذلك يعد منازعة لله عز وجل ، ومن ثم الوقوع فى الشرك والضلالة والكفر إلا أن العبد إذا فنى عن أوصافه المذمومة ، بقيت له أوصافه المحمودة ، واذا فنى عن نفسه وعن الخلق ، بقى وبقى الخلق ، لكنه لا يعلم عن نفسه وعن الخلق شيئا لأنه يكون فى ذلك الوقت مع الله ولله ومن الله وبالله .

●●● الاتصال ●●●

هو مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار ، فاذا سلك المريد الصادق ، طريق الله مجاهدا صابر مخلصا ، فإن الله سبحانه وتعالى يكاشفه ببعض الحقائق ويشهد له بعض المغيبات ، كثمرة من ثمار توكله وفقره ومحبته لله تعالى ، فيكون إتصالا بالله ومع الله ، فينفصل السالك بسره عما سوى الله ، فلا يرى غير الله حبيبا ولا يسمع من غيره تعالى حديثا . فهو ينظر إلى عرش الله كأنه يراه ، فالمتصل لا يشغله غير الله ، ولا يعظم سوى الله ، ويقول بعض أئمة الصوفية

---

(١) د . محمد على أبو ريان - أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى ص ٣١ وما بعدها بيروت عام ١٩٦٦

(٢) السيوطى - تأييد الحقيقه العلمية - ص : ٥٧ - ٦٣

(١) الإتصال هو أن لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه .

وأجمل ثمرات السالك الصوفى فى الاتصال، فيشعر بالنعمة الكبرى واللذة العظمى ، فيزيد الله إجلالا وفى طلبه خشوعا وإذلالا ، وفى حبه تعظيما ، عمله طاعة وإخلاصا .

فبالإتصال يزداد الشوق الى القرب من الله ، ويعرف السالك أنه لا سبيل اليه إلا به ، فيزداد حبا ، ويزداد إتصالا .

●●● الأثر ●●●

يقال أن الأثر ، للشيء هو ما يدل على وجوده ، والأثر ما يؤثره الرجل بقدمه فى الأرض (٢) ، ومن هذا يقال لكل ما يستدل به على شيء ، وأثر وآثار ، والاثارة هى البقية من العلم التى تروى وتذكر منه .

ومن هذا اللفظ أيضا الأثر ، وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها » (٣) ؛ وقوله تعالى أيضا وقال هم أولاء على أثرى (٤) أى الذين يتبعونه وكأنهم يطئون أثره .

وإستخدام أئمة الصوفية (٥) لفظ الأثر بهذا المعنى أيضا وهى العلامة الباقية لشيء قد زال ، فالصوفى عندما يسلك طريق الرياضات والمجاهدات ، تكون معارفة ذوقية وليست عقلية ونظرية .

ولذلك يقول الصوفية أن من منع من النظر إستأنس بالأثر ، ومن عدم الأثر تعلل بالذكر ، ومعنى ذلك أن الذى لا يستخدم منطق الجدل العقلى وأسقط التدبير مع الله فى أمره ، فأنه يستأنس بالكشف والفتح ، مشرقا عليه من القدوة

---

(١) أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ٢٩ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ١٣

(٣) طه : ١٦ (٤) طه : ٨٤

(٥) أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - لجنة نشر التراث الصوفى ص : ٤٤١

الطيبة ، والأثر الكريم فى شكل الهامات ومعارف وتجليات يشرق بها قلبه ، وتستأنس بها نفسه .

أما من لم يكن له أثر ، أى ليس له رابطة بشيخ مربى أو قدوة طيبة يقتدى بها ، فان عليه أن يجاهد بالأوراد والرياضيات والمجاهدات ، وكثرة الذكر حتى يستفتح له .

ولقد وجد على قصر من قصور أحد الملوك هذا البيت فى الأثر :

أن آثارنا تدل علينا ● فانظروا بعدنا إلى الآثار

ويقول الخواص [١] رضى الله عنه فى معنى الأثر : « أنه التفريد لله عز وجل فى كل الأشياء ، وذلك بالاعراض عما يلحق نفوسهم من آثار الأشياء ، ومعنى ذلك أن الأثر هو توحيد وتفريد وطريق للمريد الصادق الذى يتجنب هوى النفس وذلك بإماتة الشهوات والبعد عن حظوظ النفس الدنيوية .

●●● الإحسان ●●●

إن أعظم فضيلة وأجمل أخلاق وأشرف سلوك وأرفع خصال هو الاحسان ، والإحسان يعبر عن الإيمان ، وذلك كما ورد فى الآية الكريمة« فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » [٢] .

ويعبر الإحسان عن معنى الصلاة فالصلاة إحسان والصلاة على النبى إحسان كما ورد فى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها [٣] .

وقد ورد الاحسان فى القرآن الكريم بمعنى التهجد ، أى قيام الليل فى قوله تعالى ، وانهم كانوا قبل ذلك محسنين » [٤] أى مهتدجين .

كما أن التصدق على الفقراء والمساكين والإنفاق عليهم إحسان ، كما ورد فى قوله تعالى « واحسنوا إن الله يحب المحسنين » . [٥]

---

(١) السراج الطوسى - اللمع - ص : ٤٤١ .

(٢) المائدة : ٨٥

(٣) الانعام : ١٦ .

(٤) الذاريات : ١٦ .

(٥) البقرة : ١٩٥ .

كما أنه ورد فى القرآن بمعنى الخدمة للوالدين والبر بهما فقال تعالى « وبالوالدين إحسانا [١] .

ويقصد به أحيانا العفو عن المجرمين والمنحرفين ، كما ورد فى قوله تعالى « والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » [٢] .

والإحسان يقصد به مجاهدة النفس والتسابق فى الإخلاص والإجتهاد فى طاعة الله كما ورد فى قوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . [٣] .

كما أن الطاعة إحسان الى النفس والى الله ، فقد ذكر الله تعالى فى أنواع الطاعة بمعنى الإحسان فى وقوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة [٤]

كما أن الإحسان تعبير عن الإخلاص ، وهو العلامة المميزة لتقوى الله ، فالعبد المخلص مع ربه هو الطائع الصادق المؤمن بالله شريعة وحقيقة ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، ثم ان الإحسان هو العطاء ، اذدراء البيع ، والاحسان الى الناس بالمال والنصيحة والكلمة الطيبة والعلم ، وذلك ورد فى قوله تعالى « وأحسن كما أحسن الله اليك [٥] .

والنجدة إحسان إلى المحتاج والمظلوم وهذا ما نجده فى قوله تعالى « إن أحسنتم لأنفسكم [٦] ، كما أن الاحسان علم ومعرفة ، ذلك لأن المعرفة كمال والمحسن عندما يحسن فهو عالم بإحسانه عارف بثوابه إذ يجد ثمرة إحسانه من الله فيرد اليه إحسانه وذلك فى قوله تعالى « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان [٧]

وإذا إرتقى الانسان الى مدارج الحكمة ، وصعد من شريعته الى حقيقته وقويت نفسه المطمئنة على عدوها وهى نفسه الامارة ، وصدق قلبه مع عقله فإنه يمكن أن يرتفع الى التسامح ، ومن القصاص إلى العفو ، وهذا ما نجده فى قصة المأمون رضي الله عنه ـ مع غلامه الذى أخطأ فى حقه كاد يقيم عليه الحد ، وقد صبر وأسكن غضبه وكظم غيظه عندما قال الغلام : يا أمير المؤمنين « والكاظمين الغيظ فقال المأمون : كظمت غيظى ، فقال الغلام : والعافين عن

---

(١) البقرة : ٨٣ .
(٢) آل عمران : ١٣٤ .
(٣) العنكبوت : ٦٩ .
(٤) يونس : ٣١
(٥) القصص : ٧٧ .
(٦) الاسراء : ٧ .
(٧) الرحمن : ٦٠ .

الناس ، فقال المأمون : وعفوت عنك ، فقال الغلام : والله يحب المحسنين ، فقال المأمون : إذهب فأنت حر لوجه الله

وفى هذه القصة التى كظم فيها المأمون غيظه وإرتقى من معنى الانتقام لنفسه الى معنى العفو ، ومن معنى العفو الى معنى الاحسان هو السلوك الأمثل والطريق الأفضل لأنه عطاء وإرتقاء من الغيظ الى البر ، ومن الإنتقام الى الاحسان ، بل وهو إيثار وتفضل وبعد عن شهوات النفس وحظوظها وهواها ، وبذلك تبدل الغيظ أمنا وسلاما ، والانتقام رحمة وشفقة ورضاء .

وكذلك تجد معنى الاحسان فى قصة سيدنا يوسف كما وردت فى القرآن الكريم فحكم العدل إنما يقضى الانتقام من أخوته الذين رموا به فى الجب قاصدين قتله ثم آتاه نصر الله وأصبح أقوى منهم جميعا ، وتولى خزائن الأرض ومفاتيح الحكم .

ولكنه أبى أن يعاملهم بمنطق العين بالعين ، وبشريعة العدل وكان قادرا على ذلك ، لكنه كظم غيظه وعفا عنهم ، بل وأحسن اليهم وقال لهم : لا تثريب عليك اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

ولم يكن إحسانه لطلب أو منفعة أو مصلحة ، وإنما طهارة فى القلب ، وبعد عن الضغينة والكراهية والغضب ، وطلب من الله المغفرة على خطاياهم ، هذا برغم ما فعلوه به من ضرر واثم وأذى ، وهذه هى أخلاق الإحسان .

فالاحسان أجمل ما فى الانسان ، ففيه تتأكد المعانى الكريمة من أمر بمعروف ونهى عن المنكر ، وإيثار وإخلاص وعمل وعبادة .

والاحسان من أخلاق الصوفية وآدابهم ، فالصوفى يشعر أنه ليس الذى يعطى ويحسن وإنما الله تعالى الذى جعله وسيلة لهذا العطاء ، بل الصوفية ينظرون للذى يأخذ نظرة أفضل من الذى يعطى ، لأن الذى يعطى يعطى من الله والذى يأخذ إنما يأخذ من الله ، فهو أفضل من جهة كسر شهوات النفس وحظوظها أما الذى يعطى فربما يدخل نفسه بعض الاضرار نتيجة لاحسانه .

فالاحسان فى الظاهر أن تعطى ، ولكن الاحسان فى الباطن أن تعرف أن كل ما تعطيه هو من الله ولله ، فلا تشعر لنفسك فضلا ، وأنت تعطى ، وأن تؤمن أن الله تعالى هو المعطى ، وهو المنيب فى هذا العطاء ، سواء كان ما تجود

به علما أو مالا أو برا أو كلمة طيبة أو عملا صالحا .

وبهذا يكون الاحسان إيمانا برفع النفس الانسانية درجات فى التكريم والرفعة والسمو . هذا هو معنى الاحسان فى أجمل صورة ، وهو أن يراد به وجه الله بلا تردد ولاحرص لأنه الأربح والأفضل والجزاء الأثمر ، إيصال واتصال بين العبد وربه ، لا يرى فى نفسه فضلا ولا يرغب بقلبه إلا وجه الله تعالى .

●●● الأختبار ●●●

هو امتحان للمؤمنين الصادقين ، فالله سبحانه وتعالى يختبر الصادقين وذلك ليستخرج بامتحانه لهم صدقهم وإخلاصهم وطاعتهم وفى قول الرسول ﷺ : ونحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاء » ، يشير فى هذا الحديث الشريف إلى أن الله سبحانه وتعالى يبتلى الأنبياء ليقوى بذلك الابتلاء قلوب التابعين من المؤمنين ، ذلك لأن المؤمن عندما يشعر أن الأنبياء والرسل والأولياء وهم قدوته الحسنة يعذبون ويختبرون بأقصى أنواع الاختبارات ومع ذلك لا يزدادوا إلا إيمانا بالله ورضا بما حل بهم من البلاء الذى يرونه منه كبرى ونعمة عظمى منه سبحانه وتعالى ، عندما يعرف المؤمن ذلك تهون عليه الصعاب ، ويقتحم باب المخاطر ، ويشتد أزره فى المجاهدة والمكابدة ، مستضيئا بالفحول من الأئمة الرواد .

فالاختبار إذن امتحان من الحق للصادقين ليعمر الله به منازل الصالحين ويثبت بذلك صدقهم ، ويؤكد حجته على المؤمنين ، فيتعرفون على طريقهم بلا خوف ولا اعتراض ، وإنما بايمان وتوكل وإسقاط للتدبير .

ويروى عن الرسول ﷺ قوله : « أخبر تقله » (١) ، ومعنى ذلك الحديث الشريف : أن على الإنسان أن يختبر من يشاء من الناس وأن يمتحنه فى دينه ودنياه حتى يتعرف على معدن صدقه ، ويستخرج حقيقة طاعته وإخلاصه فى دعواه عن حاله الذى هو فيه (٢) .

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن أبى نعيم والدبرانى عن أبى الدرداء .
(٢) السراج الطوسى - اللمع ص٤٢٩ - دار الكتب الحديثة ١٩٦٠

وبالاختبار يتعرف الشيخ المربى على خواطر مريديه الشيطانية منها والملائكية ، فإذا أبدى المريد طاعة وإخلاصا وصدقا ظاهرا وباطنا ، أذن له شيخه بمتابعة الطريق وشجعه على ما هو فيه ، أما إذا اعترض المريد وتكاسل أو ضاق بحاله الذى هو فيه ، فمعنى ذلك أنه لا يصلح فيما هو عليه من حال .

وهذا الاختبار الذى يقوم به الشيخ المربى ، هو الأساس الذى يقوم به أصحابه من المريدين ، وعن طريقه يرشدهم بآفاتهم ونواقصهم ليتوبوا عنها وينصلح أمرهم .

●●● الاخـلاص ●●●

الفرق بين الرياء والاخلاص هو أن المرائى يعمل ليرى وأما المخلص فإنه يعمل ليصل ، والمرائى ظاهره الاخلاص وباطنه عدم الإخلاص ، وهو الذى يشتغل بالدنيا ويهتم بها ، ويوافق هوى نفسه ويطابق اختيار حظوظها على حقوقها ، فهو غافل يميل إلى الهوى والشهوات ، ولذلك يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » (١) ، وقوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المثاب » (٢) .

« وله تعالى أيضا : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » (٣) .

أما الاخلاص لله سبحانه وتعالى فهو اجتناب الدعاوى والتزام الأوامر وهو الطريق الموصل الى معرفة الله على الحقيقة ، فإذا ما اتبعه الإنسان أراحه الله من الدعاوى الكاذبة ، فالإخلاص سكون التقوى فى قلب العبد فإذا سكنت التقوى فى قلبه نزلت عليه بركات العلم وطردت شهوات الدنيا عنه .

---

(١) الكهف ٢٨ . (٢) آل عمران : ١٤

(٣) الجاثية ٢٣ .

والإخلاص زهد فى الرياسة والجاه وحب المال والاقبال على كل خلق شريف والعدول عن كل خلق دنىء فهو عبد خلص لله تعالى فأصبح حرا بعد أن كان عبدا ، فهو توكل واسقاط للتدبير مع الله سبحانه وتعالى ، بل إنه استقامة وسير لله فيستوى فى قلبه المخلص وجود الشىء وعدمه (١) .

فالإخلاص إذن ضد الرياء ونقيضه ، وقد سئل الشيخ أحمد الرفاعى عن طريقته التى تقوم أساسا على الاخلاص والنية والطاعة ، فقال : طريقتى دين بلا بدعة وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، ونفس بلا شهوة ، وقلب عامر بالمحبة ، ولا يمكن أن يتم ذلك فى الإنسان وهو يبحث عن حظ نفسه مهما أدى التكاليف وقام بالفرائض الشرعية لأن المهم أن تكون نيته خالصة لله وقلبه عامر بالايمان ، أما اذا تظاهر بالعمل الصالح ولكنه يحمل قلبا أظلمه الحقد والغضب والكراهية ، فإن قلبه منزوع عنه اليقين ، مملوء بالظلمة لأن العبرة فى الإخلاص بالرضا والقناعة والصدق والنية ، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

فلا إخلاص بلا نية ، ولا نية بلاإخلاص ، فبمقدار الإخلاص فى النية يكون الثواب ويكون الحق ويكون الجزاء ، فالذين يتظاهرون بالأعمال الصالحة بلا إخلاص ، إنما لا يؤدون الشريعة حقها ، فهم يبنون للخراب ويعمرون للموت ، وكله عمل طالح لا يغنى ولا يشفى من جوع ، إذ لابد فى كل عمل يؤديه الإنسان ، بل وكل أمر يتركه الإنسان من النية والإخلاص معه ، وذلك لكى يترتب عليه الثواب ، والثمرات والأجر من الله على هذا ، عمل .

ولذلك تجد الرسول ﷺ يقول فى معنى الاخلاص والنية « إنما ا عمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتر جها فهجرته إلى من هاجر إليه » .

الإخلاص إذن مرتبط بالصدق والعزم والإرادة والمشيئة ، والقصد والنية وكلهم جميعا بمعنى الإخلاص ، فى الظاهر والباطن ، وفى الشريعة والحقيقة .

فالإخلاص بهذا المعنى هو نور استودعه الله قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره ، ذلك هو الإخلاص القائم على العلاقة بين العبد وربه ، فلا يطلع عليه

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمى - طبقات الصوفية - يسره ورتبه عبد الرحمن الشرباصى ص : ١٠٧ - كتاب الشعب العدد ٩٢ .

ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيسلبه [١] .

وكما أن الإيمان درجات والتقوى درجات ، فكذلك الإخلاص درجات يمكن أن تحدد فى درجتين ، الأولى إخلاص لطلب الأجر والثواب ، ويصلى المؤمن ويتعبد ويؤدى مايأمر به حسب قوله تعالى : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة بالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم » [٢] .

وهذا الإخلاص إنما هو إخلاص الصادقين الذين صدقوا على ما عاهدوا الله عليه ولهم منزلة طيبة عند الله بقدر هذا الاخلاص فى النية ، يكون الثواب ويكون الجزاء [٣] .

ثم هناك درجة عالية فى الإخلاص وهو إخلاص الصديقين الذين يسلكون على طريق الاخلاص ـ الشريعة ـ إلى منازل القربى ، فهم رجال جبلهم الله تعالى على حسن العبودية ومنحهم أسرار حضرته [٤] .

فالاخلاص إذن ظاهر وباطن ، وانتقال بالصدق من الشريعة إلى الحقيقة ، ومن الحقيقة الى الشريعة ، طهارة وصدق ورجولة لأنه بالاخلاص تكون الهمة الشريفة ، وبالهمم تبلغ الرجال الرجولة ، وليس بالمجاهدات فحسب ، فإذا كان الظاهر كالباطن اكتمل معنى الاخلاص ، وانتفى معنى الرياء ، وانكشف للانسان الحقائق ، وفى هذا المعنى يتمثل حجة الإسلام الإمام الغزالى فى الأحياء أمر الرسول ﷺ بوجوب الطهارة عند النوم ، وذلك لينام الإنسان طاهرا إذ أنه فى النوم يبقى الباطن وتنقطع العلاقة بالظاهر ، وهذا معناه أن الرسول ﷺ يشير إلى طهارة الباطن من الآفات والعيوب بل ويعتبرها الأساس الأول فى الطهارة ، وبذلك يتم للانسان معنى الاخلاص فى الظاهر والباطن والاستعداد لما يتجلى على قلبه من رؤى ومنامات .

---

(١) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى - سلسلة أعلام العرب رقم ٧٢ - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ديسمبر ١٩٦٧ ص : ١٢٦ - ١٢٩ .

(٢) النمل ٣

(٣) أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - حققه وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود - الأستاذ طه عبد الباقى سرور ص : ١١١ - ١١٣ .

(٤) د . عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى جـ١ ص : ١٤٢ - مجمع البحوث الاسلامية .

أما عدم الاخلاص فهو ناتج طبيعى لظلمة القلب ، وبه تفسد الرؤيا ، لذلك فإن الإخلاص هو دليل العمل والعبادة لأنه بالإخلاص يستحضر المؤمن الله سبحانه وتعالى فى ركوعه وسجوده ، وبالإخلاص يستحضر الله تعالى فى التسبيح والتقديس والتوحيد والحمد والشكر ، فاذا قال العبد أشهد أن لا إله إلا الله ، فهو إخلاص له سبحانه وتعالى لأنه لا يرى شيئا فى السموات ولا فى الأرض إلا ذاته النورانية ، فيكون الله تعالى دائما معه بمعونته ونصره على قدر إخلاصه فى عبادته .

●●● الأدب ●●●

الأدب المقصود هنا ليس فقط الأدب الظاهرى ، لأن الأدب الظاهرى ربما يكون رياء ونفاقا ، أو مجاملة وإسترضاء ، أو استعطافا بشكل أو بآخر ، لكن الأدب المقصود هنا هو أدب باطنى ؛ يرجى منه كنس القلب من جميع الآفات إذ أن الشىء المؤلم حقا هو ما يحوم حول القلب من علامات الإعتراض ، ذلك بما يحوى القلب من شهوات ورغبات وآفات ، ولكن عندما تظهر على الشعور فإنها تظهر عند كثير من الناس فى شكل سلوك طيب وحسنات وإحسان ومكارم أخلاق ، وذلك بعكس ما فى الباطن من آلام وضيق وانحرافات وشرور .

فالذى يؤلم من الظاهر هو فقدان الأدب فى أشكال وصور ، ولا عبرة بالشكل والصورة مادام القلب سليما وليس معارضا لآداب الله .

فالمريض الحقيقى عند أئمة الصوفية هو مريض القلب الذى تطغى عليه شهوة الغضب والأنانية وحب الذات وطلب الشهوات ، كما أن الصحيح حقا هو طاهر القلب . فالصحة فى التخلية من أمراض الشره والحسد والكراهية والبغضاء والتعالى والإستعلاء والتكبر وغير ذلك من الآفات ، وعلى ذلك فإن أهل الصدق هم أصحاب القلوب وأطهار النفوس ، تدور حياتهم على سلامة أحوالهم فى باطنهم وظاهرهم ، فلا يدخل قلوبهم حقد ولا غل ولا حسد ، بل أن كل همهم الحب والود والقرب والطهارة والرحمة والتسامح والتآخى ، وذلك فى سبيل الله وبالله وإلى الله ومن الله [١] .

---

(١) الشيخ أبو بكر بنانى - مدارج السلوك إلى مالك الملوك ص : ٨٧ - ٩٠ .

لذلك فإن الصوفية يرون أن ما يصاب به المريض من أمراض بدنية وجسمية إنما هى أمر سهل يسير يمكن علاجه بالأدوية والعقاقير ، كما أن ما يبتلى به المريد الصادق من فقدان المال والأهل والأصحاب إنما يرونه إبتلاء من الله وامتحان واختبار يجربه الله تعالى ويمتحنه فيه ، فإذا مانجا وذلك عن طريق الصبر والمجاهدة والمعاناة فإن ذلك علامة من علامات الصحة القلبية .

أما إذا ضعف المريد وتبرم وشكا وضاق وإستكان بما يبتلى به من إستدراجات وإمتحانات وإختبارات ، فهذا هو علامة المرض فى القلب ، وهنا يحث السقوط والإنتكاس ويصبح غير موافق الله ، مما يجعله سائرا فى طرق الظلمة والشيطان مقبلا على الإنحراف عن جادة الحق ، بعيدا عن الصدق ظاهرا وباطنا .

إذن فعلامة الصحة النفسية هو إرادة الصبر عند الإبتلاء ، والرضا عند وقوع الفاجعات ، والتوكل فى السراء والضراء ، وهذا ذوق خاص ينفرد به المريد الصوفى عن غيره من الخلق ، إذ هو علم مجهول للعامة أعلمه الله لعبده المخلص الطاهر ، يعينه به على تخطى العثرات ويساعده به على المجاهدة والفلاح ، فهو ثمرة من ثمرات الأدب والرياضة النفسية ، ونتيجة صادقة من نتائج الإخلاص والصدق .

ولذلك سمى الصوفية بأهل الصدق لأنه صدق ظاهرهم وباطنهم فالأساس الذى يتعرف به الطبيب المربى حال مريضه هو إرادة الأدب ، فيكشف عن قلبه ويتعرف على خواطره الشيطانية والملائكية ، فإذا ما وجده معافيا ، فإنه يعطيه ما يصلح له ليزداد معرفة بعد معرفة ، فإن رمز الصحة والعافية هو تقبل المريد للامتحانات والتجارب ، كما أن علامة المرض فى القلب هو الضعف والخوف والتبطل والإستكانة والفزع والهلع والشكوى والضيق والتبرم

وبصفة عامة فإن المريض يحمله شخص غير قادر بنفسه على التغير ولا يصلح معه دواء إلا اذا إستقام ، ولا يتكيف ولا ينصلح أمره ولا ينسجم مع نفسه أو مع أقرانه ، لأنه عدو نفسه ومجتمعه وأهله جميعا ، فيجب تربيته وتلقينه العلم والمعرفة حتى يصلح لتقبل الإبتلاء ، ولا يضعف فى الإمتحان والاختبار .

ومن ناحية أخرى فإن الأدب مع الطبيب المربى عنوانه الطاعة التى تلعب دورا أساسيا فى تقدم المريد من حال الى حال ومن مقام الى مقام ، إذ أن سوء

الأدب يقطع الصلة بين الطبيب والمريض ، ومن ثم تنفصم الرابطة الأبوية التى تجمع بينهما وإن إجتمعا ، الطبيب بالمريض فى المكان والزمان .

والمعروف عند أئمة الصوفية أن سوء الأدب إنما فى مخالفة المريد لطبيبه المربى والاعتراض عليه ، وأن ذلك معناه عدم معرفة المريد لمنزلة شيخه وأستاذه ، اذ أن المريد الصادق يعرف تمام المعرفة أن طبيبه لا يتصرف إلا بإذن وبصيرة مما لا يدخل فى باب الجدال العقلى ، ولا يحتمل منطق المناقشة لأن الجدل إنما هو من عالم الحس والتكثف والخلط ، أما طبيبه انما يعاونه ويرشده ويكلمه من عالمه اللطيف ، عن خبرته ومشاهداته وتجلياته ومعرفته .

فسلامة المريد إذن تتأتى أساسا من التسليم بصدق شيخه وعلمه ، وإنتكاس المريض إنما يظهر من اعتراضه عليه ، فيقع فى مجلبة الخسران والضياع والقلق والاضطراب ، وبالجملة فإنه يعيش فى حياة الجحيم .

فعلى المريد الصادق وهو بين يدى طبيبه ومربيه أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا بل يجعل قلبه متجها اليه ، مستغرقا بالكلية بنفسه معه لاهم له ولا فكر الا مما يصدر عن شيخه من أقوال وأفعال ، فهو جالس على ساحل بحر ينتظر رزقا يأتيه ، فما يرتزق به من شيخه يحمد الله عليه وهذا ما يجعله دائما مرافقا لإرادته ، محققا لما يهدف إليه من علاج وصلاح واستقامة .

أما إذا غلبت حظوظ النفس وهواها على المريد ورغب فى شهوة الكلام والجدال ، فذلك يرده عن مقام الاستفادة وينزل به عن درجة الاستزادة بالعلم والتربية ، إذ انه من حسن الأدب أنه إذا تكلم الطبيب ، سكت المريد ، أما إذا قاطع المريد شيخه ، فمعنى ذلك غلبة الشهوة الظاهرة على باطنه .

فإذا رفع المريد صوته أو نادى شيخه باسمه مجردا بلا أدب أو استحياء فإن ذلك مجلبة للتكبر والاستعلاء ، يرفع به المريد الوقار والاحترام ، ويدل على خلو باطنه من هيبة الطبيب وتعظيمه له .

ومن علامات سوء الأدب الضحك فى مجلس الطبيب المربى ، بل إن ذلك يعد أقبح ما يظهره المريد وأسوأ ما يبديه ، فلا يرتجى من المريد الضحوك نفعا ولا فائدة إلا إذا منّ الله عليه بالتوبة الخالصة .

ويؤيد الصوفية ذلك فى قوله ﷺ : « لا تكثروا من الضحك فإن كثرة

الضحك تميت القلب » ، كما روى عن سيدنا عيسى عليه السلام قوله : « إن الله يبغض الضحاك من غير عجب ، والمشاء فى غير أدب » [١] .

ومعنى ذلك أن السكينة والوقار والاحترام هو الزى الذى يرى به أهل الكمال أما المريد الذى ينظر إلى نفسه على أنه قريب من قلب طبيبه المربى وصديقا له وليس بينه وبينه درجة يقف عندها أو حدود فى الأدب ، فإن ذلك يعتبر مجلبة للخسارة وجرأة منه وجهل عظيم .

وأخيرا فإن المريد الصادق إذا تدرج بآداب أهل الحقيقة ، نال مقصوده ووصل إلى ما يرجوه من كمالات وتحقق له بالتربية أخلاقا فاضلة وآدابا جميلة ، وفى ذلك يقول أحد الأئمة الصوفية « إذا حضر الأدب حضرت (الطريق) ، وإذا غاب الأدب فلا أدب ولا طريق » [٢] .

●●● الإرادة ●●●

يبين لنا أئمة الصوفية أن العبد لا يحصل له حقيقة الإيمان إلا بأمرين ، الأول هو الامتثال لأمر الله ، والثانى الاستسلام لقهره ، فإذا كانت إرادة العبد فيها حظوظ نفسية وعادات مرذولة فى طلب الدنيا وهواها ، فإن إرادة ذلك العبد إرادة غير مستسلمة الله ، ولا ممتثلة لأوامره ، فهى إرادة نفسه الأمارة أو اللوامة ، فإذا لم يتحقق لها مزاعمها ومطالبها الدنيوية وشهواتها فإنها تعترض ، وذلك لمخالفة هواها ومعارضة إرادتها وعاداتها .

وهذا العبد لا يصلح فى الطريق الصوفى لأن إرادته منعقدة مع هوى نفسه ، أما الإرادة الصحيحة فهى أن يدبر على أن لا يدبر ، أو يريد ما يريده الله ، أى أن يتجرد عن إرادته فيدخل مع الصابرين والصادقين والمنقطعين إلى الله على الحقيقة [٣] .

فالارادة إذن هى لوعة فى القلب تطلق على المريد الصادق الذى يتمنى قرب الله وإرادة الله وحق الله ، أما نفسه فلا يرى لها إرادة ، فهو دائم التفكير فى الله

---

(١) مدراج السلوك ص ٨٧ : ٩٠ .

(٢) الشيخ أبو بكر بنانى - مدارك السلوك إلى مالك الملوك ص : ٨٧ - ٩٠ .

(٣) الشيخ ابن عطاء الله السكندرى - التنوير فى إسقاط التدبير ص : ٦

لا يختار إلا ما يختاره الله له ، لأنه هو المختار الأكمل ، والمريد الأوحد ، وكل شيء راجع إليه تعالى ، فالإيمان الحقيقى إذن هو حكم الله ، والاستسلام لله ، والرضا بالله حكما وقاضيا ومختارا [١] .

كما يتكلم الصوفية عن إرادة الحقيقة وهى أعلى المراتب فى السلم الروحى ذلك أنها تتعلق بالإخلاص ، وهو ضد الرياء ، أو هو نور أستودعه الله قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره ، فلا إرادة لذلك العبد إلا ما يريده الله ذلك هو الاخلاص فى الإرادة ، فلا يطلع عليه مالك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيسلبه .

●●● التدبير وإسقاط التدبير ●●●

يرى أئمة الصوفية أن التدبير إنما يكون فى إسقاط التدبير وعدم النظر فى حظوظ النفس ، لأن التدبير من الإنسان جهل منه والمؤمن الصادق يعلم تماما أنه إذا ترك التدبير مع الله ، كان الله له بحسن التدبير منه ، لأنه بذلك يتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، فالله سبحانه وتعالى هو المتولى لتدبير مملكته وخلقه جميعا ، وكلما سلمت له مخلوقاته كان ذلك دليل العلم والمعرفة بالله وقدر الله وحق الله ، وأن العبد إذا عرف ربه لا ستحى أن يدبر معه أمرا فيحجب عن الله [٢] .

والتدبير مع الله إنما هو اختيار للأفعال والأعمال ، وليس على جهة الاحتياج والاغترار بالله ، وإنما نتاج لغرور الأنسان وهوى الإنسان وإحساسا منه بالتكبر والتجبر ، وأنه سيد على أفعاله وأعماله ، ولقد كانت الكشوفات الحديثة ، والمخترعات المادية الجديدة أثرها الفعال فى انحراف الانسان عن طريق الصواب نتيجة لاغترار الإنسان بنفسه وشعوره بإنه صاحب وجوده ومفسر للطبيعة والكون من حوله وعارف بعلله ، ومصادر تكوينه لدرجة أن بعض العلماء الملحدين يجهرون بالقول فى تبجح وصفاقة : « إن خالق هذا الكون لم يكن بذى عقل وإرادة وتدبير . بل إن هذا الكون فى جملته من أوله إلى آخره

---

(١) الشيخ محى الدين بن عربى – وسائل ابن عربى – كتاب إصلاح الصوفية ص : ٢

(٢) الشيخ ابن عطاء الله السكندرى – التنوير فى إسقاط التدبير ص ٣ – ١٠

عبارة عن مادة ، وأن كل الاكتشافات العلمية لم تدل على أثر للخالق [١] .

ومعنى ذلك أنهم اخترعوا لنا قانونا استبدلوه بقانون الله فى الأرض ، وقالوا أنه لا ضرورة بافتراض وجود الله لتفسير الكون حتى أن نجاحهم الجزئى فى الوصول إلى بعض النتائج التى صادفت الصحة فى التطبيق العملى جعلت أحد المفكرين يقول :

« اعطونى المادة ولسوف أعلمكم كيف خلق الكون منها » .

ويعلن هيجل فى غرور : « إنى استطيع خلق الإنسان لو أعطيت الماء والمواد الكيماوية والغذاء اللازم » ، ويصرخ نيتشه صرخة هيستيرية : قائلا : « لقد مات الإله الآن » .

ولقد ظن هؤلاء العلماء أن وراء الأعمال والأفعال تفسيرا علميا توصلوا اليه بتدبيرهم ووصلوا إليه بجهدهم وتعرفوا عليه بتجاريبهم وأفكارهم العلمية والعملية .

والواقع أنهم خلطوا بين التأمل فى الطبيعة وبين تفسيرها ، فالله تعالى قد حث الإنسان على البحث والتأمل والدراسة لهذا الكون ، وكلما تأمل الإنسان ودرس وبحث اتضحت له موادا جديدة وفكرا متجددا يأخذه من آيات الله فى الكون والطبيعة .

ولكن الإنسان لم يصل ولن يصل إلى تفسير حقائق الوجود لأن الطبيعة من خلق الله وعلم الله ، وكل ما يستطيع أن يصل إليه هو دراسة هذه الطبيعة ، لكنه لا يستطيع تفسيرها بأى قانون إنسانى أو علمى أو بشرى .

لقد خلطوا هؤلاء العلماء بين التدبير فى شأن المادة ، وهى تحتاج إلى تجارب عديدة ، وبين خالق هذه المادة الذى لا يمكن الوصول إليه ، والتعرف عليه وعلى ماهيته عن طريق التجربة والاستنباط العلمى [٢] .

وإذا فشل هؤلاء العلماء فى التعرف على آثار الله فإن ذلك لا يدل إلا على غشاوة قلوبهم ، وعمى فى أبصارهم ، وفساد فى أمزجتهم ، واختلال فى موازين عقولهم ، حتى أن هذا الإنسان الضعيف اغتر وكفر وتكبر وتجبر فاعتقد أنه يملك

(١) وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ٤٦ وما بعدها

(٢) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ٤٦ وما بعدها .

الأدوات التى تمكنه من تدبير الكون بلا مساعدة ومعرفة ماهية الطبيعة بلا خالق ، وهذا كذب وافتراء وضلال مبين ،

إن الأساس اللازم للعبد الصالح الذى يريد أن يبنى ولا يهدم ، وأن يصلح ولا يفسد ، هو أن يترك التدبير مع الله ، ولا ينازعه فى ملكه ، وعليه أن يقر بأنه الخالق العالم ، الحكيم الرحيم ، الذى يمهل ولا يهمل ، وعليه أيضا أن يسقط الاختيار ، إذ أن ما لله لا ينبغى أن يكون للانسان ، فمهما تقدم الإنسان من الناحية المادية ، فإنه لن يتقدم إلا بمشيئة الله ، ومهما وصل إلى مخترعات ومكتشفات فإنما يخضع لتدبير الله وحكمة الله ، فهو الذى يسيره ، وهو الذى يحركه ويقوده رضى بذلك أم أبى ، أسقط التدبير مع الله أم طغى وتكبر ، ذلك هو حكم الله فى الأرض ، ومن ادعى التدبير مع الله فهو مشرك ومدعى للربوبية ، جاهل بنفسه ، وحاله ومقامه وربه جميعا .

فالذى يدبر مع الله مثله كمثل الذى يدبر فى ملك غيره ، فالله سبحانه وتعالى يدبر فى الدارين ، فى الدنيا والآخرة ، والمؤمن هو الذى يستسلم لله ظاهرا وباطنا ، ويجد حلاوة الإيمان بالرضا واسقاط التدبير ، أما الكافر فلا يدرك حلاوة الإيمان ومذاق التقوى لأنه صورة لا روح فيها ، وظاهر لا باطن له ، وشكل لا حقيقة فيه [١] .

والمؤمن يسعى فى الأرض يعمل ويجاهد ويفكر ويتأمل فى الطبيعة ، ويستحدث صناعات ويهتدى إلى مخترعات وأساليب جديدة لتيسير الحياة وتبسيطها ، واستخدام أدوات جديدة ليعمر الأرض ، ولكنه فى نفس الوقت يعلم أن سعيه واجتهاده بمشيئة الله وتوفيقه ، مستسلما لحسن تدبير واختيار الله ، وبذلك يجد لذة فى عيشه وراحة فى تفويض أمره إلى الله ، فيرضى بالله ربا ، ويستمد منه عونه فى علمه وعمله ، وكل إنسان سليم النفس طاهر القلب يشعر بحلاوة وصحة الإيمان وسلامة الذوق ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا باسقاط التدبير ، والتوكل على الله .

---

(١) الشيخ ابن عطاء السكندرى - التغوير فى اسقاط التدبير ص : ٣ - ١٠ .

●●● الإسم ●●●

الإسم عند الصوفية هو اسم الله تعالى ، ويرون أن ليس عند الانسان فى الحياة الدنيا من الله تعالى إلا اسمه ، ويحكى عن الشبلى [١] رحمه الله قوله : « ليس مع الخلق منه إلا اسمه » ، كما كان يقول أيضا : « هات من يقول الاسم باستحقاقه قولا » .

ومعنى ذلك أنه لا يوجد بين الناس من ينطق اسم الله تعالى كما يستحق اسمه من الاعزاز والاجلال والاكبار .

ولذلك فإن أئمة الصوفية يهتمون باسم الجلالة ، وكل سالك فى الطريق الصوفى يشتغل فى ورده باسم من أسماء الله الحسنى ، فمنهم من يشتغل باسم الجبار ومنهم من يشتغل باسم القيوم ، وبذى الجلال والاكرام ، والخبير ، واللطيف ، والعليم .

كما يرى الصوفية أن الإسم هو الذى يحكم العبد فى حاله فى الوقت وذلك لأن العبد ربما يشتغل فى حال آخر باسم آخر من أسماء الله الحسنى .

والاسم بهذا المعنى يكون نوعا من العبادة لله تعالى ، كما جاء فى الحديث النبوى الشريف فى قوله ﷺ : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٢] .

ويرى الشيو أنه من الصعوبة بمكان أن ينطق العبد باسم الله وهو متحقق مما يقول ؛ فيقول : تاهت الخليقة فى العلم ، وتاه العلم فى الاسم ، وتاه الاسم فى الذات ، ومعنى ذلك أن الانسان مهما كان عالما ومتحققا فإنه لن يستطيع مهما أوتى من العلم أن يتعرف على حقيقة اسم الله ، كما هو سبحانه عليه من العلو والرفعة .

---

(١) أبو سراج الطوسى - اللمع ص : ٤٢٦ .

(٢) عن زيد بن أرقم وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وأبى نعيم فى الحلمية .

●●● اسم الله الأعظم ●●●

يعتقد غالبية الأئمة والصوفية أن الأولياء والصالحين على علم باسم الله الأعظم يستخدمه كل منهم على قدر معرفته به ، وكما يفتح سبحانه وتعالى عليهم به .

والذى يتكشف له من أسماء الله شيء ويعلم شيئا من حقائقها ، لا يجوز له الاخبار عنها لغير أهلها نظرا لأنه لا سبيل لتصورها على خلاف ما هى عليه ، وأنه لمن الجدير بالذكر أن العلماء والفقهاء عجزوا عن معرفة اسم الله الأعظم ، وذكر كثير منهم أن لفظ الجلالة هو (الله) وبعضهم قرر أنه موجود بين ثنايا فواتح السور ، فإذا أخذ من حرف لا يشبه صاحبه فجمعهن كان اسم الرحمن ، إذا عرف دعا به أحدهم كان الإسم الذى إذا دعا به أجاب .

وقد حدد الحكيم الترمذى [١] الذين على علم باسم الله الأعظم ، وهم عنده طبقتان . . المقربون والصديقون . . ، وأن علم الحروف المقطعة فى فواتح السور القرآنية يقتصر معرفتها عليهما فمن فوقهما من الأنبياء والرسل ، أما غيرهم فعاجزون عن ذلك .

ولاشك أن فواتح السور تعد سرا مغلقا حتى الآن على علماء الظاهر ، وقد حاول كثير من المستشرقين سبر غورها ، وتفهم معانيها إلا أنهم عجزوا وضلّوا سبيل الرشاد ، فأصدروا آراء بعيدة عن الحق ، فمن قائل أنها ليست من القرآن فى شيء ، وإنما هى رموز لمجموعات من المصاحف لأوائل المعلمين ، وهذا الرأى تبناه (نولديك) فى كتاب تاريخ القرآن وتبعه المستشرقان (شفيلد ونول) فى نفس الرأى ، ورد عليهما (لوت وغور) بأنه لا يعقل أن أولئك المسلمين الأتقياء الذين نسخوا المصاحف أن يضيفوا إلى كلام الله ما ليس منه أو أن يقروا اضافة عليه وهناك آراء فجة أخرى لا تفيدنا فى دراستنا [٢] .

ولقد وردت هذه الفواتح فى تسع وعشرين سورة من القرآن ، وقد رتب بعض الباحثين السور التى ابتدأت بها ووضع جدولا لها ـ وهذه الطوالع

---

(١) عبد الفتاح بركه - الحكيم الترمذى - الجزء الثانى ص : ٦٦ - ١٨٤ مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) دكتور محمد غلاب - هذا هو الاسلام - ص١٠٧ - كتاب الشعب .

يستخدمها بعض السحرة فى أوفاقهم وأحجبتهم ، وهى عبارة عن أربعة عشر حرفا من الحروف الهجائية صيغت فى أربعة عشر سورة من السور القرآنية المختلفة وهى :

ص ، ق ، ن ، طه ، يس ، حم ، ألم ، الر ، طسم ، المص ، المر ، كهيمص ، حمعق .

ويبدو أن الصوفية على اختلاف طوائفهم يتسخدمون لفظ الجلالة باعتباره اسم الله الأعظم ، فمن المعتقد أنه اسم جامع لمعان أسماء الله الحسنى كلها ، وهو سلطان الأسماء كلها عندهم ، فلو حذفت منه اللام أصبح « اله » وإذا حذفت اللامين نطق « آه» وإذا حذفت منه اللام والهاء نطق باسم سريانى عظيم هو « ال » وإذا أسقطت الألف واللامين نطق هو « هُـ » وهو اسم ناطق من أسماء الذات العلية وجامع لجميع الأسماء وجميعها متعلق به .

ويرى بعض المتصوفة أن هذا الاسم صالح لشفاء جميع الأمراض ولا يجهر عن تكشف له اسم الله الأعظم به ، إشفاقا على من حجب عنه العلم ، فهو مأمور بكتمانه عن الآخرين ، وإن استخدمه لابد أن يكون فى عمل الطاعات وصالح الأعمال وإلا رفع عن صاحبه .

ويرى بعض الصوفية أن اسم الله الأعظم داخل الأشكال السبعة التى يستخدمونها كرقى للمرضى وأصحاب الحاجات من باب عمل الخير وعلاج المرضى وقضاء الحاجات .

●●● استخدام اسم الله ●●●

يعتقد أهل الطريق الصوفى أنه عن طريق استخدام اسم الله الأعظم تحقق القوة الروحية فى التصرف فى الأشياء على نحو يماثل تغيير خواص المعادن من خسيسة إلى معادن ثمينة ، كتحويل الرصاص الى ذهب ، ولذلك يسمون اسم الله اكسير الكمياء النفسية بما يحقق من معجزات مادية ومعنوية لا يصل إليه الاكسير المادى فى تأثيره .

وواضح أن هذا النوع من الكمياء لا يمكن أن يستخدمه شخص عادى فلابد أن يكون حاصلا على مقومات العلم اللدنى ، ذلك أن إحالة الأجسام

النوعية من صورة إلى أخرى تختلف عنها تماما ، إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة المعملية [١] .

●●● الإشارة ●●●

إن الوسائل التى يستخدمها عامة الناس فى الاتصالات تكون دائما عن طريق التخاطب أو التحاكى أو المقابلة ، أما أهل الخصوص فيستخدمون الإشارة تعبيرا وإرسالا واستقبالا ويقول أحد ائمة الصوفية : « ما كتب صحيح إلى صحيح ، وما افترقا على الحقيقة » ، ومعنى ذلك أن لغة التخاطب العادية هى وسائل للعامة ، أما الأصحاء أى الصادقين أو العارفين فإنه لا داعى لديهم لهذه المخاطبات ، والمكاتبات ، وإنما طرق الاتصال تكون بالإشارة أو عن طريق الرؤيا أو الالهام أو بأمر عادى أو بطريق التوجه فلا حاجة عندهم إلى مثل أدواتنا الحسية ، وفى نفس الوقت لا يبتعد عن الحقيقة بمعنى أن الاتصال بين الأولياء يتم عن طريق القلب مع حضوره وشفافيته ، فيلقى فى روع الولى كل ما يطلبه بطريق الإشارة [٢] .

وبهذا المعنى أيضا يشير صاحب اللمع ، فالإشارة هى ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة وذلك لدقة ولطافة معناه ، ويقول أبوعلى على الروزبارى : « علْمنا هذا إشارة فإذا كان عبارة خفى [٣] .

وقد سأل بعض المتكلمين أبا العباس بن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية قد اشتققتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد ، هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب [٤] .

فقال : ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ، وغيرته علينا ثم اندفع يقول

إذا أهل العبارة ساءلونا — أجبناهم بأعلام الإشارة

نشير بها فنجعلها غموضا — تقتصر عنه ترجمة العبارة

(١) د . بركة . الحكيم الترمذى جـ٢ ص٦٦ - ٨٥ .

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٤ - ٤٣

(٣) الامام السراج الطوسى - اللمع ص٤١٤ .

(٤) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص٨٩ - تحقيق د عبد الحليم محمود .

ونشهدها وتشهدنا سرورا — له فى كل جارحة إثارة
ترى الأقوال فى الأحوال أسرى — كأسر العارفين ذوى الخسارة

ويوضح لنا الشعرانى [١] فى اليواقيت والجواهر السبب الذى من أجله استخدم الصوفية إشارتهم فيقول : إن الفقيه إذا لم يوفق يقال أنه أخطأ ، أما الصوفى فإنه عندما لا يوفق يقال إنه كفر ، لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد انكار العامة لهم .

أما الإمام القشيرى [٢] فيدافع عن أهل الحق ويناصرهم عندما يجهر بالقول : نعم ما فعل القوم من الرموز ، لأنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيفتنوا أنفسهم أو يفتنوا غيرهم .

ونضرب مثلا لبعض الإشارات المتعارف عليها بين أهل الحق ومعناها الظاهرى والصوفى :

	المعنى اللغوى	المعنى الصوفى
الصمت [٣] :	ترك الكلام بغير ذكر الله	سرصمت الضمير عن جميع التفاصيل
السهر :	عدم النوم	عدم الغفلة
العزلة :	جوع الأبرار لكمال السلوك	جوع المقربين لموارد الإنس

●●● الإشراق ●●●

يستخدم شهاب الدين السهروردى المقتول وهو صاحب مذهب الاشراق الذى يدين بوحدانية الله ويعتمد على الاسلام كمصدر أساسى يستقى منه .

---

(١) الامام الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ ص١٩

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص ٢٤

(٣) فى مختار الصحاح - الصمت بمعنى سكت وسهر بمعنى أرق والعزلة عبادة .

لفظ الاشراق ومذهبه الاشراقى يقوم أساسا على فكرة نور الأنوار [١]، فهو فى رحلته الصوفية يتكلم بتعبيرات واصطلاحات غريبة ، وفى كتابه ، « هياكل النور » يقول فى الإشراق : يا قيوم ، أيدنا بالنور ، وثبتنا على النور ، واحشرنا إلى النور ، واجعل منتهى مطالبنا رضاك ، وأقصى مقاصدنا ما يعدنا لأن نلقاك ، ظلمنا نفوسنا ، لست على الفيض بضنين ، أسارى الظلمات ، بالباب قيام ينتظرون الرحمة ، دأبك اللهم ، والشر قضاؤك ، وأنت بالمجد السنى مقتضى المكارم ، وأبناء النواسيت ، ليسوا بمراتب الانتقام ، بارك اللهم فى الذكر ، وادفع السوء ، ووفق المحسنين ، وصلى على المصطفى واله أجمعين [٢].

ولا يمكن أن نتجاهل أن السهر وردى يستخدم تعبيرات وألفاظا من فلسفات وديانات أخرى ، استعارها من الفكر الأفلاطونى متأثرا بنظرية الصدور والفيوضات ، إلا أنه يشفع له اعترافه الصريح بالشريعة المحمدية ، وإيمانه المطلق بالله تعالى الذى يراه نور الأنوار ، فهو محب قد أشرقت نفسه بحب الله فتاه فى بيداء العشق الإلهي فنطق بألفاظ لم يكن يقصدها إنما صدرت عنه فى لحظة وجد وشطح .

ويمكن القول أن تطور السالك فى المذهب الإشراقى إنما يتضمنه الطريق الصوفى بشكل أو آخر ، حيث أن التجربة الذوقية توفر للسالك مزيدا من المكاشفات ، والفتوحات فيعبر عنها تعبيرا يمكن أن يكون غريبا على أذن السامع .

●●● الإصطناع ●●●

يقال فى اللغة اصطنعه أى اتخذه ، فهو صنيعه ، كما يقال صنع الله لفلان ، أى أحسن اليه وأثابه ، ويقال بهذا المعنى فيما يتعلق بالمادة وما يصنعه الناس من الأبنية والقباب والمصانع ، ولقد ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم على وجه التخصيص فى قوله تعالى للنبى موسى عليه السلام « وأصطنعتك لنفسى » [٣] .

---

(١) د محمد أبو ريان - الفلسفة الاشراقية ص١٠ - ٥٠

(٢) السهر وردى - هياكل النور - تقديم وتحقيق د محمد على أبو ريان ص ٧ - ٥٢

(٣) طه ٤١

فالاصطناع بهذا المعنى مرتبة أو مقام عال خص به الله تعالى الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ كما خص الصديقون به .

ويرى أبوسعيد الخراز [١] ـ رحمة الله ـ « أن أول باد من الحق تعالى قد أخفاهم فى أنفسهم ، وأمات أنفسهم فى أنفسهم ، واصطنعهم لنفسه ، وهذا أول دخول فى التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديمومية .

ومعنى ذلك أن الاصطناع هو مقام يكون فيه السالك إلى الله تعالى قد تخلى من جميع أوصافه المذمومة ، ومن هوى نفسه وشهواتها ، وبقى فى الله ومن الله ولله وبالله .

وهنا يكون عبدا ربانيا طائعا مطيعا ، صدوقا وصديقا ، فلا ينظر الا لله ولا يبصر إلا بعين الله ، ولا يرى إلا بنور الله ، وقد اكتملت ولايته واستحقت صديقيته ، ولكن الاصطناع ليس معناه ألا يبتلى النبى أو الولى ، ولكن الله يبتليه ليعلمه من لدنه علما ويختبره بنعمه ، ويمتحنه بمنته ، ولم يسلم نبى ولا ولى من محنته ولا سلم أحد فى منته من فتنته [٢] ، فلو أن الله سبحانه وتعالى يصطنع هذا النبى أو الولى لنفسه الا أنه يمتحنه ويختبره فيما يمن عليه من عطايا ، وفيما يفيض عليه من نعم ورحمات ، ولذلك فان الانبياء أكثر الناس بل أشدهم ابتلاء من الله

●●● الإصطلام ●●●

فى الطريق الصوفى وعندما يسلك المريد الصادق طريق الله ، ويخلص فى ظاهره وباطنه ، ويكون قلبه قد أشرق بنور الحق فيلقى اليه العلم الهاما ، فيبقى لحظات فى حالة وجد غامر إذا زاد هذا الوجد ، كان ولها ، ثم هو فى نفس الوقت أيضا يسمى عند الصوفية اصطلاما ، لأن القلب هنا يكون مشغولا بسلطان الولد وساكن اليه . [٣]

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص٤٤٧

(٢) المرجع السابق

(٣) الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى (كتاب اصطلاحات الصوفية)

والاصطلام كما يراه صاحب اللمع [١] وجد غامر يرد على العقول فيسلبها ويستلبها بقوة سلطانه وقهره ، فهناك قلب يمتحنه الله سبحانه وتعالى بمختلف الامتحانات والاختبارات والابتلاءات ثم هناك قلب مصطلم ، أى تلقى اليه المغيبات والتجليات والحقائق والمعارف والمنن والعطايا والمنح والفتوحات والكشوفات ، وإذا وقع الاصطلام على هذا القلب يذهب عنه وعيه ، ويطمس عنه عقله ، ويقول أحد الصوفية فى ذلك :

إذا ما بدت تعاظمتها فأصدر فى الحال من لم يرد
فيصطلم الكل منى بها ويحجب عنى بها ما أجد

●●● الأصطفاء ●●●

معنى الاصطفاء هو الاجتباء ، فالعبد المجتبى هو منذ بداية أمره رهن لقبضة الالهية [٢] ، ويرى الحكيم الترمذى أن المجتبى هو المصطفى ، وهو الذى فى أول أمره لم تذهب نفسه بعد بحيث تصلح لما أعد لها من مرتبة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لحلت هذه النفس مقاما عزيزا مكرما ، ولذلك فانه يحال بين المجتبى وبين نفسه حيلولة كاملة ، حتى لا تشارك القلب فى عطاياه ويتولى الحق تعالى هذه النفس بالعناية ، ويفيض عليها قليلا قليلا على قدر ما تتحمله من أنوار العطاء الالهى ، حتى يزال عنها الهوى وحلاوة شهوات الدنيا ، ثم يسكرها الله تعالى بحلاوة العطاء وحلاوة القربة ، وحينئذ تصل إلى مقام القربة العظمى ، فتؤخذ فيه ما يؤخذ به القلب ، فلا يصبح هناك حائل بين القلب وبينها لأنها أصبحت طائعة لا تقدر هذه النفس أن تدنس القلب بشهواتها ، حيث لا طلب ولا شهوة لها ، لأن كل شىء أصبح بمشيئة الله وبقدرة الله ، وأصبحت هذه النفس سالمة مستسلمة لله ، وعندئذ ننتقل مع القلب من ملك إلى ملك ، ومن مرتبة إلى مرتبة حتى تصل إلى مقام الصديقية العظمى ، وهو المكان الذى رتب لهذه النفس بين يديه تعالى ، فتصل إلى هذه المنزلة ويفتح لها ، ثم ترجع فتصير فى قبضته سبحانه وتعالى .

---

(١) الشيخ السراج الطوسى - اللمع ص ٤٥٠

(٢) د . عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص : ١١٨

ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز « واجتبيناهم وهديناهم »[١] فالاصطفاء اجتباء من الله وهداية منه تعالى ، ويقول الله تعالى أيضا « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »[٢] .

وقال الواسطى رحمه الله : ابتدأك بنفسه ، واصطفاك لنفسه ، فمن استعظم ذلك حسنت اخطار نفسه فيها بذلت ، فان قابلته بنفس العناية تضمنك ما منه من الهداية .[٣]

●●● الإلهام ●●●

يرى الامام أبوحامد الغزالى[٤] أن معرفة الله ليست عن طريق ذكر الاسماء والصفات والحركات والسكنات وطرق التشبيه والتعليم ، والاستنباط والقياس ، فمهما كان هذا الطريق واضحا فانه قاصر عن معرفة الله ، بل أنه طريق وهمى وتشبيه لله تعالى ، فالله حى ولكن ليس كالاحياء ، قادر ولكن ليس كالقادرين ، والسبيل الحق الى معرفته باقرارك بعجزك عن معرفته ، كما عليك أن تعرف الحقائق التى يعرفها أهل الله وعباد الرحمن ، وهى أنهم لا يمكنهم معرفته على حقيقته عز وعلا ، فمعرفة الله بصفاته وذاته لا يعرفها إلا الله تعالى نفسه .

والعارفون من أهل الله يكشف لهم طريق الالهامات أن الله تعالى فوق كل تصور وأكبر من كل تصوير ، وقد أشار إلى ذلك سيدنا أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حين قال : العجز عن درك الإدراك ادراك .

وقد يكشف لبعض الصادقين عن طريق الالهامات بعض علم الله تعالى ، وعجائب قدراته وبدائع آياته فى الدنيا والآخرة ، ولذلك يتفاوت الناس فى العلم والمعرفة ، ولا نتوقف المنن الالهية ولا العطايا الربانية ، فهى لا نهاية لها

والعلم الالهامى يختلف عن العلم الكسبى فى أن الأخير يحتاج الى درس وتحصيل وصبر حتى يحصل المريد فيه على بغيته ، أما العلم الالهامى فهو نور

---

(١) الانعام : ٨٧ .   (٢) الحج : ٧٥ .

(٣) السراج الطوسى - اللمع ص ٤٤٧

(٤) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠ .

يقذفه الله فى قلب المؤمن فيصبح علما وعالما ومعلوما جميعا ، والقلب الصادق مرآة مستمدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق بالأمور كلها ، وانما لا يحصل القلب على العلم الالهامى لاسباب عديدة هى :

١ ـ إما النقصان فى القلب ذاته ، كقلب الطفل إذ لا تتجلى له العلوم لضعفه ونقصه .

٢ ـ أو نتيجة لارتكاب الآثام وعمل المعاصى والخبث ، فيتراكم ذلك كله على وجه القلب ، فيمنع صفاء القلب ، ويمتنع بذلك ظهور الحق فيه لظلمته وظلامه .

٣ ـ لا تزول عن القلب هذه الظلمة إلا اذا اتبع الانسان عمله بحسنة يمحو بها السيئة ، وبذا يشرق القلب ، وعلى العكس فانه إذا تقدمت السيئة سقطت الحسنة .

فالاقبال على الطاعة والاعراض عن الشهوات ، هو الذى يجعل القلب صافيا مستعدا لأن يتقبل الحقائق .

٤ ـ ألا يكون القلب محققا للغايات الروحية ، أى لا يكون منصرفا الى التأمل فى الحضرة الوجودية ، أو فى الحقائق الالهية ، فلا ينكشف له شيء من هذه الحقائق ، وذلك نتيجة لآفات فى عمله وعيوب فى نفسه ، أو مصلحة أو منفعة دنيوية يفكر بها وينصرف ذهنه اليها ، ولو كانت ليست من المحرمات أو من قاذورات الشهوات ، إلا أنها مع ذلك تمنع الكشف الحقيقى .

إذا كان الانسان مقلدا ومحاكيا غيره نتيجة للتربية والاعتقاد ، ومن ثم تكون هذه الاعتقادات التقليدية والآراء المتوارثة قد جمدت فى نفوس أصحابها ورسخت فى قلوبهم ، فتصير حجابا بينهم وبين ادراك الحقائق ، ويسمى ذلك بالحجب [١] ، وهذا ما نجده عند كثير من المتعلمين ، وأصحاب التعصب للمذهب ، وكذلك أكثر علماء الكلام .

٦ ـ الجهل بالمطلوب ، فلا يمكن لطالب المعرفة أن يحصل على المعرفة الا بالاعتماد على معارف أخرى ، فكل علم مراد لا يحصل إلا من علمين سابقين ويحصل من أزدواجهما علم ثالث [٢] .

---

(١) راجع بالكتاب الحجاب .

(٢) الامام ابن حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠

وعن العلم الالهامى يتكلم الامام أبوحامد الغزالى كلاما يتبين منه أن العلوم الوهبية غير العلوم الكسبية ، وأن أهل الذوق غير أهل النظر والعقل ويقول فى هذا : لما أردت أن أنخرط فى سلكهم ، وأخذ مأخذهم ، وأغترف من البحر الذى اغترفوا منه ، خلوت بنفسى واعتزلت عن نظرى ، وشغلت نفسى بالذكر فأنقدح لى من العلم ما لم يكن عندى ، ففرحت بذلك وقلت أنه حصل لى ما حصل للقوم فتأملت فيه ، قوة فقهية ، مما كنت عليه قبل ذلك فعلمت أنه بعض ما خلص لى ، فعدت إلى خلوتى وأستعملت ما أستعمله القوم فوجدت مثل ما وجده القوم فعاودت ذلك مرارا والحال الحال ، فتميزت عن سائر النظار أصحاب الأفكار (العلماء) بهذا القدر ، ولم الحق بدرجة القوم فى ذلك ، وعلمت أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول والطهارة الأولى .

وحجة الاسلام يفرق فى الاحياء بين نوعين من العلوم ، علم اكتسابى هو محل النظر والدروس والتحصيل ، وعلم الهامى وهذا العلم ينقسم بدوره إلى قسمين أما أن يكون وحيا فهو للانبياء والمرسلين ، وأما أن يكون إلهاما فهو للأولياء والصالحين ، وهذا العلم الالهامى منحه من لدنه تعالى ، ويعتبر من خوارق العادات ومن غير المألوف للطبائع البشرية ، ذلك ما نجده حقا عند الأولياء والصالحين الذين يكتبون لنا كتبا ورسائل لا يمكن كتابتها ولا تدوينها فى تلك الفترة التى يعيشها الانسان على الأرض ، وقد عاش الامام الغزالى نيفا وخمسين عاما ألف فيها كتبا عديدة كالاحياء لعلوم الدين ، ومكاشفة القلوب ، والاقتصاد فى الاعتقاد وغيرها كثير ، والاحياء وحده جمع بين علوم عديدة يعجز المرء عن معرفتها فى مدة طالت أم قصرت ، ولا يمكن أن يقال إلا أن هذا الكتاب قد كتب بوحى الهامى ، وكذلك الحال بالنسبة للشيخ الأكبر محى الدين بن العربى الذى كتب لنا الفتوحات الملكية ، وهى معارف وعلوم تحتاج عصرا لدراستها فكيف يتسنى لصاحبها أن يكتبها فى حقبة يسيرة من الزمن إلا اذا كان الهاما .

ويقول الامام الشعرانى [1] « أنه لو كانت العلوم الالهامية ويسميها علوم الوجد فى مقابل علوم الكسب ، لو كانت هذه العلوم نتيجة للفكر أو النظر إذن

---

(١) الامام الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ ص : ٣ - ١١ .

لإنحصرت فى أقرب مدة ولكنها موارد تتولى من الرب على خاطر العبد ، والحق تعالى وهاب على الدوام ، فياض على الاستمرار ، والمحل قابل على الدوام فإما يقبل الجهل وأما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها ، فإذا صفا القلب حصل له من العلم فى اللحظة الواحدة ما لايقدر على كتابته فى أزمنة متطاولة ، وذلك لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس ، ولذلك قال الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ فى كتابه العزيز « وقل ربى زدنى علما » [١].

ويقصد الامام الشعرانى به العلم الالهامى ، وليس العلم الكسبى ، ويفرق الشعرانى بين وحى الكلام ووحى العبارة والاشارة ، ويقول : يا أخى هناك فرق بين وحى الكلام ووحى الإلهام ، فاذا عرفت تكن من أهل ذى الجلال والاكرام » .

ويورد الشعرانى نقلا عن الشيخ الأكبر محى الدين بن العربى قوله : « إن جميع ما أكتبه فى تأليفى ليس هو عن رؤية وفكر وإنما هو نفث من روحى ، على يد ملك الالهام » .

وفى موضع آخر يقول : « إن جميع ما كتبته وأكتبه فى هذا الكتاب إنما هو من املاء الهى ، وإلقاء ربانى ، ونفث روحانى فى روح كيانى ، كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم ، لا بحكم الاستقلال » [٢] .

ويقول الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى الباب التاسع والثمانين من الفتوحات « واعلموا أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى ، وإنما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره ، وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ، ولا ما بعده ، وذلك شبيه بقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » [٣] :

ويقول فى موضع آخر من الباب الثانى من الفتوحات « أن العارفين إنما كانوا لا يتقيدون من كلام على ما بوبوا عليه فقط لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية ، مراقبة لما يبرز ـ منها ، فمهما برز لها أو بادرت لامتثاله وآلفته على حسب ما حب لها ، فقد تلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه ، امتثالا لأمر ربها » .

---

(١) طه : ١١٤ (٣) البقرة : ٢٣٨

(٢) الإمام الشعرانى - اليواقيت والجواهر - (الكبريت الأحمر هامش الكتاب) ص : ٣ - ١١

وفى هذا المعنى يفرق الشيخ محيي الدين بن عربى بين العلم النظرى وبين العلم الإلهامى ، ويتجه إلى محاريب الله بروحه ومهابط إلهامه متفكرا فى خلق السموات والأرض ، كما يتجه إلى طريق الذكر الدائم المطهر الملهم ، وفعلاً نفذ أبن عربى أفكاره علميا ، قاصداً الوصول عن طريق السلوك والمجاهدة إلى العلم الإلهى وقد حدد لنفسه وللسالكين الطريق والغاية وأعلن أن هناك مسائل سبع يختص بعلمها أهل الحق قولا وفعلا ، والتى إذا عرفها السالك فإنه لا يقف أمامه شيء من علم الحقائق ، وهى معرفة التجليات ، ومعرفة كمال الوجود ، ومعرفة خطاب الحق ، بلسان للشرع، ومعرفة الإنسان من جهة الحقائق ، ومعرفة كشف الكلام ، ومعرفة العلل والأدوية .

لقد سلك ابن عربى طريق المجاهدة والذوق عاملا عابدا ، فلما وصل إلى نهاية المطاف ، كانت هناك مقابلة بينه وبين ابن رشد ، الذى ظل حياته يعتمد على البحث النظرى فى دائرة العقل العلمى ليصل به إلى الكشف والفتح ، كانت مقابلة رائعة بين طريق النظر وطريق الذوق أو طريق العلم وطريق الإلهام .

سأله ابن رشد ليطمئن على طريقه فى النظر : هل وجدت الأمر فى الكشف والفيض نفس ما أعطاه النظر ؟ . . . .

يرد ابن عربى فى ثقة : نعم . . . ولا . . . وبين نعم . . . ولا مثلما بين المؤمن والكافر ، أو قال : بين نعم . . . ولا ، تطير الأرواح .

ومعنى ذلك أن العقل قد يهدى إلى الله ، ويدرك ويلمس أسرار الكون وعجائبه وآياته ، لكنه يعجز مع ذلك كعقل مجرد عن الوصول إلى القمة ، فينحدر وينزلق ويضل فى المتشابهات والعبادات الربانية .

وإن ما قاله ابن عربى لابن رشد فى هذا الرد يدل على أن المقدمات أو البدايات فى طريق الذوق والنظر إنما هى واحدة ، فالتصوف والعلم النظرى لا يوجد بينهما معارضة فى الوصول إلى الله ، إلا أن النهايات ليست واحدة فى كل الأحوال ، فالعقل عند ابن عربى قد يهدى إلى الله ولكنه بعد الوصول إلى القمة ينحدر وينزلق ويضل فى المتشابهات ، ولكن بالنسبة للعلوم الإلهامية فإن من يدخل الخلوة جاهلا ، يخرج منها مرشدا ، ذلك لأن العلم الإلهامى إنما يقذف من الحق فى قلب العبد ، فيصبح علما وعالما ومعلوما جميعا ، وشتان بين

علم الله وبين علم غير الله

●●● الإمامان « النائبان » ●●●

هما مساعد القطب (الغوث) ونائباه فى أمور الحكومة الباطنية [١] ولهما وجود فعلى فى الدنيا ، ويصح أن لا يعلم بها أحد على الاطلاق .

وهما اللذان يحفظ بهما الله عالم الغيب والشهادة وهو ما يدرك بالحس .

ويرى الشيخ بنانى [٢] أن النائبين من الأفراد ينوبان عن القطب فى عالم الغيب حتى يمكن أن يكون القطب منصرفا ومكلفا بعالم الشهادة الذى هو محل دعوة الرسول ﷺ وانزال الشرائع ، وأما ابن عربى [٣] فيرى أن الله جعل منزل القطب من الحضرة منزل للسر ، وجعل الإمام الذى عن يسار القطب صاحب منزل الجلال والأنس وعنده صلاح العالم وبيده المقاليد وهو السيد الطاهر وهو بمثابة سيف القطب .

ويروى صاحب روض الرياحين [٤] أن ثلاثمائة هم الأولياء ، سبعون هم النجباء ، وأربعون هم أوتاد الأرض ، وعشرة هم النقباء ، وسبعة هم العرفاء ، وثلاثة هم المختارون ، وواحد منهم هو الغوث ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ

وفى رأى ابن عربى [٥] أن الإمامين هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره فى الملكوت ، والآخر عن يساره ونظره إلى الملك ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو الذى يخلف الغوث .

---

(١) راجع للمؤلف الحكومة الباطنية
(٢) الشيخ محمد بنانى - مدراج السلوك الى مالك الملوك ص ٣٤
(٣) رسائل ابن العربى - منزل القطبية (دار إحياء التراث العربى)
(٤) الامام اليافعى - روض الرياحين ص ١٦ ، ١٧
(٥) الشيخ الاكبر ابن عربى - الفتوحات - السفر الثانى ص ٤٠٠

••• الإمتحان •••

يختبر الله سبحانه وتعالى السالك فى طريق الله والقلوب المتجهة إليه تعالى بشتى أنواع الابتلاء ، وهذا الامتحان إنما هو اختبار إما أن ينجح السالك فيه أو يفشل ، لأن الامتحان يخضع فيه لبعض المنن والمنح والعطايا ، أو بعض التجارب القاسية كنقص فى المال أو العافية ، أو الجاه ، أو غير ذلك .

وهنا يتعرف الله سبحانه وتعالى ـ من خلال ذلك على قلب عبده المؤمن فإذا شكر وحمد وصبر وسكن ورضى فإن الله يمنحه بعض حقائقه ، ويفيض عليه بدرجات عليا ومقامات سامية لصبره ورجائه ، وتوكله وورعه ولإسقاطه التدبير مع الله .

أما إذا امتحن الله عبدا من عباده فشكا واشتكى واعترض واتبع هوى النفس فإن الله ينكسه فيفسد حاله ومقامه ويغضب الله عليه ، حتى يتوب إلى نفسه ، ويرجع عن غيه .

فالامتحان إذن تربية وابتلاء من الحق يحل بالقلوب المقبلة على الله ، ويروى لنا صاحب اللمع [١] عن خير النساج أنه قال « دخلت أحد المساجد فتعلق بى شاب من أصحابنا يقصد (أحد الصوفية) فقال لى : تعطف على إن محنتى عظيمة ، فقلت : وما محنتك ؟ . . . فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة .

فالصوفى يجد فى الابتلاء خير وسيلة لتربية النفس وتجنب هواها وشهواتها والبعد عن طلب الدنيا والاقبال على الله ولله ، فالامتحان صبر وتوكل ورضا واسقاط للتدبر ، ويرى صاحب اللمع أن الامتحان على ثلاثة أنواع ، امتحان لقوم هو عقوبة لهم . . . وامتحان لقوم هو كفارة عن ذنوبهم . . . وامتحان لقوم لرفع منزلتهم ورقى حالهم .

••• أنا أنت وأنت أنا •••

لم يقل أحد الصوفية أنه والله شىء واحد ، بل انهم يفرقون بين مقام

---

(١) الامام السراج الطوسى - اللمع - ص : ٤٤٨ .

العبودية ومقام الربوبية [١] ، إلا أن كثيرا من الصوفية قد اتهموا بالقول بالحلول والاتحاد والوحدة ولم يخرج الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى من هذا الاتهام ، رغم أنه يدافع عن نفسه ويقول أنه يشهد قولا وفعلا أن الله تعالى : إله واحد لاثان له فى ألوهيته ، وأنه تعالى منزه عن الصاحبة والولد ، وأنه مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، وأنه تعالى موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده .

ويدافع بن عربى عن نفسه فيقول : « لقد كتبت ما كتبت وأنا بحمد الله لم أذكر أمرا غير مشروع » ، ويؤيد ذلك أيضا ما كتبه الشعرانى [٢] « أن ما اتهم به ابن عربى من مخالفة الشريعة مدسوس عليه » .

وكأن ابن عربى على علم بما يخبىء له القدر فيدافع عن نفسه ضد القول بالشرك والحلول ، ويشهد المؤمنين على نفسه ، بعد أن يشهد الله وملائكته :

وفى الواقع لم يقل ابن عربى أنا والله شىء واحد وإنى عندما صعدت إليه أصبحت متوحدا به وأمسيت أنا هو وهو أنا ، وإنما قال : « أنا عبد مفتقر إليه سابح فى ملكوته ، غارق فى فيض رحمته ، عارف بضعفى وقلة حيلتى ، مخلص فى سرى وعلانيتى يرقى حتى يدرك أعلى مقام ويهبط حتى يحجب فى بحار عظمته ، ويخاف ويقلق ، ويفزع ويهلع وقبلها كان فرحا سعيدا ، أليس ذلك حال الانسان ، أليس للإنسان أحوال يصعد فيها إلى القمة ويهبط حينا إلى القاع ، ومهما بلغ من رقى العبد فإنه يدرك أنه العبد ولو نسى لحظة فى حال سكر ونشوى ووجد ، فإنه بعدها يستيقظ ويعلم أنه كان فى شطحة من شطحاته .

ولقد ذكر لنا محيى الدين عربى [٣] أنه يفرق بين مقام الربوبية ومقام العبودية ويبين لنا ذلك فى النص الآتى :

لو علمته لم يكن هو
ولو جهلك لم تكن أنت
فبعلمه أوجدك
وبعجزك عبدته

---

(١) نيكلسون - التصوف الاسلامى وتاريخه ص : ٥١ - مكتبة الخانجى .
(٢) الامام عبد الوهاب الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ ص : ٦ (الكبريت الاحمر) .
(٣) الامام محى الدين بن عربى الفتوحات المكية ص : ١ - السفر الاول ، حققه وقدمه د . عثمان يحيى .

فهـــو هـــو هـــوْ ، لا لـك
وأنـــت أنـــت : لأنـت ولـــــه
فأنــــت مرتبـــــط بـــــه
الدائـــــرة ــ مطلقـــــــة ــ
ليســـــت مرتبطــة بالدائــرة
نقطة للدائرة مرتبطة بالدائرة

وهذا النص إنما يبين لنا أنه مهما كان الإنسان عالما فإنه لا يستطيع أن يصل إلى معرفة الله ، وكل معرفة لله إنما هى معرفة ناقصة ، فلو علمته لم يكن هو الله الذى بعقلك ونظرك وقياسك واستنباطك أيها الإنسان قد علمته ، فإن إدراكك كنه الله عز وعلا ، فالعبد مهما بلغ من المقامات عاجز بوسائله المحدودة أن يعلم من هو الله على الحقيقة ، لأن الله تعالى فوق كل تصور ، وأعظم من كل تصوير وأكبر من أن يحده عقل أو خيال أو وهم .

كما أن الله سبحانه وتعالى إذا جهل الانسان ، ما كان الإنسان وما وجد على هذه الأرض لأنه أوجده بعلمه، لذلك فهو لا يجهله لأنه سبحانه وتعالى قدّر له أن يوجد فى هذه الدنيا ، إذن فهو عالم به لأنه مخلوقه الذى صوره فى صورته التى هو عليها .

فالإنسان وجد فى هذه الدنيا ، بل وفى الآخرة على ما قدر له الله فى علمه أن يخلق وأن يحيا وأن يبحث جميعا ، فبعلم الله وجد الإنسان ، وبإدراكه تعالى خلق ، وأحاط به تعالى إحاطة تامة ، وبعجز الإنسان المفتقر إلى الله يسعى لمعرفة الله ولعلم الله ، فالإنسان مفتقر إلى الله الكامل ، والله مستغن عن العالم وعن الخلق جميعا ، فالعاجز هدفه أن يتصل بالكامل ، وأن يكون هذا الاتصال بالتقرب إليه بالعبادة والنوافل . والإنسان جبل على الاحتياج إلى الله لما فيه من الضعف والنقص مما يحتاج معه إلى الكامل ليسد نقصه ويكمل حاجته

ولذلك فإن ابن عربى يقول « وأنت أنت ولا أنت له » ، فالإنسان لا يمكن كمخلوق أن يخرج عن مقامه. فالعبد الصالح أو الطالح لنفسه ولله جميعا . فإذا كان الإنسان صادقا ورعا ، مرتبطا بالله . فإن الإنسان الشرير أيضا مرتبط به

تعالى سواء رضى أم أبى ، فالارتباط بالخالق الذى عن طريقه كان العالم والخلق جميعا ومازال مرتبطا به ، وسوف يرتبط به على الدوام لأنه مالكه وخالقه ومبدعه .

وإذا قال الصوفى « أنا أنت وأنت أنا» فمعنى ذلك أنه فنى عن أوصافه المذمومة وبقيت له أوصافه المحمودة ، وكما يشير إلى ذلك الشبكى [١] حيث قال فى مجلس له :

« يا قوم هذا مجنون بنى عامر كان إذا سئل عن ليلى يقول أنا ليلى ؛ فكيف يغيب بليلى عن ليلى ، حتى يبقى بمشهد ليلى ، ويغيب عن كل معنى سوى ليلى ، ويشهد الأشياء كلها بليلى ، فكيف يدعى من يدعى محبته ، وهو صحيح مميز ، يرجع إلى معلوماته ومألوفاته وحظوظه ، فهيهات أنى له ذلك ، ولم يزهد فى مرة منها ولا زالت عنه صفة من أوصافه ، مع أن بذل المجهود أدنى رتبة عند القوم » .

ومعنى ذلك أنه إذا قال الصوفى فى حالة شطح أو وجد أو سكر ، « أنا أنت وأنت أنا » فلا يقصد بذلك حلولا ولا اتحادا وإنما يقصد أنه لا يرى فى هذا الوجود إلا الله سبحانه وتعالى ، وكما يقول أحد أئمة الصوفية وهو ذو النون المصرى مناجيا ربه قائلا له :

« إلهى . . . . ما أصغيت إلى صوت حيوان ، ولا إلى حفيف شجر ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقعة رعد ، إلا وجدتها شاهدة ، بوحدانيتك دالة على أنه ليس كمثلك شيء » .

ويهتف صوفى آخر قائلا :

ومن أنت ؟ يا ربى أجنبى   فإنى رأيتك بين الحسن والزهر والماء

فلا يقصد الصوفى القول بالحلول أو الاتحاد أو الاندماج والوحدة بين الخالق والمخلوق أو بين العبد وبين الرب ، وإنما المقصود هو شهود قدرة الله وآثاره وعظمته فى العالم بأسره ، وهذا ما نجده فى قول بعضهم :

وفى كل شيء له آية ● تدل على أنه الواحد

---

(١) الامام أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - لجنة نشر التراث الصوفى ص٣٣٤ .

فالصوفية يفرقون بين الله والعالم ، بين الإنسان كعبد وبين الخالق كرب ، ولكنهم فى نفس الوقت يرون أن العالم الظاهر لا وجود له على الحقيقة ، وأن الموجود الحق هو الله لا إله إلا هو ، هذا هو منطقهم ودليلهم فى العمل ، وكما يقول محيى الدين بن عربى فى الفتوحات : « يا من يرانى ولا أراه . . كمْ ذا أراه ولا يرانى » ، فإذا قرأ أحد الطاعنين فى الصوفية هذا البيت فيقول صارخا هذا كفر . . .

ولكن تفسير قول بن عربى هذا ، أن الله سبحانه وتعالى يرانى عاصيا ظالما ، ولكنه لرحمته بى ونعمته على الخلق ، يجعلنى لا أراه تعالى وأنا فى معصيتى وفى شرى وفى خطيئتى ، فأنا منغمس فى الشهوة والخطيئة وهو يرانى ولكنى لا أراه وأنا فى حالى ، من الإثم والفسوق والعصيان ، لأننى لو كنت رأيته وأنا على هذه الحال ما عصيته وما ظلمته ، وإنما لتبت وصدقت توبتى وندمت على ما فعلت ثم أننى أراه متسامحا سبحانه وتعالى ، غفورا رحيما رغم معصيتى ، فهو متسامح أبدا رغم شقاوتى وجرأتى واغترارى وهو جواد على الدوام كريم على الاستمرار ، فهو لا يرانى عاصيا رغم عصيانى ، متجبرا رغم ظلمى وإصرارى ، فهو عالم بى ولكن هناك حلمه ، وهو عارف بى ولكن هناك إحسانه وعفوه ورضاه .

فالذى يقول « أنا أنت وأنت أنا » ، إنما هو متوهم لأنه فى لحظة سكر ووله وشطح لا يستطيع أن يعبر بلفظة العقل عن المعنى القوى فى قلبه ، والإشراق الإلهى الذى احتوى نفسه ، فسقطت عنه الإشارة والعبارة ، ولم يشعر فنطق بكلام ككلام المجانين .

●●● الأنس ●●●

هو فرح وسعادة غامرة تملأ القلب بالمحبوب الذى هو الله ، وهو حال يصل اليه السالك ، معتمدا على الله ، ساكنا اليه ، مستعينا به ، وفى الأنس ترتفع الحشمة وتبقى الهيبة مع الله ، وبذلك يكون الأنس طمأنينة ورضا بالله .

كتب مطرف بن عبدالله بن الشحير [1] إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز كتابا قال فيه :ـ « ليكن انسك بالله وإنقطاعك اليه ، فإن لله تعالى عبادا

---

(١) الامام أبو نعيم - حلية الاولياء المجلد الثانى ص١٧٨ وما بعدها .

أستأنسوا بالله فكانوا فى وحدتهم أشد إستئناسا من الناس فى كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس ، ما آنس يكونون ، وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون » .

وأهل الأنس على أحوال ثلاثة :ـ

١ ـ منهم من يأنس بالذكر ويستوحش من الغفلة ، وآنس بالطاعة

٢ ـ منهم من آنس بالله وأستوحش ما سوى الله .

منهم من ذهب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب ، والتعصم من الأنس .

وقد حكى عن داوود الطائى (متوفى ١٦٥ هـ) أن أحد الدراويش رآه مرة مبتسما فقال له : يا أبا سليمان من أين لك هذا الإنشراح . . ؟ . . فقال داوود : « أعطونى الصباح شرابا يقال له شراب الأنس ، فاليوم يوم عيد أسلمت نفسى للإبتهاج فيه [١] .

ويبين لنا الأمام الغزالى[٢] أن الانس والخوف والشوق من آثار المحبة ، بيد أنها جميعا تختلف بحسب نظرة المريد الصادق وما يغلب عليه فى وقته . فإذا غلب عليه الشوق كان واجداً ولِها ، ويسمى ذلك انزعاجا ، كما أنه إذا غلب على المريد الصادق الفرح بالقرب من الله ، ومشاهدة أنواره بكشف منه تعالى ، وكان حاضرا بقلبه متطلعا الى الجمال ، غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد ، إستبشر القلب ، ويسمى ذلك الإستبشار آنا .

كذلك إذا كان المريد الصادق موجها نظره الى صفات العز لله تعالى ، وخطر فى نفسه خاطر زوال هذه النعمة والبعد عنها ، تألم قلبه ، وإستشعر بذلك ، فيسمى تألمه خوفا .

واذا غلب على حاله الأنس لم تكن له رغبة إلا فى العزلة والخسارة والإنفراد ، وذلك كما حدث لابراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ فقد سئل مرة : من أين أقبلت ؟ . . . فقال : من الأنس بالله . . . .

---

(١) نيكلسون - فى التصوف الاسلامى - وتاريخه تعليق د . أبو العلا عفيفى .

(٢) الامام أبى حامد الغزالى - أحياء علوم الدين جـ١٤ ص : ٢٦٤٦ - ٢٦٤٧ مطابع الشعب .

ذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش ، أى شعور بالغربة مع غير الله ، ولهذا فإن أثقل الأشياء على المريد الصادق أن يجد فى قلبه ما يعوق تلك الخلوة بالله ولذلك يقول أحد الصوفية . « يامن آنسنى بذكره ، وأوحشنى من خلقه » . وقال بعض الحكماء « عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا »؟ عجبا للقلوب كيف أستأنست بسواك عنك ؟» .

وعلامة الأنس ضيق فى الصدر من معاشرة الخلق ، والتبرم منهم ، وعدم الاحساس بعذوبة الذكر فى مجلسهم ، واذا اجتمع الانس بالناس فهو وحيد مع الجماعة ، وجالس بينهم فى وحدة ، كأنه غريب فى مدينة ، وحاضر فى سفر ، وشاهد فى غيبة ، وغائب فى حضور ، يخالط الناس بالبدن لكنه منفرد بنفسه وبقلبه ، مستغرق فى عذوبة الذكر .

ويروى عن على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه [١] قوله فى وصف أصحاب الأنس بالله : وهم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما أستوعر المترفون ، وآنسوا بما أستوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدينا بأبدان ، أرواحهم معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة الى دينه » .

هذه هى علامات الأنس بالله ، وهذه حقائقها ومعناها .

●●● الأوتاد ●●●

يرى بعض أئمة الصوفية أن الاوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال ، والامام أخص منهم ، والقطب أخص الجماعة [٢] والأوتاد الأربعة فى الكون يمثلون عيسى وادريس وموسى وهارون والخضر عليهم السلام .

---

(١) الامام السراج الطوسى - اللمع .

(٢) الشيخ محى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى (كتاب اصطلاح الصوفية) دار أحياء التراث العربى .

وهم وزراء الغوث [١] ومساعدوه فى أمور الحكومة الباطنية ويحفظ الله لهم الجهات الأربعة الجنوب والشمال والشرق والغرب .

ويذكر الشعرانى [٢] أن الآية الكريمة « ألم نجعل من الأرض مهادا والجبال أوتادا » [٣] هى تأييد لوجود الأوتاد ، كما فسرها كذلك الشيخ محى الدين بن عربى ، ويقول أن الترمذى الحكيم رضى الله عنه كان من الأوتاد .

والأوتاد قد بلغوا ووصلوا وثبتت أقدامهم وأركانهم ، أما الأبدال فإنهم يتقلبون من حال الى حال .

وذكر أحد الباحثين [٤] أنه قد ذكرت روايات وأحاديث عن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ تشير الى وجود الأبدال بالشام على أنهم ثلاثون ومرة ستون ومرة سبعون وأخرى غير محددين ، ويلاحظ من هذه الاحاديث أنه لا يذكر غير الأبدال أو البدلاء ولم يذكر غيرهم مثل الأوتاد والنجباء والرقباء والنقباء إلا فى آثار أخرى ، على أنه يمكن أن نجمعهم جميعا تحت لقب الأبدال بمعنى انه اذا مات واحد منهم أبدل الله به غيره ، فسواء كان من الأبدال أو الأوتاد أو النجباء أو الرقباء أو النقباء أو حتى كان قطبا فهو بدل من الأبدال .

ويرى الحكيم أن الأوتاد واحد فى اليمن وواحد فى الشام وواحد فى المشرق وواحد فى المغرب ، والله سبحانه وتعالى يدير القطب فى الآفاق الأربعة من أرجاء الدنيا كدوران الفلك فى آفق السماء .

●●● الايمان ●●●

الايمان عند الصوفية هو قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان ، ويقوى الايمان بالطاعة ، وينقص بالرياء والعصيان ، ويزداد بالعلم ، ويضعف

---

(١) الشيخ أبو بكر محمد بنانى - مدراك السلوك بالهامش كتاب عقد الدرر واللآلىء ص : ١٦٦ .

(٢) الامام الشعرانى - الكبريت الأحمر ص : ٣ - ٣٥ (بهامش اليواقيت والجواهر) .

(٣) النبا : ٧

(٤) د . عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية جـ٢ ص : ٥٢ .

بالجهل [١] فالايمان إذن هو قول وعمل ونية صادقة .

وفى ذلك يقول الرسول ﷺ « الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل الأركان »

وبهذا المعنى يكون الإيمان فى الظاهر والباطن سواء ، فإذا كان فى الظاهر ، فالإيمان هو آداء للتكاليف والفرائض الشرعية ، أما باطن الإيمان فهو التصديق القلبى وسلامة النية كأساس للسلوك الظاهرى . [٢]

وبهذا المعنى يزداد الايمان وينقص حسب صدق النية والاخلاص فى الباطن وكلما زاد الانسان إخلاصا وصدقا ، كلما زاد إيمانا ، كما أن أدنى شك فى وعد الله ووعيده ينقص الايمان ، بل يكون مدعاة للضلالة والكفر .

والمؤمن الحق هو الله تعالى ، اذ وصف الله نفسه فى كتابه العزيز فى قوله تعالى « السلام المؤمن المهيمن » [٣] .

ويقول الشيخ عبدالقادر الجيلانى [٤] إن الإيمان هو الدين والشريعة والملة لأن الدين هو ما يتبعه العبد من الطاعات ، مع اجتناب المحظورات والمحرمات وذلك هو أصل الإيمان .

أما الإسلام فهو طريق الى الإيمان ، ولكن ليس كل إسلام إيمان ، ولكن كل إيمان اسلام ، لأن الاسلام إستسلام وإنقياد ، وكل مؤمن مستسلم ومنقاد لله تعالى ، إلا أنه ليس كل مسلم مؤمنا بالله ، كأن يسلم الإنسان مخافة السيف مثلا .

فالإيمان إذن يشمل جميع الطاعات ، أما الاسلام فهو عبارة عن الشهادتين وأداء العبادات الخمس .

وقال الإمام أحمد بن حنبل أن الإيمان غير الاسلام وأيد ذلك بقول الفاروق عمر رضى الله عنه قال : « بينما أنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية لطالبى طريق الحق جـ١ ص: ٦٢ وما بعدها .

(٢) الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - مكتبة الكليات الازهرية حققه الاستاذ محمود أمين النواوى ص : ٩٦ : ١٠٠ .

(٣) الحشر : ٢٣ .

(٤) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية لطالبى طريق الحق جـ١ ص : ٦٣ وما بعدها .

حل شديد بياض الثياب ، كثير سواء الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، ثم قال : يا محمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال ﷺ : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا ، قال « صدقت » ، قال عمر : فتعجبنا منه يسأله ويصدقه ، ثم قال : أخبرنى عن الايمان ، قال ﷺ : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، قال صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك : قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ؟ قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان ، قال عمر رضى الله عنه : فلبثت هنيهة ، ثم قال لى رسول الله ﷺ : هل تدرى من السائل ؟ قال : قلت الله ورسول أعلم ، قال ﷺ : فإنه جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم » وفى لفظ آخر قال » ذلك جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم ، وما أتانى قط فى صورة إلا عرفته ، إلا فى صورته هذه [١] .

ويستشهد أيضا الامام أحمد بن حنبل بحديث النبى ﷺ مع الأعرابى الذى قال الرسول ﷺ : يا رسول الله أعطيت فلانا ومنعتنى فقال النبى ﷺ : ذلك مؤمن ، فقال الاعرابى : وأنا مؤمن ، فقال له النبى ﷺ : أو مسلم أنت ؟ ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ قد فرق بين المؤمن والمسلم تصديقا لقوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولم يدخل الايمان فى قلوبكم » [٢] .

والايمان كما يراه الامام أحمد بن حنبل فطرى فى الانسان ، وإنما يزداد الايمان بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وترك الاعتراض ، والشك فى وعد الله ووعيده ، وفى الثقة فى الله والخروج عن الحول والقوة والصبر على البلاء والشكر على النعمة ، وترك التهمة لله فى سائر الأحوال (الترك الإنشغالى لغير الله)

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية لطالبى طريق الحق جـ ١ ص : ٦٢ وما بعدها

(٢) الحجرات : ١٤

والايمان لا يزداد لمجرد أداء الصلاة ، والصيام ، فلقد سئل أحمد بن حنبل عن الايمان ، أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فقال : من قال أن الايمان مخلوق فقد كفر لأن فى ذلك ، إتهاما وتعريضا للقرآن ، ومن قال غير مخلوق فقد ابتدع لأن فى ذلك إيهام فى أماطة الأذى عن الطريق ، وأفعال الأركان غير مخلوقة .

ومعنى ذلك أن الامام أحمد أنكر على الطائفتين ، القول بأن الايمان مخلوق أو غير مخلوق وذلك تأييدا لحديث الرسول ﷺ فى قوله : « أن الايمان بضع وسبعون خصلة أفضلها قول لا اله إلا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » (١) .

ولذلك فإن الامام أحمد بن حنبل كفر الداعى الى القول بأن الايمان مخلوق كما أنه جعل القائل بأنه غير مخلوق صاحب بدعة ، وبأنه أفتى بذلك لأنه لم يذكر فى القرآن ولم يذكر الرسول شيء عنه ، ولم ينقل أحد من الصحابة عن الايمان قولا ، كما أنه لا يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن ، بل عليه أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله .

وهذا بخلاف ما دعت المعتزلة بجواز القول : « أنا مؤمن حقا » ، ولكنا برى أن الفاروق عمر رضى الله عنه قال : من زعم أنه مؤمن فإنه كافر .

وعن الحسن رضى الله عنه قال لعبدالله بن مسعود رضى الله عنه : أنى مؤمن فقال : أسألوه فى الجنة هو أم فى النار ، فسألوه فقال : الله أعلم فقال عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: فهلا وكلت الأخرى كما وكلت الأولى .

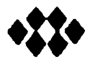
إذن الايمان هو منحة من الله وهبة للعبد الصالح الذى يقربه الله ويمن عليه برحمته ويدخله جنته ، ولا يكون ذلك إلا بحكمته تعالى وأن يختم له بذلك ، فلا يعلم أحد من الخلق بما يختم الله له فى دنياه وآخرته ، لذلك يعبد الانسان الله وهو خائف ويعبده وهو راج ، مؤمنا ومترقبا وصابرا ومتوكلا حتى يأتيه الموت ، وهو سائر فى طريق الله ، والناس يموتون على ما عاشوا عليه ، ويحشرون على ما ماتوا عليه تصديقا لقول رسول الله ﷺ ـ « كما تعيشون تموتون وكما تموتون تعيشون » .

---

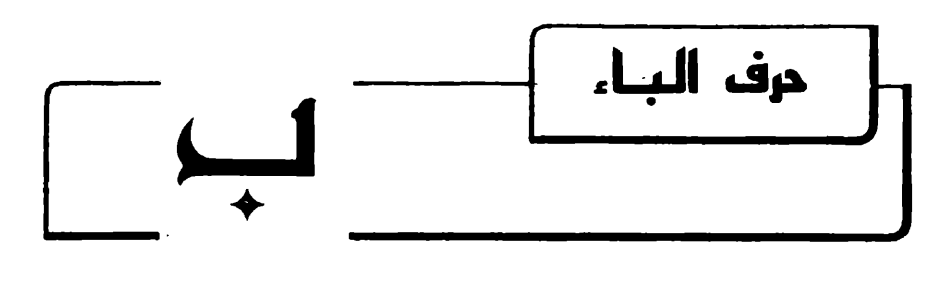
(١) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية لطالبى طريق الحق جـ١ ص : ٦٢ وما بعدها

ولقد سئل أحد [١] أئمة الصوفية عن الايمان فقال : « الايمان من الله لا يزيد ولا ينقص ، ومن الأنبياء يزيد ولا ينقص ، ومن غيرهم يزيد وينقص .

فالله لا يمكن أن يعتريه النقص والزيادة وصفاته تعالى لا توصف بالزيادة والنقصان ، أما الأنبياء فإن كمالات أخلاقهم تزيد فى إيمانهم ، بما يوحى اليهم من خطاب الحق تعالى » أما سائر العباد فإيمانهم يزيد وينقص ، لأنهم غير معصومين عن إرتكاب المحظورات والتقصير فى الفرائض والتكاليف .



١) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف مكتبة الكليات الازهرية حققه الاستاذ محمود أمين النواوى ص : ٩٦ - ١٠٠



●●● باديء بلا بادى ●●●

إذا قال الصوفى [١] « البادى » فإن ذلك علامة على إشراق القلب بالتجليات والمعارف والحقائق والأنوار ، وصفاء الأذكار ، فالبادى هو حال أهل العرفان والمقامات والأولياء والصالحين ، وإذا قيل « بادى بلا بادى » فذلك إشارة الى قوله تعالى : « أنه هو يبدىء ويعيد [٣] » فالله سبحانه وتعالى هو البادى أولا وأخيرا ؛ فهو الذى يبدى الحال على قلب العارف ويثبته ، ويعيده ، فإذا ثبت الحال على القلب أصبح مقاما ، فالبادى بلا بادى إذن هى أنوار الحق تعالى ، فإذا كشف العارف وشاهد أنواره تعالى فلا مشرق غيره ، ولا بادى غيره ، لأنه الحق تعالى ، بدى بلا بادى ، وأفنى كل بادى لأنه الحق ، فنوره يسطع على القلوب فتفنى عن اشراقها وكشفها وعلمها ونورها ، ولا يبقى إلا نوره تعالى .

فالبادى بلا بادى تجل من الحق تعالى من ناحية ، وفناء من العبد الصالح من ناحية أخرى ، لأن السالك يقترب من أنوار الحق ، فيبدو وكأنه فنى عن نفسه أو كأنه من غير قلب ، ولا نفس ولا عقل لشدة ما يرى وما يشاهد من أنوار الحق التى تتجلى على قلبه ، وهو سبحانه وتعالى الذى يبدى هذه البوادى على القلوب .

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٣٩

(٣) البروج : ١٣ .

●●● بحرى بلا شاطىء ●●●

يختلف العارفون بالله عن عامة الناس ، فيما يشرق على قلوبهم من الحقائق الإلهية والتجليات والفتوحات الربانية ، فلا ينقطع سيل هذه المعارف أبداً ، فهم فى ديمومة الأنوار المستمرة والعلم الذى يلقى فى روعهم بلا انقطاع وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده [١] .

أما غالبية الناس فعلمهم محدود ، وأفاقهم مقطوعة ، فيبدأون من شىء لينتهوا إلى غاية محدودة ، ويتدارسون مسألة فيأتون على حلها .

أما العارف بما خصه الله من المعرفة لانقطاعه إليه تعالى ، وتعظيمه ومحبته وإخلاصه ، وذكره الدائم لله عز وجل ، فلا نهاية لموارد العلم ، ولا انقطاع له ، والشىء إذا لم تكن له نهاية ولا غاية ، فلا يعبر عنه بأكثر من بحر بلا شاطىء . والصوفى يعنى بذلك أنه قريب من الله . يمده بعلمه الإلهامى الذى لا نهاية له ،

وذلك تصديقا لقوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » [٢] .

فالله سبحانه وتعالى لا ينقطع علمه ولا يفنى ، فهو كالبحر بلا شاطىء ، كما وصف نفسه فى الآية الكريمة « ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » [٣] وأيضا فى قوله تعالى فى هذا المعنى » وما عندكم ينفد وما عند الله باق [٤] وكذلك فى قوله عز وجل ، « ان هذا لرزقنا ماله من نفاد » [٥] .

فالصوفى يتستقى نبعه من علم الله الذى لا ينفد ، ومن أسرار الله التى لا تنقطع ، ومن وجود الله الذى لا يتوقف ، ومن نور الله الذى لا ينضب ، ولذا يقول الصوفى : « بحرى بلا شاطىء » .

---

(١) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - لجنة نشر التراث الصوفى ٤٤٢ .
(٢) الكهف ١٠٩ — (٣) لقمان : ٧٢
(٤) النحل : ٩٦ — (٥) ص : ٥٤

●●● برزخ ●●●

المعنى فى اللغة للبرزخ [١] . أنه الحاجز الذى بين الموتى والأحياء ، فهو الذى يمنع الموتى من الرجعة الى الدنيا ، وهذا البرزخ باق الى يوم القيامة ، وذلك تصديقا لقوله تعالى « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » [٢] ،

والبرزخ عند أئمة الصوفية هو العالم الأوسط بين العالمين العلوى والدنيوى أى أنه فوق عالم الأجسام وتحت عالم الكون .

وكذلك فإن البرزخ إما عالم نعيم ، واما عالم عذاب وشقاء ، فأصحاب الايمان والصدق والإخلاص فى الدنيا ، إنما ينعمون فى عالم البرزخ - أما أصحاب الشقاوة من أهل الدنيا فإنهم يعذبون فى عالم البرزخ ، وهو ما يسمى بعذاب القبر ، فعالم البرزخ إذن بين الدنيا والآخرة ، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على أهل الدنيا والآخرة ، وأغلب الناس لهم حظ من عذاب البرزخ ، وأقلهم لهم حظ من نعيمه وذلك حسب أعمالهم فى الدنيا . [٣]

ولقد ظن بعض أصحاب الديانات والعقائد المنحرفة أنه إذا حرق جسد الإنسان بالنار ، وصار رمادا ، وذرى بعضه فى البحر ، وبعضه فى البر ، فى يوم شديد الريح ، فإنه ينجو من عذاب البرزخ - من عذاب القبر - ولكن عذاب البرزخ ونعيمه لكل إنسان الطالح والصالح ، ولو علق الميت على رؤوس الأشجار ، وفى مهب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ فأخذ حظه ونصيبه المقدر له ، كما أنه إذا القى الرجل الصالح فى آتون من النار ، وأصاب جسده نعيم البرزخ وأخذ نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على جسد هذا الصالح بردا وسلاما ، والهواء على بدن ذلك الطالح نارا وسما .

ويرى الامام محى الدين بن عربى [٤] » أنه بعد أن أوجد الله تعالى العوامل

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم التراث للجميع (مجمع اللغة العربية) ط ص: ٩٢ .

(٢) الرحمن جـ : ٢ .

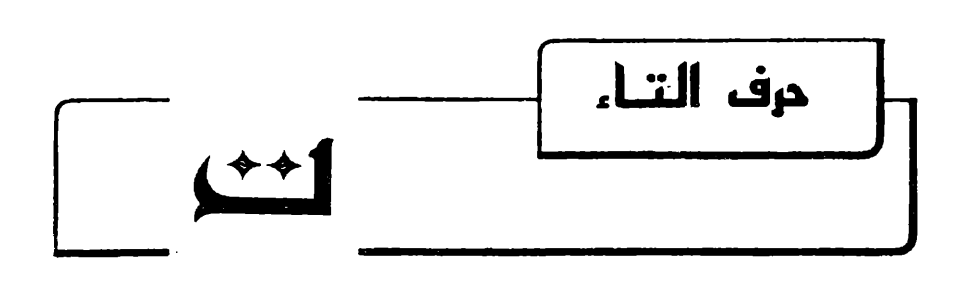
(٣) ابن القيم الجوزية - الروح ص : ٧٣ .

(٤) محى الدين ابن عربى - الفتوحات المكتبه السفر الأول ص: ٥٦ .

للطيفة والكثيفة ، ومهد المملكة ، وهيأ المرتبة الشريفة ، أنزل فى أول دورة العذراء « الخليقة » ، وذلك جعل سبحانه وتعالى مدتها فى الدنيا سبع آلاف سنة ، وتحل بنا فى آخرها حالة فناء بين يوم وسنة ، فننتقل الى البرزخ الجامع للطرائق وتغلب فيه الحقائق الطياره على جميع الحقائق ، فترجع الدولة للأرواح وخليفتها، فى ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح وترى الأشباح فى حكم التبع للأرواح ، فيتحول الإنسان فى أى صورة شاه لحقيقة صحت له عند البعث من القبور فى الإنشاء » .

ويقصد بالخليفة هنا سيدنا آدم ، كما يقصد بالعلم اللطيف ، عالم الملكوت أما العالم الكثيف فهو عالم الأجساد ، أو عالم الدنيا ، ويقصد بالطائر الذى له ستمائه جناح ، سيدنا جبريل عليه السلام ، كما روى أن جناحيه إذا نشرهما غطى بها المشرق والمغرب ، وبذلك يكون العالم البرزخى هو عالم الملكوت ، وبين عالم الدنيا أو الأجساد .





●●● التجلى والستر ●●●

يستر الله سبحانه وتعالى العوام من الناس عليهم حالهم حتى يجتهدوا ويجدوا فى عبادتهم ، وحتى لا يغتروا ويفتتنوا بجهلهم بالله تعالى ، فهو بمثابة عقوبة لهم [1] ، ولولا هذا الستر لكان سر الله مباحا ومبتذلا غير مصون بين أيدى العباد ، وكما يقول بعض أئمة الصوفية : « لابد للشمس من سحاب ، وللحسناء من نقاب ، ولذلك فإن أعظم الأمانى لدى عوام الناس أن يتجلى الله لهم ليعرفونه تعالى إذ أن بلاءهم فى الستر .

كما يمكن أن يطلق الستر على العبد المؤمن الصالح ، الذى يعتبر الستر عنده نعمة ورحمة الهية ، ذلك لأن مشاهدة سلطان الحقيقة على قلوب الأولياء ، إنما هى على الدوام تجعلهم يتلاشون فى أنوار المشاهدة ، ويفنون فى تجلى الله لهم .

فلولا الستر الذى خصهم الله سبحانه وتعالى به لتلاشوا ، لأن أهل الحقيقة بما فتح الله عليهم من الأسرار ، وهى أحوال تقذف أنوارها على قلوبهم فيسترها الله عليهم ولا يعرفها غيرهم من الناس .

---

(١) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٢٤ .

كما أن أصحاب الحقيقة بين ستر وتجلى ، أى بين طيش وعيش ، أى بين سر وجهر ، فإذا تجلى الله عليهم فاسوا ، واذا ستر عنهم عاشوا .

ويقول أحد أئمة الصوفية [١] « سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظل بعظمة الربوبية فى إظهار العبودية » ، أى سبحان من تنزه بما يليق به من مقام وهو الحق صاحب الجلال والاكرام ، الذى ستر بحكمته سبحانه سر أهل الخصوص من الأولياء ولعارفين ، لما أولاه من المعارف والأسرار ، وذلك بظهور البشرية ، أى بظهور الأحوال التى تعرض للسالك فى طريق الله ، فيستر الله خصوصيته لهؤلاء الأولياء ، فلا يعرفه أحد حتى معرفته ، ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون .

وفى التجلى إذا فتح الله على عبد بعد الستر ، يتجلى عليه بنعمة ، فيكشف له عن بعض المغيبات ، ويظهر له أنوار المشاهدة ، فيمسى فى غاية ما يتمناه فى التحقق والذهاب والفناء ، ويجزل له العطاء بمقدار شوقه ومناه ، وقال سهل رضى الله عنه أن التجلى فى ثلاثة أحوال تجلى ذات . . وهى المكاشفة . . وتجلى صفات الذات وهى موضع النور وتجلى حكم الذات . . وهى الآخرة وما فيها [٢] .

ويذكر الشيخ الأكبر ابن عربى فى معنى التجلى : « أنه ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب [٣] » .

ويروى لنا صاحب الرسالة القشيرية [٤] . إشارة لطيفة عن التجلى فى صورة قصة عن منصور المغربى قال : « جاء الفقراء إلى حى من أحياء العرب فاستضافه شاب وبينما هذا الشاب فى خدمة هذا الفقير ، إذ به يغشى عليه » ، فسأل أهل الفقير عن حاله ، فقالوا له : « له ابنة عم قد تعلق قلبه بها ، فمشت فى خيمتها ، فرأى الشاب غبار ذيلها ، فغشى عليها » .

فذهب الفقير إلى خيمة الفتاة ، وقال لها : ان للغريب عندكم حرمة ، وقد جئت استشفع فى أمر هذا الشاب ، فتعطفى عليه فيما هو به من هواك ،

---

(١) الاستاذ عبد المجيد الشرنوبى - شرح تائية السلوك الى مالك الملوك ص : ٥٣ .
(٢) الامام الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١٢١ .
(٣) الامام محى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى جـ٢ ص٩ اصطلاحات الصوفية .
(٤) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٢٤ .

فقالت سبحان الله أنت سليم القلب ، أنه لا يطيق شهود غبار ذيلى ، فكيف يطيق صحبتى

وكذلك الحال فى التجلى ، فاذا تجلى الله لبعض الناس لطاش عقله ، وإذا ستر عليه عاش ، والعارف بين ستر وتجل ، وبين عيش وطيش .

●●● التحلى والتخلى ●●●

يتكلم الصوفية عن التخلية والتحلية ، كتربية نفسية للمريد فى الطريق الصوفى فيتخلى المريد عن أوصافه المذمومة ويتحلى بالأوصاف المحمودة .

ويرى بعض الصوفية [١] أنه عندما يسلك المريد طريق الحق يعرف تماما عن شهوات الدنيا ، وهوى النفس ، وينفر من حظوظه فيها ، ويطلب لنفسه العزلة عن الناس ولا يبقى له أى رغبة ، اللهم فى إختيار الخلوة ، والبعد كل البعد عن كل ما يشغله عن الحق تعالى ، فهو قد تخلى عن العوارض الشاغلة ، وآثر العزلة وملازمة الوحدة ، مع الحق تعالى .

وهو فى نفس الوقت مرادا لله ، بإرادة الله ، وبالخلوة والأنس بالله ، فحال الله بينه وبين ما يكرهه .

ويقول صاحب اللمع [٢] نقلا عن يوسف بن الحسين رحمة الله ، أن التخلى هو العزلة لأنه لم يقوى على نفسه ، فاعتزل من نفسه الى ربه .

●●● التدانى والتدلى ●●●

التدانى فى اللغة دنا منه ، ويدنو دنوا ، أى قرب ، كما أنها تستعمل فى المكان والزمان ، والمنزلة ، فهو دانى ، وهى دانية ، وقوله تعالى « وجنى الجنتين دان [٣] معناه أن الله سبحانه وتعالى قريب يناله القائم والقاعد والمضجع ، ولا يرد أيديهم عنه .

---

(١) الامام محى الدين أبن عربى - رسائل ابن عربى (اصطلاحات الصوفية) .

(٢) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٤٠ .

(٣) الرحمن : ٥٤ .

فالتدانى هو القرب من الله تعالى ، وهو الانتقال الى أعلى المقامات ، لأن السالك الى الله يدنو من الحق تعالى ، فهو فى معراج المقربين [١] أصحاب القرب العظمى والولاية الكبرى من الصديقين والشهداء والصالحين .

ويذكر الله تعالى فى كتابه العزيز « ثم دنى فتدلى » [٢] أى ينزل المُقربين لله سبحانه وتعالى وينزلون الى ملكوته ، فيقربهم الحق اليه ، بل وينزل اليهم عند التدانى .

●●● الترقى ●●●

إذا صدق السالك إلى الله ، أصبح ظاهره كباطنه ، فأخلص وأطاع ، واستعد قلبه للمكاشفات والأحوال والمقامات ، وإذا فتح الله عليه بالمنن والعطايا أنتقل من حال الى حال ، ومن مقام إلى مقام ، فاذا ثبت الحال أصبح مقاما ، ويقال عند ذلك أن الولى قد ترقى من مقام الى مقام ، وصاحب المقام الأعلى يعرف مقامه الأدنى ، أما صاحب المقام الأدنى فلا يعرف المقام الأعلى ولكنه يعرف الذى يشابهه .

والنفس الإنسانية لها أسماء [٣] فى كل حال ومقام تعرف بها وتسمى باسمها ، كما أن لها عالم ومسيرة ومحل ووارد ونور ، وأول مقام للنفس الانسانية هو مقام النفس الأمارة ، ويكون سيرها إلى الله ، وعالمها الشهادة ومحلها الصبر ، وحالها الميل ، وواردها الشريعة ، ونورها الله .

أما النفس اللوامة فسيرها الله ، وعالما البرزخ ، ومحلها القلب ، وحالها المحبة وواردها الطريقة ، ونورها أصفر .

فإذا ارتقت إلى المقام الثالث وهو مقام النفس الملهمة فيكون سيرها على الله ومحلها الروح وحالها العشق ، وواردها المعرفة ونورها أحمر .

أما إذا ارتقت الى مقام النفس المطمئنة فإن سيرها يكون مع الله وعالمها الحقيقة المحمدية ، ومحلها السر وحالها الوصل ، وواردها الحقيقة ونورها أبيض .

(١) الامام محى الدين ابن العربى - رسائل ابن العربى جـ٢ كتاب اصطلاحات الصوفية .
(٢) النجم : ٨ .
(٣) الامام ابن القيم الجوزية - الروح ص .

فإذا ارتقت النفس إلى المقام الخامس وهو مقام النفس الراضية كان سيرها فى الله وعالمها اللاهوتى ومحلها السرائر وحالها الفناء ، وليس لهذه النفس فى هذا المقام وارد ونورها أخضر .

وإذا ارتقت النفس إلى المقام السادس وهو مقام النفس المرضية ، فسيرها على الله ، وعالمها الشهادة ومحلها الأخفى ، وحالها الحيرة ، ووارداها الشريعة ونورها أسود .

وآخر المراتب التى يترقى إليها الولى هى مقام النفس الكاملة التى يكون سيرها بالله وعالمها كثرة فى وحدة ، ووحدة فى كثرة ، ومحلها الخفاء ، وحالها البقاء ، وواردها جميع ماذكر ، ونورها ليس له لون .

ولقد اقتدى الصوفية بقول الله عز وجل : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » (١) .

وقوله تعالى أيضا « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » (٢) وفى قوله تعالى فى قصة امرأة العزيز : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » (٣) .

لقد قسم الصوفية أحوال النفس ومقاماتها إلى سبع مقامات أولها النفس الأمارة وهى التى تسير على هواها وشهواتها ، فإذا إرتقت درجة كانت نفسا لوامة وهى التى تتوب عندما تقع فى الضلالات والآثام وتندم على ما فعلته ، فإذا تابت توبة نصوحة فإنها ترقى إلى مقام النفس الملهمة ، فإذا استقرت وجاهدت ، من الله عليه بمقام النفس المطمئنة ، ثم ترقى إلى مقام النفس الراضية ، ثم إلى مقام النفس المرضية ، حتى تصل إلى مقام النفس الكاملة ، وهى منتهى غاية الواصلين ، وهم الصديقون والأولياء الكمل والصالحون ، ويسميهم حجة الاسلام الإمام الغزالى بأصحاب الدرجة الرابعة ، ويسميهم الحكيم الترمذى بالمقربين .

---

(١) الفجر ٢٧
(٢) القيامة : ٢
(٣) يوسف ٥٣

••• التصوف والصوفية •••

التصوف هو الاسترسال مع الله تعالى ، فهو عيش مع الله ولله وفى الله وبالله ، وهو حفظ للأوقات واسقاط للتدبير ، وخوف من الله ، ورجاء فى الله ، وهو سلب لأوصاف النفس المذمومة ، وتحلية لها بالأوصاف المحمودة ، وهو بعد كل ذلك تجريد للتوحيد ، فلا يشوب القلب خاطر شيطانى فيفسده ، ولا هوى فيظلمه وهو كشف عن الخواطر ، وبحث عن كل ما يخطر على سر الصوفى ، فيسترسل مع ما هو حق ويتجنب ما هو باطل [١] .

وقد قيل للجنيد ـ رحمة الله ـ بم نلت ما نلت ؟ . . . قال : بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة » ثم أوما إلى درجة فى داره ، وقال أبوزيد ـ رحمة الله ـ عن علوم الصوفية مخاطبا أهل الدنيا « أخذتم علمكم ميتا من ميت وأخذنا علمنا من الحى الذى لا يموت » [٢] .

وسئل النورى [٣] ـ رحمة الله ـ عن التصوف فقال : نشر مقام واتصال بقوام ، فقيل له : فما أخلاقهم ؟ قال : إدخال السرور على غيرهم والاعراض عن أذاهم ، تأييدا لقول الله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » [٤] .

والتصوف توبة نصوح من المعاصى ظاهرا وباطنا ، وهو اخلاص لله على الحقيقة وطاعة بلا رياء ، وتقرب بلا اشتراط ، وحب بلا شهوات ، وهو مجاهدة ومكايدة ومعاناة وصبر على الأذى واحتمال الجوى ، وقد سئل الجنيد أيضا فى ذلك فقال : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات » [٥] .

فالتصوف إذن هو عدم مبالاة بالدنيا وما فيها ، وهو ترك عن قصد الامتلاك والأملاك ، وإيثار واتصال بالحق تعالى فى كل أمر وفعل .

---

(١) الشيخ محى الدين بن عربى – الفتوحات المكية ص : ٥٢٠ ، السفر الأول .
(٢) الامام المنادى – الكواكب الدرية جـ١ ص : ٢٤٦
(٣) الامام ابو بكر محمد الكلاباذى – التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١١٠
(٤) الاعراف : ١٩٩ .
(٥) الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى – الفتوحات المكية ص : ٥٠٢ السفر الاول .

والتصوف شريعة وحقيقة ، فلا شريعة بلا حقيقة ، ولا حقيقة بلا شريعة ، وكل من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ، وكل من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق .

فالتصوف معرفة بالأحكام الشرعية ، من صلاة وصوم وتكاليف ومعاملات ونكاح وطلاق ومبايعات ، وكل ما أوجبه الله فى القرآن الكريم وفى السنة المحمدية ، ثم هو اجتهاد فى طلب العلم ، على قدر ما يمكن للسالك من بسطه وفهمه ثم هو علم الأحوال ، والأحوال مواريث الأعمال [١] فلا يرث الأحوال إلا من صحت أعماله .

فإذا استقامت النفس بالرياضيات والمجاهدات ، والبعد عن الهوى والشهوات انصلحت طباعها ، وتأدبت بآداب الله عز وجل ، سهل تطهير باطنها وظاهرها ، عند ذلك تتكشف للمريد الصادق علوم المشاهدات والمكاشفات ، والفتوحات والتجليات ، ويصبح عبدا ربانيا ، يلهم بالعلم وبالمنن والعطايا والهبات الرحمانية .

ويروى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله .

فالتصوف هو إيمان وتوحيد وإخلاص وطاعة ، وهو ظاهر وباطن ، شريعة وحقيقة ، إسلام واستسلام ، إسلام بالموافقة لله واستسلام لقضاء الله ونعم الله وابتلاء الله ، ورحمة الله ، وعلم الله ، وقد سئل حذيفة بن اليمان عن علم الباطن ؟ . فقال : سألت رسول الله عن علم الباطن فقال : سألت جبريل عن علم الباطن فقال : سألت الله عز وجل عن علم الباطن فقال : هو سر من سرى ، أجعله فى قلب عبدى لا يقف عليه أحد من خلقى » [٢] .

يقول صاحب الرسالة القشيرية [٣] عن الصوفية « فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ، صلوات

---

(١) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١١٠ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ١٨ - ١٩

الله وسلامة عليهم ـ وجعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم الغياث للخلق ، والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق وبالحق ، صفاهم من كدرات [١] البشرية ، ورقاهم إلى حال المشاهدة بما تحلى لهم من حقائق الأحدية ، ووفقهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية ، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا بما منه سبحانه من التقليب والتصريف .

فالتصوف افتقار إلى الله على الدوام ، وذكر لله على الاستمرار ، وخوف من وعيد الله ، وصبر على ابتلاء الله ، ورجاء فى وعد الله ، يقول أبوزيد البسطامى حين سئل : بما نلت ما نلت ؟ . . . قال : « انسلخت عن نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت إلى نفسى ، فإذا أنا هو [٢] » ويقصد بذلك كأنه هو .

والصوفية يرون أن الزاهد الحقيقى ليس من لا يملك ويهجر ، وإنما من يملك ويهجر لوجه الله ، لذلك فإن الأكل بالسؤال أفضل عندهم من الأكل بالتقوى ، إذ أن الفقير إذا اضطر إلى السؤال فكفارته صدقة .

ويرى صاحب اللمع [٣] أنه بقى أحد الصوفية أيام ولم يأكل شيئا ، وكان غريبا فى البلدة التى نزل بها حتى كاد أن يموت جوعا ، ولم يسأل أحدا ، فسئل عن سبب ذلك فقال : « منعنى السؤال من الناس ، تذكرى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو صدق السائل ما أفلس من رده » ـ أى أن الذى لا يحسن عليه بحسنة فإنه لا يفلح أبدا ـ وقد كرهت أن يردنى مسلم فلا يفلح لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

كما سئل أحد الصوفية ، وكان لا يأكل إلا بذل السؤال ، فقال : اخترت ذلك لشدة كراهية نفسى له . أى أنه يخالف هوى نفسه بالسؤال .

---

(١) خلصهم من حظوظ أنفسهم .

(٢) الامام السراج الطوسى - اللمع ص٢٥٣ - ٢٠٥

(٣) الفتوحات ٥٠٢ السفر الأول

••• التفريد والتجريد •••

التفريد عند أئمة الصوفية هو أن ينفرد العبد الصالح بالأحوال ، وأن تكون أفعاله لله وحده ، فلا يرى نفسه فيها ولا يطلب غير الله ، ولا يراعى الخلق ، ولا ينظر جزاء ولا ثمرة ولا عوضا ، بل أنه يرقى حتى ينفرد فى الأحوال عن الأحوال فلا ينظر لنفسه حالا ، بل يغيب عن نفسه برؤية الحق ، فلا يهتم بشيء من الأشياء ، ولا يأنس لشكل من الأشكال ، كما أنه لا يستوحش منها شيئا (١) .

فصاحب التفريد يبقى مع الله ولله وفى الله ، وفى هذا الموقف يقف موقفا فريدا ليس معه إلا الحق تعالى ، ويقول بعض الأئمة أن التفريد هو أن لا يملكه أحد ، والتجريد أن لا يملك شيئا .

والتجريد بهذا المعنى هو الاعتراض التام عن الدنيا وما فيها ، فلا يهتم بها ولا يطلب مالا ولا عوضا ، لا عاجلا ولا آجلا ، فهو يتجرد عن أعراض الدنيا لا لشيء إلا لأنه يعرف أن ذلك هو الحق لا لعلة ولا لسبب سوى الله تعالى ، فتجرد بسره عن حاله ومقامه الذى أسكنه الله فيه ، فلا يعترض ولا يطلب ، إنما يسكن بما يمن عليه ، ويرضى بما قسم له .

ويذكر لنا صاحب اللمع (٢) أن أحد أئمة الصوفية قال : الموحدون لله من المؤمنين كثير ، والمفردون من الموحدين قليل ، ويقول الحسين بن منصور الحلاج - رحمة الله - ليلة مقتله : حسب الواحد افراد الواحد .

فالتفريد هو افراد الله سبحانه وتعالى ، أما التجريد هو تجرد القلوب من الأعراض وذلك بصفاء السالك الى الله من كدرات البشرية . بالتجريد إذن إسقاط للتدبير مع الله والتجريد والتفريد والتوحيد إنما هى جميعا ألفاظ مختلفة لمعان واحدة ، وإنما تعريفها على مقدار حقائق الواجدين واشاراتهم .

---

(١) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب - أهل التصوف ص : ١٣٣ .
(٢) الامام السراج العاوسى - اللمع ص: ٤٢٥ .

••• التقوى •••

التقوى هو امتحان من الله لمعرفة إخلاص الانسان ، فهى بيان لمنزلة النفس ، التى توزن بها ، إن كانت على صدق وإخلاص ، أو كانت على رياء ونفاق وضلال .

والمقياس الصحيح لأخلاقيات المؤمن وسلوكه هى التقوى التى تقرب الإنسان من الله الخالق ، وهى فى نفس الوقت تزيد الإنسان سمو وإرتقاء وشفافية وفضيلة ، ليكون مع الله ، وذلك لقوله تعالى « إن الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون ! وفى قوله تعالى أيضا « واتقو الله واعلموا أن الله مع المتقين » (٢) .

والتقوى ليست كلاما نظريا أو ميزانا منطقيا ، وإنما هى سلوك وأخلاق وطريق قائم على العمل الايجابى والتفاؤل ، فلا يكفى أن يكون الانسان ناطقا بالشهادة وعارفا بأن الله موجودا ليكون تقيا ، ولكن لابد أن يسلك طريق الله بالعمل والجهاد فيكون صادقا ، ظاهرا وباطنا ، مخلصا وطائعا شريعة وحقيقة .

ولا يترك الإسلام المؤمن التقى حائرا لا يعرف هل هو يسير حقا فى طريق الله أم فى طريق الشيطان ، وإنما يؤمنه على نفسه ، ويطمئنه فى دنياه وآخرته ، تصديقا لقوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (٣) »

والله لا يترك المؤمن الصادق حائرا ، إنما يقف معه يسانده ويساعده ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : « ان الله مع الذين أتقوا » (٤) وهذا عون ونصرة للإنسان المؤمن حتى يتعرف على طريقه من الله وبالله ومع الله ، كما أن الله يلهمه العلم والحكمة إذا ما سار فى طريق التقوى ـ وذلك تصديقاً لقوله تعالى : « إن

---

(١) النحل : ١٢٨

(٢) البقرة : ١٩٤

(٣) يونس : ٦٤ .

(٤) النحل : ١٢٨ .

تتقوا الله يجعلكم فرقانا »[١] فيعلمهم الله بعلمه ويرشدهم ببديع حكمته ، حتى أن المؤمن التقى تشرق فى نفسه أنوار الحقائق إشراقا ، ويلهم بالعلم إلهاما ، ويتعرف على نفسه ، وعلى ما غفر له من الذنوب السابقة ، حتى تهدأ نفسه من الخوف ، وتأمن بالرجاء ، وهذا ما نجده فى قوله تعالى : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته »[٢] وقوله تعالى أيضا : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً »[٣] ، فلا تتعقد حياته ولا تبتئس نفسه ، وإنما يجد مع الله دائما الفرج والأمل والأمن والظفر واليسر وتأكيدا لذلك يقرر تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا[٤] » فلا تضيق الدنيا فى وجهه ولا يسقط فزعا خائفا ، وإنما يسدد الله خطاه ، وينير طريقه ، وعندما تقف الحوائل دونه ـ يجد نصرا من الله مؤزرا ، فيفرج عنه كربته ، ويجد بعد العسر يسرا ، وبعد الظلم عدلا ، وبعد الظلمة نورا وإشراقا ، وبعد الحاجة رزقا ، واسعا وآمنا واطمئنانا ، وذلك تصديقا لقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »[٥] .

فالإيمان والتقوى إنما هو نجاح فى الدنيا والآخرة وأمل لا يمكن أن يضارعه أمل ، واطمئنان نفسى وقلبى لا يدانيه اطمئنان ، وذلك تأييدا لقوله تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »[٦]

فالتقى الورع المؤمن الصادق إنما يفوز بما يريده وينجح فيما يقصده فلا خوف ولا وجل ولا ضعف ، ولا وهن ، وإنما قوة يمدها الله للمؤمن فيأخذ بيده ويساعده فى حياته وآخرته ، وذلك ماورد أيضا فى قوله تعالى : « وينجى الله الذين اتقوا بمفازاتهم ولا يمسهم السوء ولا هم يحزنون »[٧] وقوله تعالى : « إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا »[٨] .

---

(١) الأنفال : ٢٩ .

(٢) الطلاق : ٥ .

(٣) الطلاق : ٤ .

(٤) الطلاق : ٢ .

(٥) الطلاق : ٢ ، ٣ .

(٦) الاعراف : ٩٦

(٧) الزمر : ٦١ .

(٨) النبأ : ٣٠ - ٣٤ .

والإنسان إنما يقع فى الخيالات والوساوس والاضطرابات والمخاوف نتيجة لشعوره بالذنب والإثم ، أو لفرط تجبره وتكبره واغتراره أو لوقوعه فى المعاصى والأخطاء دون أن يتلمس الطريق إلى الله ، والتوبة إليه ، وهنا يدور حول نفسه وتظلم الحياة فى وجهه ،فلا يجد لنفسه مخرجا ، ولا ينجح فى القضاء على ما ألم به من أمراض ومصائب وبلاء ، لأنه يكون عبداً لنفسه ، وليس سيداً عليها .

أما التقى الورع فإن الله سبحانه وتعالى ينجيه من المهالك لما قدم من حسنات لأنه آمن إيمانا خالصا ، واتقى ، وفى ذلك يقول تعالى : « ثم ننجى الذين اتقوا » (١) .

والمتقى المؤمن يحبه الله ويفيض عليه من نعمه ومن كرمه ، وفى ذلك يقول تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (٢) وقوله تعالى : « إن الله يحب المتقين » (٣)، وقوله تعالى أيضا : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٤) .

والمؤمن التقى الذى يتحمل المكاره ، يجزيه تعالى أحسن الجزاء ، فعندما امتحنه وابتلاه صبر ورضى ، وفى ذلك يقول تعالى : « إن من يتقى ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » (٥) .

فالتقوى (٦) إذن ذلك الخلق المتكامل لنفس طيبة أثمر عملها ، وأينع جهادها فى الله ، وماقامت به من تربية ورقابة على نفسها فى كل سلوك وتصرف من تصرفاتها ، وكل جانب من جوانب حياتها ، وهذه النفس التى راقبت ذاتها وقامت بواجبها ليرضى الله عنها ، وأحسنت واستقامت واتقنت عملها وعبادتها هى النفس التى تستحق هذه الثمرات العظيمة ، فليست التقوى مجرد أداء للتكاليف أو العبادات وليست التزى بزى الصالحين ، ولا التمتمة والتسبيح ،

---

(١) مريم : ٢٢ .
(٢) الحجرات : ١٣
(٣) التوبة : ٤ .
(٤) البقرة : ١٨٩ .
(٥) يوسف : ٩٠ .
(٦) الاستاذ عبد الحكيم على المغربى - القيم الاسلامية ص : ١٣ - ٤٢ .

والتعصب والتشدد فى الدين ، وإنما التقوى الحقيقية هى السلوك الصحيح السليم ، هى الإشعاع والإشراق والجهاد والعمل لتنفيذ تعاليم الله ، فأساسها الإخلاص ، فمن أخلص فى عمله فهو تقى ورع ، وإذا أخلص الطالب واتقى الله فى دراسته ، فقو تقى ، وإذا أخلص الزارع فى زراعته وأدى للأرض حقها ، فهو تقى ورع ، وكل من قام بعمله على مايجب ، ورعى حق الله فهو تقى نقى ورع .

●●● التلبيس ●●●

التلبيس هو الاختلاط [١] والألتباس فى الإحساس ، فيعتقد الإنسان أنه يعمل الطاعات ويؤدى الواجبات ، ولكنه فى واقع الإمر يتبع هوى النفس ، ويساير مطالب الهوى ، وهناك فرق بين أن يكون العبد فى أدائه الطاعات والعبادات مخلصا خالصا بقلبه ، ومتوجها لله فيما يقوم به وما يفعله ، وفرق بين أن يلتبس عليه الأمر فيتزى بزى المؤمن ، وهو فاسق وفاجر وكافر ، وهنا يكون التلبيس تصديقا لقوله تعالى : « ولبسنا عليهم مايلبسون » [٢] .

فالتلبيس إذن ظن بإرتداء ثوب الاستقامة والتوحيد والاخلاص ، والحقيقة أنه ارتداء لزى الشيطان ، وبعض الأحيان يتصور الانسان أنه وصل إلى مقام القربة من الله تعالى ، وأنه أصبح من عباد الرحمن ، بل وترد عليه بعض خوارق العادات فيظن أن ذلك فتحا وكشفا وقربا ونعمة من الله ، وهو فى واقع الأمر تلبيسا حتى يزداد فتنة وضلالا ، لذلك يقول بعض الصوفية أن للأنبياء معجزات وللأوليات كرامات ، وللأعداء مخادعات [٣] .

ويقول الجنيد [٤] ـ رحمه الله ـ « امتزج بالالتباس واختلط متلونا فى الأحداث ، وما يتغير عنها فى الالتباس يؤخد عنه بأسرع مأخوذ ومختلس » . . ومعنى ذلك أنه لايهم فى الطريق الصوفى أن يطير الإنسان فى الهواء ، أو يمشى على الماء ، أو يأتى بفاكهة الصيف فى الشتاء ، ولكن المهم أن يكون الإنساء

---

(١) الامام أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - ص : ٤٤٩ .
(٢) الأنعام : ١
(٣) التعرف ص : ٨٩ .
(٤) الامام السراج الطوسى - اللمع - ص : ٤٤٩ .

مؤديا الفرائض ، محافظا على آداب الدين ، والسنن الشرعية ، فإذا لم يكن محافظا على على الشريعة فلا عبرة به ، ولا يعتد برأيه ، لأن ذلك يعتبر تلبيس أبليس ، وأن الخوارق التى يقوم بها إنما مخادعات ، وليست كرامات لولى صادق .

ويرى صاحب قوت القلوب [١] أنه قد تلتبس النية بالأمنية فتخفى ، والهمة بالوسوسة فتشتبه ، والنية عنده هى ماكان يراد به وجه الله عز وجل ، وطلب ماعنده تعالى .

أما الأمنية فهى ماتتعلق بالخلق وطلب حظ عاجل من الدنيا الفانية ، وقد تلتبس الإرادة بالمحبة والحاجة بالشهوة .

والحال فى الأرادة تختلف عن الأمنية ، فقد تنعقد الإرادة على تحقيق أمر ما ، ولكن قد يكون غير مرغوب فيه ولا يحبه مريده ، أو كان يريد أن يتحقق ضد هذا الأمر ولكن فى المحبة يختلف الأمر لأنها ما قهر العقل ، وغلب الوجد وحمل فى مجامل القلب ، وكره وجود غيرها ولم يرد لها نقضا .

ويلتبس الذكر بالقلب بالفكر فى معان القرب من الله ، وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية ، كما قد يلتبس ذل النفس ، لغلبة الهى ، وتسلطه على العقل بذل القلب [٢] .

●●● التلف ●●●

يستخدم الصوفية لفظ التلف [٣] فى معنى الخروج عن الطريق الصوفى ، ومعناه الانتكاس والهلاك ، فإذا دخل قلب السالك الإفتنان والاغترار ، يقال أنه قد تلف ، أو ملكه العجب بنفسه ، وغلبته نفسه الأمارة ، فأرتاح إليها ، واطمأن وسكن لشهواتها وأحب أن يمتدحه الناس ، ويثنوا عليه ، ويتحدثوا عن تقواه ، وورعه ، وزهده ، أو عن علمه وكرامته ، وقربه من الله ، ويفيضوا فى مآثره ومحامده .

---

(١) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ٢ ص : ٣٢٠
(٢) قوت القلوب جـ٢ ص : ٣٢٠ وما بعدها .
(٣) السراج الطوسى - اللمع ص ٤٤٤

كما أن التلف يستخدم أيضا بمعنى الاعتراض على أحكام الله ونعم الله ، وابتلاء الله ، فإذا سخط ولم يصبر ، فقد تلفت نفسه ، وإذا اعترض على ابتلاء الله فقد هوى بنفسه ، وإذا حسد غيره فقد انتكس وتلف ، ولذلك يهتم الصوفية بتربية النفس ، وسبر غور خواطرها الشيطانية منها والملائكية ومحاربة الآفات خوفا من التلف والانتكاس والخسران .

والسالك عندما يرقى من مقام إلى مقام ، ومن حال إلى حال إنما يتم له ذلك بتجريد التوحيد ، والإخلاص والطاعة لله ، وعدم الاعتراض ، والرضا بما قسم له ، والصبر على ماقدر وأعطى ، والخوف من وعيد الله ، والرجاء فى وعد الله ، وهو فى جميع الأحوال صابرا ، قانعا ، وزاهدا وراضيا بحكم الله وقضاء الله ، وذلك خوفا من التلف .

●●● التلقى ●●●

التلقى عند الصوفية هو الطاعة والاخلاص فيما يتلقاه المريد الصادق من الحق تعالى من أوامر ونواهى ، سواء كان ذلك فى شكل رؤى يراها المؤمن ، أو عن طريق إلهامات وموارد تتوارد على القلب للقيام بعمل أو تجنب فعل أو السفر إلى مكان ، أو بملاقاة إنسان أو مصاحبة أحد من الأئمة أو الصالحين ، من الأولياء بطريق التوجه أو الإلهام أو كرؤية الرسول ﷺ مناما أو رؤية أحد الاقطاب الموتى أو الأحياء .

والمريد الصادق ينصاع بالتلقى إلى مايلقى فى ورعه ، وما يقذف فى قلبه من نور الله تعالى فيعمل به فى ظاهره وباطنه بلا تردد أو اعتراض ، مادام لايخالف شريعة الدين ولا يعارض أمر بمعروف ونهى عن منكر .

●●● التلوين والتمكين ●●●

السالك فى طريق الله صاحب أحوال ومقامات ، والأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، ومعنى التلوين أن السالك يتغير من حال إلى حال ، فيتلون قلبه بتغير الأحوال ، وهو صفة دائمة من صفات أرباب الأحوال ، وصاحب التلوين أبدا فى التغير والزيادة ، وصاحب التمكين وصل ثم إتصل [١] أى أنه

(١) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٤٣ .

إنتهى إلى غاية الواصلين وأرتقى بالكلية من مقام الفناء إلى مقام البقاء فى الله ، فظفر بالطمأنينة الكبرى والنعمة العظمى ، وإستولى على قلبه سلطان الحقيقة ، وإذا دام للسالك هذا الحال فإنه صاحب تمكين .

فصاحب التلوين كما سبق الإشارة يترقى من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ومن وصف إلى وصف ، أى من حال الميل إلى حال المحبة ، ومن حال المحبة إلى حال العشق لله ، ومن حال العشق إلى حال الوصل بالله ، ومن حال الوصل إلى حال الفناء ، ثم إلى حال الحيرة ، حتى يترقى إلى حال البقاء ، وهو مقام التمكين الذى تختص به النفس الكاملة التى يكون سيرها بالله ، وعالمها كثرة فى وحدة ، ووحدة فى كثرة ومحلها الخفاء ، وواردها النور والمعرفة والحقيقة والشريعة .

ويشبه صاحب الرسالة القشيرية[١] صاحب التلوين وصاحب التمكين بما يستشهد به بسيدنا يوسف عليه السلام فى حال النسوة اللاتى رأينا يوسف عليه السلام فقطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام ، ثم حال امرأة العزيز التى كانت فى كمال الحب ليوسف منهن ، ولكنها لم تتغير شعرة فى ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين بخلافهن ، إذ كان حالهن التلوين .

●●● التوبة ●●●

هى أن يتوب الإنسان من كل فعل أو ذكر شيء سوى الله عز وجل أى أن الإنسان يتوب عن نفسه ، وينسى ذنبه ، وأن يخرج حلاوة الفعل الذى كان سببا فى إرتكاب ذنبه من قلبه خروجا أبديا ، حتى كأنه لم يكن هو الذى إقترف هذا الذنب أو ذلك الإثم .

ولقد قسم بعض الصوفية التوبة إلى توبة العوام ، وتوبة أهل الخصوص ، فتوبة العوام من الذنب ، وأما توبة أهل الخصوص من الغفلة ، كما أنهم قالوا أن توبة الأنبياء هى توبة من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم ، إلا أن ذلك فيه نظر حيث أن الأنبياء نالوا مالم ينله أحد .

وقال بعض الصوفية أن التوبة من التوبة أى أن يتوب الإنسان عن قلة

---

(١) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية ص : ٢٣٣ - ٣٣٣ .

صدقه فى قوله وفى فعله ، فالمفروض أن الإنسان يتوب من الإثم أو الذنب بلغة أهل الظاهر ، أما أن يتوب من التوبة ذاتها ، فهذا معناه عدم التفكير فى الإثم أو الذنب أو فى موضوع التوبة ذاتها ، لأنه إذا فكر فى التوبة تذكر الإثم ومعنى ذلك أن عليه أن ينسى ذنبه كما عليه أن ينسى توبته التى كانت سببا فى ذنبه ، أى أن يتوب من ذكر كل شيء سوى الله عز وجل ، أى أن يكون الإنسان لله كلية ، وهذا منتهى غاية الواصلين .

والتوبة التوبة [١] معناها أنه فنى عن نفسه وتاب عنها وبقى مع الله ، أى ليس هناك شيئا يتوب عنه .

ويروى الإمام الغزالى إلى أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يمكن أن يتم الشفاء إلا بمعرفة الداء ، أى أنه يجب رفع وابطال وتجنب أسباب الداء فلا يتغلب على الغفلة إلا بالعلم ، ولا على الشهوة إلا بالبعد ، فدواء التائب هو حلاوة العلم ومرارة البعد [٢] .

كما يرى الإمام الغزالى فى حقيقة التوبة أنها عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من أمور ثلاث : علم ... وحال ... وعمل ... ويرى أن العلم هو الأول ، والحال هو الثانى ، والعمل - الفعل - هو الثالث ، والعلم موجب الحال ، والحال موجب للعمل ، وهذا من سنة الله التى وضعها لنظام الملك والملكوت .

وعنده أيضا العلم بمعنى معرفة عظم ضرر الذنوب ، وغير هذا مفهوم العلم العادى الذى به تحصيل ودرس وتعلم وتدريب لأشياء وموضوعات ، أما العلم بهذا المعنى فالإمام الغزالى [٣] يراه فى التوبة ، والتوبة هى حجاب بين العبد وبين كل محبوب ، لأنه قد وقع الضرر أو الإثم أو الخطيئة ، وتاب المرء عن هذه الإثم .

فإذا لم يكن هناك إثم ولا خطيئة ، فمعنى ذلك أنه ليس هناك توبة ، حيث أنه ليس هناك إثم ، فهى إذن حجاب بين العبد وبين كل محبوب .

---

(١) الرسالة القشرية جـ١ ص : ٢٦٠

(٢) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين الجزء الحادى عشر ص : ٢٠٧٢ - ٢٠٧٣ .

(٣) المرجع السابق .

فإذا عرف العبد ذلك معرفة حقيقة بإيمان غلب على قلبه ، ويقين مؤكد فإنه يثور عن هذا العلم ، فيتألم القلب ، ويحزن بسبب إثمه ، وضياع المحبوب عنه .

والقلب عندما يشعر بفوات محبوبه ، يتألم ألما شديدا فإذا كان هو السبب فى ذلك ، تأسف على فعله ، وهذا الألم يسمى عند الغزالى ندما .

ففى التوبة يرتبط العلم بالندم ، بل يرتبط أيضا بالنية والقصد المتعلق بترك الإثم فى الحال والاستقبال ، فتكون التوبة فى مجموعها مؤدية إلى معنى الندم وحده ، ويكون العلم هو المعرفة بضرر الذنب ، ويكون ترك الإثم أو الخطيئة بمثابة الثمرة التى يحصل عليها التائب بعد توبته ، فالعلم سابق للترك ، والترك متأخر على العلم ، وفى هذا يستشهد حجة الإسلام بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى قوله « الندم والتوبة [1] .

فالندم إذن لايخلو من علم كما سبق الإشارة ، وهذا العلم هو معرفة الخير والشر ، ومعرفة الأضرار التى تترتب على إتيان الآثام والشرور وخطرها على الإنسان ، فهو علم واجب المعرفة ، ثم يتبع معرفة هذا العلم الذى أساسه الندم بعزم وإرادة لمخالفته وعدم العودة إليه مرة أخرى ، وبهذا المعنى يكون الندم من شطرين .

ثمرة . . . وهو عدم العودة للفعل .

ثمرات . . . وهى البعد عن الرذائل والفرحة بإتيان الخير والتوبة عن الشر .

فالتوبة كما يراها الإمام الغزالى هى ذوبان الأحشاء لما اقترفه الإنسان من الأخطاء .

ويحدد الإمام الجيلانى [2] التوبة (توبة التائب) فى أربعة أشياء :

---

(١) حديث « الندم وتوبة » ـ ابن ماجه وابن حيان والحاكم ، وصحح اسناده من حديث ابن مسعود .

(٢) الامام عبد القادر الجيلانى – الغنية ص : ١٤٠ .

أولا أن يملك لسانه من الغرور والغيبة والنميمة والكذب .

ثانيا : أن لايرى لأحد فى قلبه حسدا ولا عداوة .

ثالثا أن يفارق اخوان السوء ، فإنهم هم الذين يحملونه على هذا الطريق ويضيعون عليه صحة العزم فى التوبة .

رابعا : أن يكون مستعدا للموت ، نادما مستغفرا لما سلف من ذنوبه ، مجتهدا فى طاعة ربه .

فإذا تخلص الإنسان من هذه الآفات وتجنبها وتخلى عن الشهوات ، فإنه يكون مقبول التوبة ، ويظهر ذلك على قلبه ، فتبدو عليه علامات الصدق فيتصف حينئذ بالصفات الآتية :

أولا : أن ينقطع عن أصحاب الفسق والفجور ويخالط الصالحين .

ثانيا أن ينقطع عن كل الذنوب ويقبل على جميع الطاعات .

ثالثا : أن يذهب فرح الدنيا من قلبه ، ويستبدل به حزن الآخرة .

رابعا : أن يرى نفسه غير منشغل بمطالب الدنيا وهواها ، مشتغلا بما أمر الله به من الطاعات .

وبذلك تصدق فى هذا التائب الصادق المخلص قول الله تعالى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »[١] .

وقوله تعالى : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب[٢] » .

وقوله تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ، ولا للذين يموتون وهم كفار »[٣] .

وقوله تعالى : « ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة من عباده »[٤] .

---

(١) البقرة ٢٢٢

(٢) النساء ١٧

(٣) النساء ١٨

(٤) التوبة ١٩٤

وقوله تعالى : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم »[(١)] .

وقد سئل الحسن رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال : هى ندم القلب ، واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح ، واضمار أن لا يعود إليه »[(٢)] .

أما العاصى فإنه يفاجىء بملك الموت ، فإذا ظهر له أعلمه أنه قد بقى من عمره ساعة ، وأنه لا يستأخر عنها طرفة عين ، فيأسف العبد ويتحسر ويقول : « لو عرفت ذلك مادخلت هذه الدنيا ، ولو كانت لى من أولها إلى آخرها فخرجت منها غير آسف عليها ، لو أن الله سبحانه وتعالى أخّره ساعة أخرى حتى يتوب عن فسقه ويستبدل فيها بالطاعة أمره ، ويعاتب فيها نفسه ، فلا يجد إلى ذلك سبيلا .

إن الساعة التى ينتهى فيها العمر لا تساويها من حيث القيمة الدنيا وما فيها ، فالعاقل هو الذى يمضى فى هذه الحياة ، ويعرف أن كل ساعة تمضى من عمره هى منزلة هذه الساعة ، ومنزلة هذه الساعة هى الدنيا ومافيها[(٣)] .

●●● التوحيد ●●●

التوحيد عند الصوفية[(٤)] هو شهادة المؤمن يقينا أن الله تعالى هو الأول فى كل شيء وأقرب من كل شيء ، وهو المعطى المانع لامعطى ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا هو .

فالمؤمن ينظر إلى « لاإله إلا الله » فيسبق نظره قلبه إلى الله قبل كل شيء آخر ، ويخلو قلبه من كل شيء إلا الله ، ويرجع إليه فى كل شيء ، ويعلم أنه أقرب إليه من حبل الوريد ، وأقرب إلى الروح من حياته ، وأقرب إلى البصر من نظره وأقرب للسان من ريقه ، والله سبحانه وتعالى ، فوق كل شيء فى السمو ، هو فوق ملائكة العرش ، ومكانه مشيئته ، ووجوده قدرته ، والدنيا

---

(١) آل عمران : ٩٠ .
(٢) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب - الجزء الأول ص : ٣٦٤ - ٣٦٥ .
(٣) الامام أبو نعيم - حلية الاولياء المجلد الثانى ص ٢٥٣ .
(٤) أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ٢ ص ١٦٩ - ١٧٩

والخلق والعالم من أعلاه إلا أسفله كخردلة فى قبضته ، وهو أعلى من ذلك ومحيط بجميع ذلك ، وذلك تصديقا لقوله تعالى ، « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط »[١] .

فلا نهاية لتجليه تعالى ، ولا غاية لأوصافه ولا نفاد لكلمنه ، ولا إنقطاع لأفهامه ، وليس للتوحيد كيف ولا للقدرة ماهية ، ولا يشبهه أحد ، وليس كمثله شيء[٢] .

كما أن الله هو الحق سبحانه وتعالى ، موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيب رفيع متكلم بصير متكبرقدير حى باق صمد وأنه عالم بعلمه ، قادر بقدرة مريد بإرادة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام حى بحياة باق ببقاء[٣] .

والتوحيد عند الصوفية هو معرفة لله تشرق بها النفوس ، وتتجلى عليها الحقائق ، فتلقن بالمعارف وتهدى إلى القيم والفضائل ، وبالتوحيد تعرف النفس الإنسانية مكاسبها ومثالبها ، وتتطهر من عيوبها ، وأهوائها ، وتتحلى بمكارم الأخلاق ، وتتخلى عن الصفات المذمومة .

●●● التوكل ●●●

التوكل غير التواكل الذى هو سلبية وتبطل وكسل وإهمال وبعد عن الحق ، ومخالفة الشريعة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والتوكل كما نجده عند الإمام الغزالى[٤] ينقسم إلى علم وحال وعمل والعلم هو الأصل الذى لا يعرفه إلا بعض الخلق ، أى الراسخون فى العلم ، فإنهم عرفوا كنه وأصل معناه ، وأما العامة من الناس فوقفوا على مجرد لفظه ، وهذا بعيد عن الحق .

ولكن يمكن القول أن بعض شروط العلم ربما يتوافر عليها بعض العامة

---

(١) آل عمران : ١٨ .

(٢) أبو طالب المكى -قوت القلوب جـ٢ ص : ١٦٩ - ١٧٩ .

(٣) الامام القشيرى - الرسالة القشرية جـ٢ ص : ٤٥ - ٤٦ .

(٤) الامام ابو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ١٣ ص : ٢٥٦٠٤ .

ولكن البعض الآخر من العلم لا يظهر إلا للخواص والمكاشفين بأمور الحق تعالى . ولولا ذلك لأصبح العلم للجاهلين ، وحاشى لله أن يكون فعل المجانين كفعل العارفين ، وإلى هذا أشار الله تعالى فى كتابه العزيز ، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [١] .

والعبادة هنا بمعنى معرفة الله ، وعلم الله ، وفتح الله ، وفيض الله وتجلى الله ، ومحبة الله ، والتوكل على الله ، وأما الحال فى التوكل فهو أصل التوكل على التحقيق ، ولذلك فإن السالكين إلى طريق الله قد اختلفت عباراتهم ، وذلك لإختلاف مقاماتهم لأن التوكيل من الوكالة ، وهو لعبد قد وكل أمره أى فوضه إليه وإعتمد عليه تعالى ، فهو عبارة عن إعتماد القلب على الوكيل وحده الذى هو الله تعالى جلت قدرته .

وفى التوكيل يجب على العبد أن يسقط التدبير مع الله ، فلا يدخل قلبه شك ولا تقصير ولا قصور ، وأن يثق فى الله لأنه وكيله ، ولا يطمئن إلا إليه ، فيعتقد فى قوته ، وعظمته ، وشفقته ورحمته ولا يكون متوكلا إلا إليه ، ولا مسلما أمره إلا عليه ، فإذا ثبت النفس بكشف أو بفتح ربانى أنه لا فاعل إلا الله ، وأعتقد العبد فى الله أنه العلم والقدرة والعقل والعناية والرحمة ، وأنه ليس وراء منتهى علمه ولا وراء عنايته عناية ، فهو إذن متوكل بقلبه عليه وحده لا يلتفت إلى غيره ، ولا إلى نفسه ، ولا الى حوله وقوته ، فإنه لا حول له ولا قوة إلا بالله .

وإذا كان العبد لا يجد فى نفسه هذه الحالة ، فذلك أما لضعف يقينه بالله وذلك ناتج أما لضعف القلب ، ومرضه ، أو لخوفه وجبنه ، ووهمه ، وغلبة الهوى ، فإذا تكشف للعبد معنى التوكل ، فإن حاله يكون مع الله ، وثقته فى الله ، ورعايته من الله وبالله وهذه درجة من درجات التوكل .

أما الدرجة الثانية فهى أرقى وأعلى فيكون حال المتوكل مع الله كحال الطفل مع أمه ، فلا يعرف غيرها ، ولا يفزع إلا لها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ولا يتبع إلا أمرها ، ويتعلق بذيلها ، وإذا شكا أمرا كان أول ماينطق به « يا أماه » ، وأول خاطر يخطر على قلبه هو أمه ، فهو واثق فى كفالتها له ، وكفايتها ورحمتها به ، وشفقتها عليه ، ثقة ليست خالية من الإدراك والتمييز .

---

(١) الزاريات : ٥٦ .

وكذلك بالمثل حال المتوكل فى هذا المقام ، فمن كان باله وشغله إلى الله تعالى ونظره إليه واعتماده عليه ، فإنه يكون كحال الصبى مع أمه فيكون متوكلا حقا على الله ، والفرق بين التوكل على الله والثقة فيه أى التوكل فى الدرجة الأولى ، والتوكل فى الدرجة الثانية ، أن الأخير قد فنى فى توكله ، فلا يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى الله تعالى ، فلا مكان فى قلبه لغير الله ، وأما الأول فإنه يتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لأنه يشعر بالتفاته إلى الحق تعالى ، وهذا مايصرفه عن شغله بالله جلت قدرته ، وفى هذا يقول سهل بن عطاء [١] عن التوكيل عندما سئل عن أدنى الدرجات فيه أنه : « ترك الأمانى » . . ثم سئل : ماأوسط درجات التوكل ؟ . . . فقال : ترك الخيار . . (وهذه إشارة إلى الدرجة الثانية من التوكل) . . ثم سئل : ما أعلى درجات التوكل ؟ . . فلم يجب ثم قال : لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . . (أى الدرجة الثانية) .

ويرى الامام الغزالى [٢] أن هناك درجة أعلى من الدرجتين السابقتين ، وهى الدرجة الثالثة أو العليا فى التوكل ، فقال : إن أعلى درجات التوكل هى أن يكون العبد بين يدى الله تعالى لله حركاته وسكناته ، مثل الميت بين يدى الغاسل لا تتميز عنه إلا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية ، كما تحرك يد الغاسل الميت ، وبعبارة أخرى هو ذلك المؤمن الذى قوى إيمانه وورعه ويقينه بأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب القدرة والإرادة والحركة والعلم ، وسائر الصفات . بل مثل ذلك الصبى لا يطلب أمه ، إلا أن أمه تطلبه ، وهو لم يتعلق بذيلها ، إلا أنها تحمله ، وأنه لم يسألها اللبن ، إلا أنها تسقيه وتشربه له .

فالمقام الثالث من التوكيل هو منتهى غاية الواصلين ، لأن فيه استجابة الدعاء بلا دعاء ، وثمرة من الثمار اليانعة بلا طلب ، وهو غير المقام الثانى الذى يشترط فيه السؤال من الله والدعاء لله ، والرجاء فى الله ، وهذا المقام الثالث عزيز قادر .

فالمقام الأول أقرب إلى الامكان والوجود والتحقق ، أما الثانى فأبعد منه

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ١٣ ص : ٢٥١٠ .
(٢) الامام أبو حامد الغزالى - مكاشفة القلوب ص : ٢٠٦ .

حالا ، وأما الثالث فهو عزيز الوجود ، وإذا ورد على العبد فإنه لايدوم ، لأنه كالخطفة أو كالبريق ، ثم ما يلبث أن يمضى ، أو كصفرة الوجل ، أو انبساط القلب وذلك لا يدوم إلا لحظات .

كذلك فإن التوكل بالمعنى الثالث هو إنتهاء القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لأنه فى هذه الحالة يفنى العبد عن التدبير ، ولا يجد له حولا ولا قوة إلا بالله ، فهو كالمبهور والمبهوت والمندهش ، تنتفى فيه الخصال الإنسانية ، ولا يشعر إلا بالقدرة والإرادة الربانية ، فمن انقطع إلى الله عز وجل ، كفاه الله تعالى كل مئونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن أنقطع إلى الدنيا وكله الله إليها .

وقد قال رسول الله ﷺ - « من سره أن يكون أغنى الناس » فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه » وقال عليه الصلاة والسلام أيضا « أنه لما قال جبريل لإبراهيم - عليهما السلام - (وقد رمى إلى النار بالمنجنيق) ألك حاجة ؟ . . قال : أما إليك . . فلا . . . ثم مضى إلى قوله : حسبى الله ونعم الوكيل » قال ذلك حين أخذ ليرمى فى النار [١] ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة « وإبراهيم الذى وفى » [٢] ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « ياداود ما من عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والأرض ، إلا جعلت له مخرجاً » [٣]

وحال المتوكل كقول [٤] إبراهيم بن أدهم - رضى الله عنه - سألت أحد الرهبان : من أين تأكل ؟ . . . فقال لى : ليس هذا العلم عندى ، ولكن سل ربى من أين يطعمنى ؟ . . وهذا تجده أيضا فى قول هرم بن حيان لأويس القرنى » أين تأمرنى أن أكون ؟ . . فأومأ إلى الشام ، فقال هرم : كيف تكون المعيشة ؟ . . قال أويس : « أف لهذه القلوب ، قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة . . » .

وبهذا يكون التوكل هو الرضا بالله وكيلا ، فهو الذى يوجه المتوكل إلى كل

---

(١) مكاشفة القلوب ص٢٠٦ وما بعدها .

(٢) سورة النجم الآية ٣٧ .

(٣) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين جـ١٣ ص : ٢٥١٤ .

(٤) الامام أبو حامد الغزالى - مكاشفة القلوب ص : ٢٠٦ .

الخير ، وهو الذى يرشده إلى كل فعل وعمل لأنه مسقط للتدبير مع الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، فهو معينه ومرشده وصاحبه ، وكفى بالله وكيلا

●●● التولى ●●●

يقصد فى اللغة بالتولى [1] معان متعددة ، ويقال تولى الشيء أى قام به وفعله حين يتولى أمير أو ملك شئون بلد من البلاد ، كما يقال أيضا تولاه أى أحبه ومال إليه ، ويقال تولى صديقه أى نصره وساعده وقام بأمره .

أما الصوفية فيستخدمون كلمة تولى بمعنى الانصراف والادبار والذهاب وهى تؤدى أيضا معنى لغويا وهو الاعراض والانصراف .

ويرى الصوفية أن التولى هو رجوع السالك إلى حاله بعد تجلى الله عليه بالقربة والمنة والمكاشفة والمحادثة ، فيتولى بعد أن يكون قد شرب وأرتوى على قدر حاله ومقامه من فضل الله ، ونعم الله ، فيرجع بعد أن يلقى إليه مايلقى وبعد أن يبقى ما شاء له الله أن يبقى ، ثم يتولى أى ينصرف ، بعد حكم الله وأمر الله ، ومشيئة الله [2] .

●●● التوسل ●●●

يؤمن أئمة الصوفية بالتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه ورسله وأوليائه وصالحات الأعمال . والتوسل هو التقرب إلى الله تعالى كأنه يتوسل بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى يتوسل به إليه تعالى للتقرب من نيل ثوابه ، أو من فعل طاعة . أو ترك معصية ، والوسيلة هى القربة أو المنزلة ، أو الدرجة ، وذلك فى قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة » [3] ، أى يبتغون القربة من الله تعالى ، وقيل الشفاعة يوم القيامة . وقيل أيضا منزلة من منازل الجنة . كما جاء الحديث الشريف « حديث الآذان » فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم آت محمدا الوسيلة » .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص : ٦٩١

(٢) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية .

(٣) الاسراء : ٥٧ .

والتوسل بهذا المعنى كأن يقول المتوسل « اللهم أنى أتوسل إليك بالنبى ﷺ ، أو بآل البيت أو بفلان الولى الصالح أو أتوجه أو أتقرب أو استشفع إليك بنبيك ﷺ أن تقضى حاجتى أو تشفى مريضى أو ترد ضالتى ، أو ترزقنى أو تغفر لى ، أو تدخلنى الجنة »[1] .

والتوسل إنما هو طلب من الله تعالى أن يقضى حاجة للمتوسل بالنبى أو الولى أى كأنه يقول ، يارسول الله أو ياسيدى فلان ، أطلب منك بما لك من القربة والمحبة والمكرمة عند الله تعالى أن تدعو الله تعالى بقضاء حاجتى ، أو رفع غمتى ، أو نصرتى على هوى نفسى ، أو مساعدتى فى رد حقى . . . الخ .

وبهذا المعنى يكون الدعاء من النبى أو الولى شفاعة ، أى أن المتوسل يستشفع بالنبى أو الولى عند الله تعالى كما يستشفع أحدنا بصاحبه عند آخر ليسأله دفع مظلمة أو جلب مصلحة ، وهذا جائز لقوله تعالى « وابتغوا إليه الوسيلة[2] » ، أى التوسل إلى مايقربكم من الله تعالى .

والواقع أنه لا نزاع فى ذلك لقوله ﷺ « الله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه »

ففى دعاء الأخ لأخيه مرحمة ومودة ومكرمة ، بل مساندة ومساعدة لإنتهاج طريق الخير وتجنب طريق الشر ، وهذا ماأوصى به الله تعالى فى الآية الكريمة « وتعاونوا على البر والتقوى »[3] .

ويؤكد ذلك أن الرسول ﷺ قال لعمر رضى الله عنه لما استأذنه فى العمرة : لا تنسنا ياأخى فى دعاء ، والتوسل هنا بمعنى الدعاء له فى بيت الله الكعبة الشريفة ، كما توسل الصحابة رضى الله عنهم بالنبى ﷺ فى الإستسقاء ثم بعمه العباس ثم يزيد بن الأسود رضى الله عنهم فى معنى طلب الدعاء

---

(١) الشيخ محمد حسنين مخلوف - حكم الاسلام فى التوسل بالأنبياء والأولياء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص : ١ وما بعدها .

(٢) الاسراء : ٥٧ .

(٣) المائدة : ٣٥ .

ويروى لنا صاحب حلية الأولياء [١] ، وأيضا فى مشاكاة المصابيح للخطيب التبريزى عن الفاروق عمر بن الخطاب أن الرسول ﷺ قال : أن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس (أويس القرنى) لا يدع باليمن غير أم له كان به بياض ، وعند صاحب الحلية ، وتحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء (أى برص) - فدعا الله فأذهبه ذلك إلا موضع الدينار أو الدرهم - فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » ، أو فى رواية أخرى فإذا أنتما لقيتماه فأطلبا اليه يستغفر لكم ، يغفر الله لكم .

وكان بمجلس الرسول عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فمكثا يطلبان أويس مدة عشر سنين ، ولا يجتمعان به ، فلما كانت السنة الأخيرة من خلافة عمر رضى الله عنه ، قام على أبى قبيس فنادى بأعلى صوته فى حجاج بيت الله « ياأهل اليمن ، أفيكم أويس ؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية وقال : إنا لاندرى ما أويس ، ولكن ابن أخ لى يقال له أويس ، وهو أبسط رجلا فينا ، وأقلنا مالا ، وأهون أمرا من أن نعرفه إلى الخليفة ، فهو يرعى أبلنا حقير بين أظهرنا » فتظاهر عمر بن الخطاب بأنه لايريده ، لكنه قال : وأين ابن أخيك هذا ؟ فرد الشيخ بأنه قد سافر ، فقال عمر ، ولكن أين نجده ، فقال الشيخ ، بأرض عرفات .

وهنا ركب عمر وعلى - رضى الله عنهما - مسرعين إلى عرفات حتى وجدوه قائم يصلى إلى جانب شجرة ، والإبل حوله ثم أقبلا عليه وقالا : السلام عليكم ورحمة الله ، فخفف أويس الصلاة ثم قال : وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته ، قالا من الرجل ؟ .. قال : راع إبل وأجير قوم .. قالا : لسنا نسألك عن الرعاية ، وعن التجارة ... ماأسمك ؟ قال : عبدالله .. قالا . قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله .. إنما نسألك إسمك الذى سمتك أمك ؟ ... قال : ياهذان ماتريدان منى ؟ .. قالا : وصف محمد صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى ، وأخبرنا أن تحت منكبيه الأيسر لمعة بيضاء ، فأوضحها لنا ، فإن كانت بك فإنت هو ، فأوضح لهما ... فإذا اللمعة البيضاء ، فأخذا يقبلانه وقالا : نشهد أنك أويس .. فإستغفر الله لنا .

قال أويس - رضى الله عنه - ما أخص (أى اقتصر) بالإستغفار لنفسى

---

(١) الامام أبو نعيم - حلية الأولياء ص وكذلك روض الرياحين لليافعى .

ولا أحدا من ولد آدم ، ولكن فى البر والبحر والمؤمنين والمؤمنات ، ياهذان لقد أشهر الله لكما حالى ، وعرفكما أمرى فمن أنتما ؟ . . .

فقال على كرم الله وجهه : أما هذا فعمر أمير المؤمنين ، وأما أنا فعلى بن أبى طالب « فاستوى أويس قائما وقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ، وأنت ياأبن أبى طالب ، فجزاكما عن هذه الأمة خيرا ، قال : وأنت جزاك الله عن نفسك خير ، فقال عمر : مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنقة من عطائى ، وفضل كسوة من ثيابى ، هذا المكان ميعاد بينى وبينك .

فقال أويس ، ياأمير المؤمنين . . . لا ميعاد بينى وبينك ، ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ، أما ترى على إزار من صوف ، ورداء من صوف متى ترانى أنفقهما ؟ . . أما ترانى أنفق من رعايتى (للإبل) أربعة دراهم ، متى ترانى آكلها ؟ . . ثم قال : أخفى (خبرى) يرحمك الله ، فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الأرض ، ونادى بأعلى صوته « ألا ليت أن أم عمر لم تلده » ياليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها ، إلا من يأخذها (يقصد الدنيا) بما فيها ولها . .

فقال أويس : خذ هذا الطريق يا أمير المؤمنين ، وأنا آخذ هذا الطريق فسار عمر وعلى رضى الله عنهما ناحية مكة ، وساق أويس أبله حتى سلمها إلى أصحابها وتخلى عن رعايتها وتفرغ للعبادة ، حتى لحق بالله عز وجل . .

وهذه القصة تعتبر أصل من الأصول التى يمكن أن يرجع إليها فى التوسلات بمعنى طلب الدعاء والإستغفار من النبى أو من الولى مباشرة وفى ذلك قوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فأستغفروا الله واستغفروا الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » [١] وقوله تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم [٢] وقوله تعالى : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله [٣] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة التى يمكن أن تقربهم من الله عند

---

(١) النساء : ٦٤
(٢) آل عمران : ١٥٩
(٣) التوبة : ٨٠

ربتهم وإستغفارهم مما فعلوه ، وكذلك ممكن إطلاق ذلك على الصالحين والأولياء أيضا حيث أن الآية الكريمة لم تخصص الدعاء بالرسول للاستغفار والتوبة لله .

فالدعاء من العمل الصالح وهو أساس العبادة ، كما أن النبى والولى وسيلة مبتغاة مطلوب سؤاله شرعا بمقتضى هذه الآيات الكريمة حتى ينال العبد المقصود وهو فعل الطاعة ، واجتناب المعصية .

ويرى أئمة الصوفية أنه لا مانع من التوسل بالموتى وطلب الدعاء منهم [١] لأن أرواحهم ليست ميتة ولا متلاشية كما تتلاشى قوى الأبدان ، فالموت إنما هو مفارقة الأبدان فحسب ، وإنتقال الأرواح إلى دار غير دارها ، فلا تزال حية فى عالم البرزخ ، فلا سبيل لانكار الحياة والعمل بعد الموت ، وقد صح أن كثير من الأولياء يصلى فى قبره ويقرأ القرآن ، وقد ثبت أن القراءة والتعليم ونحوهما إنما هو فى الحقيقة للأرواح الحية الباقية ، ويؤيد ذلك قوله تعالى « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وأن من شيء إلا ويسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم [٢] فالتسبيح للأرواح فى العالم البرزخى ، وقد صح تسبيح الحصى فى كف الرسول ، وتسبيح الطعام فى إنائه ، فأرواح الموتى إذن من المسبحات الداعيات بدعاء وتسبيح يفقهه أهله وإن كنا لا نفقهه إلا من كشف عنهم حجاب البدن .

والمعروف أن الأرواح فى البرزخ بعد إنتقالها بالموت تكون أكثر شفافية وأقوى فى تصرفها حال الحياة وذلك لفناء البدون ، فتخصيص التوسل بالأحياء فقط ليس دليل لأن الحديث النبوى « إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث » يدل دلالة واضحة على إنقطاع عمله التكليفى الدنيا ، ولكن روحه لها مجال فى العمل والتصرف لا تكليف فيه كما يحدث فى الموت الأصغر وهو النوم من سياحة أورواح النائمين والملائكة والمطهرين [٣] .

---

(١) الشيخ محمد حسنين مخلوف - حكم الاسلام فى التوسل بالأنبياء والأولياء المجلس للشئون الإسلامية - العدد ١٥٥ ص : ١١ وما بعدها .

(٢) الاسراء : ٤٤

(٣) ابن القيم الجوزية - الروح ص٥ - ٥٠

فأرواح الموتى لاتزال حية باقية تسمع وتعلم وتعمل ، كما تشهد بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وهناك أكثر من حديث نبوى على أن أرواح الموتى تسمع [١] لأنها حية باقية بل هى أسمع من أرواح الأحياء ، ولأنها سميعة بالذات وأرواح الأحياء سميعة بالأدوات الحية ، فقد سأل الرسول ﷺ الموتى من أهل قليب بدر : أتكلم الموتى .. يارسول الله ؟ .. فقال عليه الصلاة والسلام ، والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع من هؤلاء أو منهم » [٢] .

فسؤال عمر للرسول ﷺ إنما ظنا منه أن التكلم عن طريق الهيكل المخصوص ، إذ أنه إذا تلاشى فقد الحس والحركة كما هو معروف عند الموتى ، فأرشده الرسول ﷺ أن الموجه إليهم الخطاب هم الموتى وأن أرواح الموتى هى التى تخاطب فتسمع وتسمع ويسمع الأحياء .

والدليل القرآنى على ذلك أن قوم بنى اسرائيل أصاب بلادهم الطاعون فهربوا فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء نبيهم حزقيل عليه السلام ، فعاشوا دهرا ثم ماتوا ، فلا غرابة أن يعيد الله الروح والحياة إلى البدن بعد أن فارقته الروح فتتكلم ، وتمشى ، وتأكل وتشرب ، وتتزوج وتلد ، وكما روى مسلم عن الرسول قوله : أن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا » ..

وعلى ذلك فإن التوسل بالأموات راجع إلى التوسل بأرواحهم الحية الباقية ، ولا مانع من صدور الأفعال عنها كما كانت تصدر حال الحياة ، والفرق أن الميت يتصرف بمجرد الارادة والتوجيه ، ولكن ليس عن طريق الأدوات الحسية ، كالسمع والبصر والحس .

وعن أبى العباس المرسى رضى الله عنه أنه سأل أحد مريديه وهو أحمد مرزوق « هل امداد الحى أقوى أم امداد الميت » ؟ .. فقال : « أنهم يقولون امداد الحى » وأنا أقول امداد الميت » فقال أبو العباس : نعم لانه فى بساط الحق .

وخلاصة القول أن التوسل بأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين بعد مماتهم -

(١) ابن القيم الجوزية - الروح لابن القيم ص : ٥ .

(٢) الشيخ محمد حسنين مخلوف - حكم الاسلام فى التوسل بالأنبياء والاولياء - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - العدد ١٥٥ ص١٥ - ٢٢ .

كالتوسل بهم وطلب الدعاء منهم حال حياتهم ، والذى يؤمن بذلك عليه أن يؤمن بذلك أيضا ، فالدليل هو الدليل والنوم نوم أكبر ، ونوم أصغر ، إشارة إلى قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى »[1] .

والذى يحدث للرائى والنائم من اطلاع على حقائق الأشياء ، ومن تصرفات غريبة إنما يؤكد أن إطلاع أرواح الموتى وتصرفها فى هذا العالم المخصوص قائم على توفى النفس وتخلصها من حجابها المادى .



(١) الزمر : ٤٢ .

حرف الجيم

ج

●●● الجبروت ●●●

الجبروت هو القهر والغلبة والجبر والعظمة ، وعالم الجبروت هو العالم المسيطر على النفوس الخيرة ، ويرى بعض أئمة الصوفية أن هناك عوالم ثلاث ، عالم الملكوت ، وهو العالم اللطيف ، الذى تحيا فيه النفسو اللطيفة من الملائكة ، ثم العالم الأرضى ، أو العالم السفلى ، وهو عالم الدنيا والإنسان ، وهو أقل العوالم إرتقاء ، ثم هناك عالم وسط بين العالمين ، يسمى أحيانا بالعالم البرزخى ، كما يسمى أيضا بعالم الجبروت ، وهو فوق عالم الأجساد وتحت عالم الملكوت .

ويحكى على بن أبى طالب [١] كرم الله وجهه ـ أنه قال « أن عالم الجبروت هو عالم العظمة » ففى هذا العالم عقول نورانية ، ونفوس ملائكية طاهرة ، تسيطر عليه وتقف على بابه ، وتمنع زحف الصاعدين إلى عالم الملكوت ، فهو بمثابة حجاب بين عالم الأجساد وعالم الملكوت ، لأن فيه قهر وجبر للنفوس التى تود الاتصال بعالم الغيب ، أو عالم الملكوت .

●●● الجلال والجمال ●●●

يستمد الصوفية لفظ الجلال من قوله تعالى « ويبقى وجه ربك ذو الجلال

---

(١) الامام الاكبر محى الدين بن عربى - رسائل بن عربى ج٢ كتاب اصطلاح الصوفية

والاكرام [١] ، وجل الشيء أي عظم ، ومنه جل فلان في عيني ، وجلال الله هو عظمته تعالى [٢] .

ويرى الامام عبدالكريم القشيرى [٣] أن الجليل هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة ، وأما الجميل فإنه يمكن أن يقال الجليل أيضا .

والله عز وجل يكاشف القلوب مرة بجلاله ، ومرة بوصف جماله ، فإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحوالها دهشة واندهشا ، وإذا كاشفها بجماله صارت أحوالها تعطشا وعطشا ، والسالك إلى الله إذا كاشفه سبحانه وتعالى بجلاله إفناه وإذا كاشفه بجماله أحياه .

فكشف الجلال يوجب محوا وغيبة ، وكشف الجمال يوجب صحوا وقربه والعرافون بالله يكاشفهم ـ سبحانه وتعالى ـ بجلاله ، فإذا كاشفهم غابوا ، وأما المحبون فإذا كاشفهم بجماله طابوا ، فمن غاب فهو مهيم ، ومن طاب فهو متيم .

ويرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي [٤] أن صاحب الجلال نعت من نعوت الجبروت ، يتصف بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده ، فهو صاحب القهر والغلبة ، والجلال لما يمتلكه تعالى من العظمة والكبرياء .

وأما الجمال فإنه يطلق على الحق تعالى كنعت من نعوت الرحمة والألطاف ويفرق الإمام القشيرى [٥] بين العابدين والعارفين فيرى أن العابدين هم الذين شهدوا أفضال الله تعالى ، فبذلوا نفوسهم ، وأما العارفين فشهدوا جلاله فبذلوا قلوبهم ، كما يرى أن المحبين قد شهدوا جماله فبذلوا أرواحهم ، فمن كان له علم اليقين شهد جلاله ، ومن كان له حق اليقين [٦] شهد جماله .

---

(١) الرحمن ٢٧ .

(٢) معجم ألفاظ للقرآن الكرين الجزء الاول ص : ٢٠٣ .

(٣) الامام القشيرى - التجبير فى التذكير ص : ٦٢ تحقيق : د . ابراهيم بسيونى .

(٤) الشيخ الاكبر محى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى كتاب اصطلاحات الصوفية .

(٥) الامام عبد الكريم القشيرى - التحبير فى التذكير ص : ٦٢ .

(٦) راجع فى الكتاب حق اليقين وعين اليقين .

●●● الجلوة ●●●

الجلى فى اللغة ضدّ الخفى والجلية ، الخبر اليقين والجلاء الجلى وجلا بمعنى أوضح وكشف ومجلوة فهى واضحة ، والتجلى هو الكشف والإظهار [١] ، وتجلية هى كشف وإظهار [٢] ، وقد اشتق الصوفية من هذا اللفظ الجلوة من التجلى عن الآية الكريمة فى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » [٣] ، أى أن الله سبحانه وتعالى عندما ظهر ، وأما عن ظهوره تعالى فعلم ذلك عنده تعالى وحده .

فالجلوة هى الكشف [٤] والجلاء والوضوح تأييدا لقوله تعالى « قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو [٥] » .

ويستخدم الصوفية لفظ الجلوة علامة على إشراق قلوب المريدين بنور الله ، ويرى الشسيخ محيى الدين [٦] أن الجلوة إنما تبتدى بعد الخلوة [٧] ، ذلك أن الجلوة هى خروج العهد من الخلوة بالنعوت الإلهية [٨]

والمعروف حديثا عند أعضاء الطرق الصوفية أن الجلوة تعبير عن نعم الله ، من الفتوح ، والكشوف ، وخوارق العادات ، والتجليات التى تظهر على قلوب المريدين ، والمعروف أيضا أن الشيطان يظهر للمريد المبتدىء فى الخلوة فى صورة متعددة كترغيب فى محظور ، أو ترهيب فى شكل ظهور حية رقطاء ، أو ثعبان

---

(١) مختار الصحاح ص : ١٠٨ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن ص : ١٠٣ .
(٣) الاعراف ١٤٨
(٤) راجع الكشف بالكتاب .
(٥) الاعراف : ١٨٧ .
(٦) راجع الخلوة بالكتاب .
(٧) رسائل ابن عربى - كتاب إصطلاح الصوفية .
(٨) الحكومة الباطنية للمؤلف .

ضخم ، يريد أن يفترسه [١] ويقاوم المريد هذا الشيطان الماكر بالذكر والتأمل والصمت ومخالفة النفس والجوع ، والسهر ، والدعاء ، وقراءة الورد ، بشكل منتظم حتى ينتصر على أعداء الله ويغلب على حاله الرجاء بعد الخوف ، والأمن بعد الرهبة ، فإذا ظهر له الشيطان فى أى صورة هزمه وصرعه لأنه يشعر بأن الله معه .

ثم إذا خرج من الخلوة يخرج متصفا بالكمالات الأخلاقية وهذا مايقصد إليه الشيخ الأكبر أن المريد يخرج من الخلوة متصفا بالنعوت الإلهية وهى جميعا من الله فيظهرها عليه ، وهذا ما نجده عند بعض أفراد الطريق من قدرات خارقة فى الجلوات كخرق سلك فى خد المريد وخروجه من الجانب الآخر دون تأثير مادى أو ترك أثر أو سقوط نقطة من دم ، ولايجد العلم تفسيرا لهذه الظاهرة التى يجدها فى الجلوات .

وكذلك نرى أن بعض مريدى الرفاعية ، لا يخافون الثعابين ، وفى رأينا أن الثعبان يمثل النفس الأمارة فإذا روض الثعبان فمعنى ذلك القدرة على ترويض وتأديب النفس والشيطان جميعا .

●●● الجمع والفرق ●●●

يرى صاحب الرسالة القشيرية [٢] أنه لابد للعبد من الجمع والفرق ، فإن من لا تفرقة له ، ولا عبودية له ، ومن لا جمع له ، لا معرفة له ، فقوله تعالى « إياك نعبد [٣] » إشارة إلى الفرق ، وقوله تعالى « إياك نستعين » [٤] إشارة إلى الجمع .

فالفرق هو كسب العبد من إقامة العبودية من تكاليف وفرائض شرعية ، ثم هو مايليق بأحوال البشرية ، فإذا خاطب العبد الصالح الحق تعالى بلسان نجواه مستغفرا ، أو سائلا ، أو داعيا ، أو راجيا ، أو شاكرا ، أو مبتهلا ، أو تائبا ، فهو فى محل التفرقة وهذا مايسمى « بالفرق » .

---

(١) الأستاذ صلاح عزام - أقطاب التصوف الثلاثة ص : ٣٠ .

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٧٠ .

(٣) الفاتحة : ٥ .

(٤) الفاتحة : ٥ .

أما إذا وقف العبد فى مقام الجمع فهذا إشارة إلى ما يقذف فى قلبه من جهة الله تعالى من اللطف والإحسان والمعرفة . فإذا إستمع العبد وأصغى ووعى بسره إلى ما ينجيه به الله ، وما يخاطبه به فيما ناداه أو ناجاه أو ورد على قلبه أو عرفه وأراده فهو جمع .

ويرى صاحب التعرف [١] أن الجمع عند الصوفية هو جمع الهمة فى أن تكون كل الهموم هما واحدا ، فيكون همه لله ، وبالله ومن الله ، وهذه حال فى المجاهدة والرياضة .

فالجمع هو ألا تتفرق هموم العبد ، وإنما يجمعها ، وتصبح حاله مع الله ، أما التفرقة فهى عقب الجمع ، وهو أن يفرق العبد بين همومه وحظوظه ، وبين طلب موافقة الله ، وقد ينظر أحيانا إلى حظوظ نفسه ، ولكنه ممنوع عنها لأنه فى التفرقة قد حيل بينه وبين هذه الحظوظ ، فلا يأتى له منها شىء وهو فى نفس الوقت غير كاره لذلك ، لأنه مريد صادق ، يرى أنه يسير فى طريق الحق ، وأن الحق تعالى جذبه ، فلا يعرف ولا يهتم بشىء سواه .

●●● الجن ●●●

أصل الجن : ستر الشىء عن الحاسة [٢] ، والجن عالم مستتر لا يرى بالمدركات الحسية ، والجان أيضا يقصد بها الجن ، والجان هى ضرب من الحيات وذلك تصديقا لقوله تعالى « فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » فلقد شبهت الحية بالجان لسرعتها وخفتها [٣] .

ومن هنا يعبر بعض الصوفية عن « الجنى » بالحية الرقطاء التى تخيف المريد فى رياضاته .

وعالم الجن عالم حقيقى بدليل أن القرآن الكريم قد حدد هذا العالم ، وأخبرنا عن خلقه فى قوله تعالى : « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » [٤]

---

(١) الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - ص : ١٤٢ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن ص : ٢١٣ - ٢١٤ .
(٣) النمل : ١٠ .
(٤) الحجر : ٢٧ .

كما أن الجن يعاقب ويثاب مثله مثل الإنسان وذلك وارد فى قوله تعالى : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »[١] وقوله تعالى أيضا . « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان »[٢] .

ويرى الإمام ابن القيم[٣] أن الجن والملائكة أحياء ناطقون وليسوا مفتقرين فى قيامهم إلى أرواح أخرى تقوم بهم ، ويرد على المفكرين والقائلين بأن الجن ليسوا أحياء ناطقة (بخلاف النفس فإنها حية ناطقة) كما أنهم يدللون على دعواهم بأن الجن والملائكة ليسوا بأجسام متحيزة ، ومن ثم فلا يقرون بوجودها .

يرد الإمام ابن القيم بقوله : « أن من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله غير من يكفر بذلك ، وإن الكلام مع من كفر فيها يتعلق بالنفس وقت ضائع ، لأنه قد كفر بفاطر النفس ومبدعها وملائكته وما جاءت به رسله ، كما أنه جحد بدليل الإيمان رغم الآثار المشهودة فى العالم من تأثيرات الملائكة والجن بإذن ربهم والتى لا يمكن إنكارها ، وهى موجودة بنفسها ولا تقدر عليها القوى البشرية .

ويدافع الإمام ابن القيم عن دليل وجود الجن فيرى أن الزعم القائل بأن الجن لو كانت جسما لكان اتصالها بالبدن سواء كان على سبيل المداخلة أى بتداخل الأجسام بعضها ببعض ، أو عن طريق الملاصقة والمجاورة فيلزم أن يكون للإنسان الواحد جسمان متلاصقان أحدهما يرى والآخر لا يرى .

ويدحض الإمام ابن القيم هذا الزعم فيقول : إنه من المحال أن يتداخل جسمان كثيفان أحدهما فى الآخر بحيث يكون حيزهما واحدا فأما أن يدخل جسم لطيف جسم كثيف يسرى فيه فهذا ليس بمحال .

ومن ناحية أخرى فإن ذلك يحدث فى صور كثيرة منها دخول الماء فى العود وفى السحاب . وكذلك دخول النار فى الحديد ، ودخول الغذاء فى جميع أجزاء البدن ، ودخول الجن فى المصروع ، والروح للطافتها لايمتنع عليها مشابكة البدن ، والدخول فى جميع أجزائه[٤] .

---

(١) هود : ١٩ (٢) الرحمن : ٧٤ .
(٣) الامام ابن القيم الجوزية - الروح - ص ٢٦١
(٤) الامام ابن القيم الجوزية - الروح - ص ٢١٧

وإن دخول الروح فى البدن ألطف من دخول الماء فى الأرض ، والدهن فى البدن ، ولذلك فإن للبدن حيز مادى « كما أن الروح حيزا » وليس هناك امتناع لهذا التداخل ، فإذا فارقت الروح البدن صارت لها حيزا غير حيز البدن وبذلك لايتداخلان ولكن يصير لكل حيزه .

وعلى ذلك يمكن القول أن هذا الطعن الفاسد لايستقيم مع ماورد فى الوحى الإلهى ، والسنة المباركة ، بل ولا مع الأدلة العقلية .

ويرى الحكيم الترمذى أن مملكة إبليس بها وزراء وأعوان لكل منهم اختصاص كما لها قواد ولكل قائد مائة ألف جنى (من الجن) حتى أنه يستطيع أن يبعث على الآدمى الواحد أكثر من ربيعه ومضر (وهما قبيلتان عربيتان) [١]

●●● الجوع ●●●

الجوع ضد الشبع ، وهو إسم من جاع يجوع جوعا [٢] ، وقد ورد بهذا المعنى فى قوله تعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص فى الأموال والأنفس والثمرات [٣] » وورد فى الحديث القدسى [٤] عن الله تعالى : « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا يا عبادى ، كلكم ضال ، إلا من هديته ، فأستهدونى أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع ، إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم » .

ولكن كيف يطعم الله وهو فى غير حاجة إلى الخلق ، كما ورد فى الحديث القدسى « فاستطعمونى أطعمكم » . . إنما هى إشارة من الله تعالى أن يطعم المسلم جاره الجوعان ، وأن يحسن إلى الجائع ويطعمه ، فإذا فعل فكأنه يطعم الله تعالى ، والله يطعم الكل .

---

(١) الاستاذ عبد المحسن الحسينى - المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ٢١٤

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم التراث للحميع (مجمع اللغة العربية) جـ١ ص٢٢٥

(٣) البقرة : ١٥٥ .

(٤) الامام محى الدين أبن عربى - مشكاة الانوار فيما يروى عن الله سبحانه وتعالى من الاخبار ص : ٦ - طبعة ١٣٦٩هـ .

وقد سئل أحد الصوفيه [١] من أين تأكل يافلان ؟ فقال [illegible] عرفت خالقى ما شككت فى رازقى ، وقيل لبعضهم .. من أين تأكل ؟ . فقال : من خزانة ملك لايدخلها اللصوص ، ولا يأكلها السوس

يروى عن إبراهيم الخواص [٢] ـ رضى الله عنه ـ أنه كان فى مسجد فرأى فقيرا جائعا لم يتحرك ولم يأكل ثلاثة أيام ، وكان يراقبه ويصبر معه على حاله ، ثم تقدم إليه وقال له : ماذا تشتهى ؟ .. قال خبزا حارا ومصلية (يصلى عليها) فخرج الخواص طول النهار ، ولكنه لم يتحصل على شىء مما طلب ، فرجع إلى المسجد وأغلق بابه ، وبعد حين من الليل دق الباب ففتحه ، فإذا بإنسان معه خبز حار ، ومصلية فسأله عن سبب حضوره ؟ .. فقال : تخاصم صبيانى ، معى وحلفنا أن لا يأكل هذا إلا أهل المسجد ، فقال الخواص : يا إلهى إذا كنت نريد أن تطعمه فلم أتعبتنى طول النهار ؟

ويروى عن الرسول ـ ﷺ ـ أنه قد حضرت إليه فاطمة الزهراء ومعها كسرة خبز ، فقال الرسول : ماهذه الكسرة يافاطمة ؟ .. قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال : أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام [٣] .

الجوع من أخلاق الصوفية وصفاتهم وهو أحد أركان المجاهدة ، ولقد اعتاد الأئمة على الجوع والإمساك عن الطعام فوجدوا ينابيع الحكمة فى الجوع ، وقد روى الإمام القشيرى فى الجوع عن يحيى بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ قوله : « لو أن الجوع يباع فى السوق ، لما كان ينبغى لطلاب الآخرة اذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره » ، ويروى عنه أيضا قوله « والجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة »

وقد دخل أحد الشيوخ على الأستاذ الدقاق ـ رضى الله عنه ـ فرآه يبكى فقال له « مالك تبكى » ، فقال : « إنى جائع » فقال : « أمثلك يبكى من الجوع ؟ .. فقال . « أسكت أما علمت أن مراده من جوعى أن أبكى ؟ » .

---

(١) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص : ٤١ تحقيق د. ابراهيم بسيونى
(٢) المرجع السابق .
(٣) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٣٣١ .

ويقصد من ذلك مارواه الحديث النبوى « إذا لم تبكوا فتباكوا »[١] الجوع إذن عند أهل الحق وسيلة للقرب من الله ، وتربية النفس والتسامى بها عن حظوظها حتى تنقاد إلى طريق الله ، وتتأدب بآدابه تعالى .

وينشد السرى السقطى رضى الله عنه واصفا أهل الحق ، محددا أوصافهم ذاكرا أسماء بعضهم فيقول[٢] :

أجاعتهم الدنيا فجاعوا ولم يزل ... كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما
أخـوطىء داود منهم ومسعـر ... ومنهم وهيب والغريب ابن أدهما
وحسبك منهم بالفضيل وبأبنه ... ويوسف إذا لم يأل أن يتسلما
وفى ابن سعيد قدوة البر والنهى ... وفى وارث الفاروق صدقا ومقدما
أولئك أصحابى وأهل مودتى ... فصلى عليهم ذو الجلال وسلما



(١) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٣٣١ .

حرف الحاء

ح

●●● الحال والمقام ●●●

يفرق الصوفية بين الأحوال والمقامات فيرون أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب [1] ، ومعنى ذلك أن كل ما يرد على القلب من غير اكتساب هو من الأحوال ، كالفرح ، والحزن ، والألم ، والسرور ، وغيرها وتأتى من غير تكلف تصديقا لقوله تعالى : « وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » - أى يلقى فى قلب المرء ما يحجزه عن مراده ويغير سبحانه وتعالى عليه نيته ، وحظوظ نفسه وهواها .

أما المقامات فيصل إليها السالك بالصبر والمجاهدة ، بل بالجوع والزهد والورع والقناعة ، والرضا والتوكل وإسقاط التدبير وغيرها .

ويرى الجنيد أن الحال نازلة تنزل بالعبد فى الحين ، فيحل بالقلب الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو الوقت فى حال الصوفى ويزول .

ويرى بعض الأئمة أن الحال مايحل بالأسرار من صفاء الأذكار ، ولا يزول فإن زال فلا يكون حالا .

ومن الملاحظ أن الصوفية يختلفون فى تحديد المقامات والأحوال فما يراه بعضهم حالا ، يراه البعض الآخر مقاما ، ويرجع ذلك إلى أن الأحوال التى تتقلب على قلب المريد الصادق ، لا يمكن حصرها ، ومن ثم تحديدها ، ولو أراد أحد ذلك فإن عليه أن يتعرف على جميع فنون العلم والفكر ، وهذا غير متيسر ولا مستطاع للإنسان .

---

(١) الامام مكابو ابن محم الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ٨٦ وما بعدها .

ويذكر الله سبحانه أصحاب المقامات فى كتابه العزيز بمعان متفرقة منها قوله تعالى « قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما »[١] ، وقوله تعالى . « عسى أن يبعثك الله مقاما محمودا[٢] » ، ويقول الله عن نفسه : « ذلك من خاف مقامى وخاف وعيد[٣] »أى خوف العبودية من مقام الربوبية ووعيد الله للعباد الظالمين ، كما يذكر المقام أيضا بمعنى الإقامة السيئة فى قوله تعالى : « إنها ساءت مستقرا ومقاما[٤] » .

ويؤيد السيوطى[٥] ذلك فيذكر حديثا لرسول الله ﷺ « إنه ليغان على قلبى حتى أنى أستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة » ، وهذا معناه أن الرسول ﷺ كان دائم الاستغفار لله تعالى ، لأنه كان دائما ينتقل من حال إلى حال ، أى أنه كان يترقى من حال إلى حال فيغطى قلبه ، مستغفرا لله ، وراجعا إليه « والحقيقة أن ذلك لا يمكن أن ينسب للرسول ﷺ لأنه وصل إلى الكمال الإنسانى ، أما أرباب الأحوال فهم أولياء لم يصلوا بعد إلى مقامات التمكين ، أما صاحب الأحوال فلا يمكن تحديد الأحوال التى يمر بها ويترقى إليها من كثرتها واختلافها .

وقد اجتهد بعض الصوفية فى تحديد المقامات وهى المكاسب التى يحصل عليها السالك أثناء رحلة مجاهداته وإخلاصه وطاعته لله تعالى ، فيرى الحكيم الترمذى[٦] أن المقامات الأربعة ، وهى مقام الصادقين ، والصديقين ، والمقربين ، والمنفردين ، وأما السهروردى[٧] فإنه يقسمها إلى خمس درجات ، أعلاها مقاما التوحيد ، وفيها يصل السالك إلى نور الأنوار ، وهى الغاية التى يبغيها الكمل من الأولياء فى العلم ، والعمل ، وكل من يصل إليها ، ولقد حدد الإمام الشعرانى[٨] عدد المقامات التى يجب على السالك اجتيازها حتى

---

(١) مريم : ٧٣ .
(٢) الاسراء : ٧٩
(٣) ابراهيم : ١٤
(٤) الفرقان : ٦٦
(٥) السيوطى الجامع للصغير ص : ٩٢
(٦) د . عبد الفتاح بركه - الحكيم الترمذى - نظريته الولاية ص : ٢٥٤ وما بعدها .
(٧) د . محمد على أبو ريان - أصول الفلسفة الاشراقية ص : ٩ .
(٨) الإمام الشعرانى - اليواقيت والجواهر جـ١ .

يصل إلى مقام المنفردين بـ ٢٤٩٩٩٩ درجة روحية ، وعلى المريد الصادق أن يجتازها جميعا بالمجاهدة ، والصبر ، والطاعة ، والإخلاص لله تعالى ، وهذه المقامات لا يحصل عليها إلا بالمنة الإلهية والهبة الربانية ، فليس من المحتم ، مهما أجتهد السالك ـ أن يظفر بها وقل من يصل إليها .

ويرى الإمام السراج أن المقام هو الذى يقيم فيه العبد ، فى الأوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين ، وهو منزل السالك فى الظاهر والباطن أى فى المعاملات والمجاهدات والإرادات ، فمتى أقام العبد فى شيء منه على التمام فهو مقامه حتى يمن الله عليه ، وينتقل إلى مقام آخر [١] .

●●● الحجاب ●●●

وردت فى القرآن الكريم كلمة حجاب بمعنى الستر والمنع ، سواء كان هذا الستر حسيا أو معنويا ، كما وردت بمعنى محجوب ، أى ممنوع ، ومحجوبون حيث أنهم أصحاب نفاق ورياء ، أى أنهم ممنوعون ـ إهانة لهم ـ عن الدخول على العظماء ، كما يقال بمعنى أنهم « مستورون » فلا يرونه تعالى [٢] .

وقد وردت آيات كثيرة بهذا المعنى وذلك فى قوله الله تعالى : وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم [٣] ، كما ورد لفظ الحجاب فى قوله تعالى : « وقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب [٤] » ، كما وردت كلمة (حجابا) فى قوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة ، حجابا مستورا » [٥] ، كما وردت كلمة محجوبون فى قوله تعالى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » [٦] .

والصوفية يستخدمون كلمة الحجاب بمعان متعددة حسب الحال الذى يتكلمون فيه ، فيقال مثلا : إن هذا السالك أو هذا المريد الصادق قد كشف

---

(١) الشيخ السراج الطوسى - اللمع ص : ٤١١ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٢٣٦ .
(٣) الاعراف : ٤٦ .
(٤) ص : ٣٢ .
(٥) الأسراء : ٤٥ .
(٦) المصطفين : ١٥ .

عنه الحجاب ، أى رفع عنه حجاب الدنيا ، وبدت التجليات ، والمتن ، والعطايا ، تتوارد على قلبه ، وأصبح من أصحاب المكاشفات والفتوحات ، أى وصل إلى مقام الولاية ، أى من أصحاب الأسرار .

كما يستخدم الحجاب بمعنى الحجب فعندما يسقط الولى ، ويقع فى الالتباس ، فينتكس ويتلف ، ويقال عنه عند ذلك أنه قد حجب ، أى رجع إلى نظره وبصره وحسه ونفسه ، ومدركاته الحسية ، وفقد المنن الربانية ، والفيوضات الرحمانية ، والعلوم الإشراقية التى تقذف فى قلب الأولياء ، وأهل الحق ، والعارفون بالله .

ويمكن أن يستخدم الحجاب بمعنى الستر ، أى لا يعرف حال العبد الصالح فهو مستور عن الخلق ، معروف لله ، فلا يعرف مقامه عند الناس ، وما أفاض الله به عليه من النعم ، والرحمات والمتن ، ولهذا العبد فى هذه الحالة حجاب من نفسه على نفسه ، فلا تعلم يده ، ماذاقه قلبه من ثمرات المجاهدة .

●●● الحسد ●●●

هو الحاجز المانع بين الشيئين ، وجمعه حدود ، وسميت أحكام الله وشرائعه حدودا لمنع التخطى إلى ما ورائها [١] والحدود واردة فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى قوله عز من قائل : « تلك حدود الله فلا تقربوها » [٢] .

ويستخدم الصوفية معنى الحد للفصل بين مقامى الربوبية والعبودية ، فعندما يتدرج السالكون فى السلم الروحى ، ويفتح لهم ، ويكاشف بعضهم بالأسرار والحقائق ينبهر بنور الله ، وعظمة الله ، فيفنى عن ذاته ، ولا يبقى له إلا مشاهدة أنوار الحق فيشطح بعضهم بألفاظ يشتم منها رائحة الحلول والاتحاد والوحدة ، وهذا معناه أنه لا يفرق بين مقامه كعبد وبين مقام الله كرب ، فيصبح فى لذة سكره ، « سبحانى ما أعظم شأنى » أو « أنا الحق » وهذا من علامات الولاية الناقصة ، لأنه لم يسكن فى مقامه بعد ، ولم يفرق بين حدوده كإنسان ، وحدود الله كإله ، وهذا ماحدث لبعض الصوفية من غير أهل

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم حـ١ ص ٢٤٠

(٢) البقرة : ١٨٧

التمكين ، إذ ترد لهم أحوالا يفنون فيها عن ذواتهم ، ولايشعرون إلا بجلال وقهر الله ، وجمال الله ، فينجذبوا إليه تعالى ويفقدوا إحساساتهم الظاهرة وتسلب عقولهم بما يشاهدونه ويعاينونه فى وجدهم ، فيقام عليهم الحد الشرعى لأنهم خرجوا عن أحكام الشريعة ، بما صدر عنهم من شطحات ، لحظات سكرهم .

والواقع أن هناك عذرا لهم فى ذلك ، لأن الفانى عن نفسه لايرى إلا الباقى ، وأن السالك فى هذه الحالة ، لايقوى على حمل هذه الأسرار الربانية ، والتجليات الرحمانية [١] ، إلا إذا تولاه الله بعنايته .

أما الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والأولياء الكمل [٢] ـ رضوان الله عليهم ـ فإنهم بما وصلوا إليه من مقام « التمكين » لا تتغير أحوالهم ، وبذلك يفرقون بين حد العبودية ، وحد الربوبية ، فلا يقعوا فى الخلط والالتباس ، وذلك لقربهم من الله تعالى ، ومعرفتهم بأنواره يقينا وذلك لرسوخ مقاماتهم وكمالها .

●●● الحرف ●●●

حرف الشيء طرفه وحده [٣] وقد ورد فى القرآن بهذا المعنى فى قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإنه أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه [٤] » .

ويتضح من هذا المعنى القرآنى أن هناك بعض الناس من يعبد الله على غير هدى وطمأنينة ، وذلك بأن يستخدم حرفا واحداً من أسماء الله لتحقيق أغراض نفعية أو مصلحية ، أو لحظ من حظوظ الدنيا ، أو لهوى فى نفوسهم ، ولم يدخل فى الدين دخول متمكن ، ولذلك فإنه ينحرف ويرتد لأدنى ابتلاء من الله ، ذلك لأنه غيرمخلص للهوغير صادق له ، وهذا ما نجده عند بعض المشعوذين والسحرة ، والدجالين ، الذين يستخدمون اسم الله الأعظم كطريق لتحقيق

---

(١) راجع بالكتاب الفناء والبقاء .

(٢) راجع بالكتاب التمكين .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٢٤٨ مجمع اللغة العربية .

(٤) الحج : ١١ .

أذى ، أو لزيادة محبةشخص بآخر [١] أو لتفريق رجل من زوجته ، أو إزالة المال ، أو الحرث ، أو الموت ، وهذه الوسائل تصدف أحيانا ولكنها لا تصدق إلا إذا كانت فى محبة الله وسبيل الله ، ومن شخص مؤمن خير .

ويرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى [٢] أن لكل حرف معنى ظاهر ، ومعنى باطن ، وأن المعنى الباطن يجهله أصحاب علم الظاهر ، ويقول : « لا يكمل لعبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف » ويقصد بها الحروف الواردة فى القرآن الكريم فى أوائل السور مثل « ألم » [٣] ، ويمكن فى رأى الشيخ ابن عربى معرفة معانى هذه الحروف عن طريق الكشف فيقول : « وهو الطريق الذى عليه أسلك ، والركن الذى أستند إليه ، فى علومى كلها ، وإذا شئت أبديت لك منه طرفا من باب العد » .

ويروى ابن عربى أن بعض الصوفية قد جعلوا علم الحرف سترا ، ويقول : وإن شئت كشفنا ، وإن شئنا جعلنا العدد عن ذلك حجابا ، ويرى أن للعدد أسرارا عجيبة بما يقتضيه طبعه ، ومن طريق ما له ، من الحقائق الإلهية ، والله سبحانه وتعالى تفرد بصفاته الأزلية فأرسل الحروف المجهولة فى القرآن الكريم فى أربع عشر حرفا مفردة مبهمة ، فجعل الثمانية لمعرفة الذات ، وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة التى هى الدم والسوداء والصفراء والبلغم ، وهنا يصبح العدد اثنتا عشر ، وهى التى يتركب منها الإنسان فى هذا الفلك .

ثم أن هناك فلك آخر يتركب منه الإنسان فيقول [٤] : « ومن فلك آخر يتركب (الإنسان) من أحد عشر ، ومن عشرة ومن تسعة ومن ثمانية ، حتى يصل إلى فلك الاثنين ولا يتحلل (الإنسان) إلى الأحدية أبدا ، فإنها مما تفرد به الحق ، فلا تكون لوجود إلا لله تعالى .

ويصف ابن عربى [٥] هذه الحروف المجهولة الموجودة فى القرآن الكريم

---

(١) استخدام اسم الله الاعظم بالكتاب .
(٢) الامام محى الدين ابن العربى - الفتوحات المكية - السفر الاولى ص : ٢٦٧
(٣) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - الفتوحات المكية ص : ٢٦٧ السفر الأول .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق ص : ٢٧٠

فيقول « لو أعتبر القرآن ما اختلف فيه أثنان ، ولا ظهر خصمان . . وإذا سلم العالم من نظركم وتدبيركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم ، وبهذا خلق [١] » .

وقال الله تعالى : « وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه [٢] » ويكشف الشيخ الأكبر بن عربى عن بعض أسرار الحروف فيقول الألف من « ألم » إشارة إلى التوحيد ، والميم . . للملك الذى لا يهلك ، واللام . . بينهما واسطة لتكون رابطة . . الخ .

●●● الحرية ●●●

الحرية من الحر ، والحر هو ضد العبد [٣] ، وذلك وارد فى قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » [٤] .

والحرية عند بعض أئمة الصوفية تعبر عن منتهى غاية السائلين إلى الله ، ونهاية للتحقق بالعبودية ، فيصل السالك إلى أعلى مقام حيث هو عبد صادق لله ، مخلص فى طاعته ، متوكل عليه بكليته ، صابر بقضائه ، راض بما يرزقه تعالى .

فالحرية بالمعنى الصوفى إذن عكس العبودية ، لأن العبودية فى رأيهم عبودية الشهوة والنفس والشيطان جميعا ، فالأهواء عبودية للإنسان لأنها تسيره كما تريد دون أن يسيطر عليها فتتلف نفسه ويضيع فى دنياه آخرته ، فإذا كان الإنسان عبدا لله ، كان حرا على الحقيقة ، فلا يؤثر فيه إلا الحق ، ولا يبصره إلا الله تعالى ، ويقول بشر الحافى ـ رضى الله عنه ـ : « إن الله خلقك حرا ، فكن كما خلقك ، ولا ترائى أهلك فى الحضر ، ولا رفقتك فى السفر ، أعمل لله ، ودع

---

(١) الفتوحات المكية - السفر الأول ص : ٢٧٤ (٢) الجاثية : ١٢ ، ١٣

(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٢٤٦ بمجمع اللغة العربية .

(٤) البقرة : ١٧٨ .

الناس عنك ، ويقول الجنيد رضى الله عنه : « آخر مقام العارف (الحرية) » . (١)

والأحرار هم أصحاب الولايات ويسمون أيضا الرجال ، ورجال الليل ، وأهل الحق ، وأهل الحقيقة ، وأهل الصدق ، وأهل الاخلاص ، كما يسمون العارفون بالله .

••• الحزن •••

الحزن من أوصاف الصوفية فى سلوكهم وحياتهم ، والمريد الحزين عند أئمة الصوفية ييسر له الإنتقال من مقام إلى مقام أثناء رحلة مجاهداته ورياضاته أسرع من المريد الذى فقد حزنه ، ويقال أن ما يقطعه الحزين فى شهر ، يقطعه غير الحزين فى سنة

ولكن بعض الصوفية يرون أن الحزن يجب ألا يكون على الدنيا ومافيها ، وإنما يحمد عندهم حزن الآخرة ، وبهذا يكون الحزن انقباض القلب من التشتت فى الغفلات ، ومطاوعة النفس فى الرضا عن أفعالها وأعمالها ، فالحزين هو العارف العالم والخبير بحال الدنيا ، فهو يعرف إنها لهو وعبث ، ويفهم أنها اختبارات وامتحانات يمر بها برحتله الدنيوية ، لذلك فهو لا يطمئن لها ولا يفرح بما آتاه من خير فيها لأنه يعتقد أنه ربما كان هذا الخير مقدمة أو ظاهرة بعدها يأتيه منها شر مستطير .

لذلك فإن الملامتى يعتبر من أكابر الصوفية ، لما يظهره من حزنه وكربه من الدنيا ومظاهرها الكاذبة ولا يدعى لنفسه شيئا فيها خوفا من إعتزاز نفسه ورضاه عن حاله ، فتفسد العلاقة بينه وبين ربه ، وقد ورد بالقرآن الكريم الحزن بمعان مختلفة ، ففى قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (٢) ، وفى قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » (٣) ، كما ورد

---

(١) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٣٧٢ - ٣٨٩ .

(٢) التوبة : ٤٠ .

(٣) آل عمران : ١٣٩ .

فى قوله تعالى : « أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » [١] ، وقوله تعالى : « فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا » [٢] ، وقوله تعالى : « ذلك أدنى أن تقر أعينهم ولا يرضين بما أتيتهن [٣] ، وقوله تعالى : « ومن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [٤] ، وقوله تعالى أيضا : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم [٥] » .

والحزن أنين من القلب يمنع النفس من طلب السرور والطرب ، فهو إذن هم يجعل الصوفى دائم التفكير فى حاله وعديم الرضى عنها ، وبذلك يعتبر من طرق تنقية النفس ، وسبيلا لترقيتها إلى المقامات الرفيعة .

والحزن بهذا المعنى كما يراه أئمة الصوفية لا يكون بسبب إثم اقترفه العبد الصالح ، ولا من أجل طلب من طلبات الدنيا ابتغاه ، ولم يتحقق ، ولا بسبب ابتلاه أو مصيبة دنيوية أو لفقد مال أو أهل أو جاه ، وإنما الحزن هو زاد الصوفى وراحلته ، فهو فضيلة تزيد من درجات إيمانه حتى ينشغل بالحق دون سواه ، والقلب الطروب قلب فارغ خرب ، والقلب الحزين قلب مملوء بالإيمان والخشية والرجاء .

ويقول بعض السلف الصالح أن لكل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن [٦] وفى الحديث النبوى قال الرسول ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا ، ولما تلذذتم بالنساء ، ولا تفارقتم على فرشكم ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ـ والله لوددت أنى كنت شجرة تعضد » [٧] .

فالحزن عندهم وسيلة لزيادة حسنات العبد المؤمن ، فكلما زاد همه وحزنه فى دنياه إزداد ثوابه فى الآخرة .

---

(١) الاعراف : ٤٩ .
(٢) مريم : ٢٤
(٣) الاحزاب : ٥١ .
(٤) البقرة : ٣٨
(٥) يوسف : ٧٤ .
(٦) الامام أبو نصر السراج الطوسى - اللمع - لجنة نشر التراث الصوفى ص : ٣٧٠ وما بعدها
(٧) رواه أبو زر الغفارى عن الرسول ﷺ - السيوطى الجامع للصغير .

●●● الحضرة ●●●

تعد الحضرة الاجتماع الذى يلتقى فيه الشيخ بمريديه إلا أن الحضرات ليست على مستوى واحد ، فهناك حضرة أسبوعية أو يومية للمريدين الذين يرغبون فى العلم والدرس ، فتقرأ وتناقش بعض كتب الفقه والتفسير ، وهناك حضرة أخرى للذكر والسماع [١] كما أن فى الحضرة يقرأ أحد المريدين فى علم من العلوم الشرعية ويفسر الشيخ ماجاء بالكتاب كما يجيب على أسئلة المريدين ومايعن لهم من استفسارات .

فإذا وجد غريب بالحضرة إقتصرت على القراءة والشروح والتفاسير ، وهناك حضرات أو مجالس للمريدين المتقدمين (الخاصة) وفيها يعرض موضوع أو مشكلة إجتماعية أو أخلاقية أو صوفية وتناقش ، ويدلى الشيخ برأيه ووجهة النظر التى يعتقدها .

وبالحضرة يشرب المريدون الشاى ، ويقدم لهم أكثر من مرة أو لعدة مرات حيث تستمر غالبا من بعد صلاة العشاء حتى منتصف الليل ، وعند انتهاء الحضرة يقوم الجميع لصلاة العشاء ، ثم تتلى بعد الصلاة بعض الأذكار أو الأوراد مثل لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وتعد الحضرات الصوفية من المراسم التى يتسم بها مجالس الصوفية حيث يحضر المريد رافعا نعليه ويجلس بأدب جم القرفصاء ، بعد تحية شيخه ، وتقبيل يده ، ولا يسلم على المريدين الآخرين باليد ، ويقتصر على قوله « السلام عليكم » ثم يجلس بالمكان الخالى مستمعا منصتا ، وبالحضرة يتوجب على المريد أن يغطى رأسه ولو بمنديل إذا لم يكن لديه « طاقية » ، ولا يستطيع الدخول إلى الحضرة منتعلا أو عارى الرأس ، كما أنه من الملاحظ أن المريد لا يلبس خاتما ذهبا حيث يعتقد الصوفية أن لبس الذهب من المكروهات .

ويتكلم الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية [٢] عن الحضرة الإلهية والحضرة

---

(١) راجع الذكر والسماع .

(٢) الشيخ محيى الدين بن عربى - الفتوحات المكية - السفر الأول ص : ٢٣٧ - ٢٣٨ .

الإنسانية . ويرى أن للحضرة الإلهية . حروفا ثلاثة تختص بها وهى الألف والزاى واللام تدل على معنى الأزل ، وأن بسائط هذه الحروف واحدة فى العدد .

وأما الحضرة الإنسانية فلها حروفا ثلاثة أيضا كما أنهما يتفقا فى العدد غير أن حروف الحضرة الانسانية هى النون والصاد والضاد . لذلك فهناك خلاف من حيث مودها لأن مقام العبودية لا يشترك مع الربوبية فى الحقائق ، حيث أن الله رب والعبد مخلوق ، فإن اشتركا فى الحقائق لكان الأمر وجود إله واحد أو عبدا واحدا ، أى عينا واحدة ، وهذا لا يصح فلابد أن تكون الحقائق متباينة لهذا باينهم الحق تعالى بقربه كما باينوه بحدوثهم .

ويرى الشيخ على الدين بن عربى [١] . أن للحضرة أكثر من معنى . . فهناك العشق الألهى حضرة . . ولأصحاب المعرفة حضرة . . وكلها حق وصدق ، ولكنها جميعا حضرات جزئية ، كل ينظر هنا من زاويته ، وأول حضرة فى رأى الشيخ الأكبر هى حضرة الإيجاد ويسميها (الألف واللام) ، ولفظها لا إله إلا الله ، فهذه حضرة الخلق والخالق .

●●● الحق والحقيقة ●●●

يستخدم أئمة الصوفية كلمة الحق ويعنون بها اسم الله الأعظم ، وذلك لقوله تعالى « وأن الله هو الحق المبين » [٢] ويستخدمون كلمة الحقوق بمعنى المقامات والمعارف والإرادات بإعتبارها الموصلة إلى الحق تعالى ، ويقول بعض الأئمة ، « إذا ظهرت الحقوق غابت الحظوظ » [٣] أى إذا كان طريق المريد هو طريق الله من تحقق الإرادة ، والقصد ، والمعرفة ، والحال ، فإنه ينشغل بها جميعا ويغيب عن هوى نفسه ، وحظوظها فلا يفكر فيها ، والعكس بالبعكس ، إذ أن الحظوظ والحقوق لا يجتمعان لأنهما ضدان .

---

(١) الامام محيى الدين ابن عربى - الفتوحات المكية - السفر الأول ص : ٣٢٦ فقرة . ٦٢
تحقيق الدكتور عثمان يحيى - المجلس الاعلى لرعاية الآداب ٩٧٢ .

(٢) النور : ٢٥ .

(٣) اللمع ص : ٤١١ .

ويقول الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى (١) « من فهم حقائق الإضافات عرف ماذكرنا له من الإشارات » ، فيلعم أن « قطبه » لا تقوم بغير « عمد » كما لايكون والد ، من غير أن يكون له ولد .

وفى مكان آخر من الفتوحات (٢) يقول : « ثم انشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه ، وأظهر ملائكة التسخير على عدد الخلق ، فجعل لكل حقيقة اسما من أسمائه تعالى تعبده وتعلمه ، وجعل لكل سر حقيقة ، ملكا يخدمه ويلزمه ، ومن الحقائق من حجيته رؤية نفسه عن إسمه » .

ويؤكد الصوفية أنه لا حقيقة بلا شريعة ؛ ولا شريعة بلا حقيقة ، وكل من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ، وكل من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق . ويقولون أيضا « الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تعرفه » .

●●● الحيرة ●●●

الحيرة موقف بين اليأس فى الله والطمع فى الله ، بين الرضا والخوف ، وبين التوكل والرجاء والحيرة التى لا ترد إلا على قلوب العارفين ، أصحاب الحقائق ، عند تأملهم وحضورهم ، ويقول بعض العارفين أن موقف التحير يليه موقف الإتصال ثم الافتقار ثم الحيرة .

ومعنى ذلك أن موقف التحير ، يتبعه الرجاء ، ثم الوصول إلى المطلوب ، ثم يشعر المتحير مرة أخرى بإحتياجه إلى الله وافتقاره إليه ، فهو الرب الغنى الصمد ، وهو العبد الناقص المحتاج ، وبدوام الطلب للقربه والوصل فيقع مرة أخرى فى الحيرة ، فالعارف إذن بين حيرة وإتصال وإفتقار دائم (٣) والمعرفة توجب الحيرة والقلق ، والعارف الحق يميز بالحيرة والقلق والكذب ، وتظهر عليه الأحزان ويرى البعد فى القرب مهما وصل وإتصل (٤)



---

(١) الفتوحات المكية السفر الأول ص : ٥٠ .
(٢) الفتوحات المكية - السفر الأول ص : ٥٠ .
(٣) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٢١ .
(٤) الشيخ جمال الدين محمد أبى المواهب . قوانين حكم الاشراف ص : ٥٥ .

حرف الخاء

خ

●●● الختم ●●●

يقال أن الختم هو سيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ، كما يقال أن الختم هو الذى يختم به على قلوب العارفين بمعرفة الحق تعالى فهو العلامة المميزة لقلوب الأولياء وهذا مايميزهم عن العامة من الناس .

وقد ورد فى القرآن الكريم فى معنى ذلك قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » [1] فكما أن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء ، فإن على ـ كرم الله وجهه ـ خاتم الأولياء لقول الرسول ﷺ ـ « أنا مدينة العلم ، وعلى بن أبى طالب بابها » ، لذلك يعتبر كثير من أئمة الصوفية أن عليا كرم الله وجهه أول قطب فى حكومة الأولياء .

وفى نص للشيخ محى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية [2] ، : ولما شهدته ﷺ ـ فى ذلك العالم ، سيدا معصوم المقاصد ، محفوظ المشاهدة منصورا ، مؤيدا ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمته التى « هى خير أمة » عليه ملتفون وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون ، والملائكة المولودة للأعمال بين يديه صافون ، والصديق على يمينه الأنفس ، والفاروق على يساره والأقدس ، والختم بين يديه قد جثى ، يخبره بحديث الأنثى . وعلى يترجم عن الختم بلسانه ، وذو النورين مشتمل برداء حيائه ، مقبل على شأنه ، فالتفت السيد الأعلى ، والمورد العذب الأحلى ، والنور الأكشف الأجلى ، فرآنى وراء الختم ، لاشتراك بينى وبينه فى الحكم .

فقال له السيد « هذا عديلك وابنك وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين

---

(١) الاحزاب : ٤٠

(٢) الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى - الفتوحات المكية السفر الأول ص : ٤٤ - ٤٦

يدى » ، ثم أشار إلى : « أن قم ـ يامحمد ـ عليه ، فأثن على من أرسلنى وعلى ، فإن فيك شعرة منى ، لأصبر لها عنى ، هى السلطانة فى ذاتيتك ، فلا ترجع إلى إلا بكليتك ، ولابد لها من الرجوع إلى اللقاء ، فإنها ليست من عالم الشقاء ، فما كان منى ، بعد عنى شيء فى شيء إلا سعد ، وكان ممن شكر فى الملأ الأعلى وحمد » .

فنصب الختم المنبر ، فى ذل المشهد الأخطر ، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر ، هذا هو المقام المحمدى الأطهر ، من رقى فيه فقد ورثه ، وأرسله الحق حافظا لحرمة الشريعة وبعثه » .

ووهبت ذلك الوقت ، مواهب الحكم ، حتى كأنى أوتيت جوا مع الكلم ، فشكرت الله ـ عز وجل ـ وصعدت أعلاه ، وحصلت فى موضع وقوفه ﷺ ومستواه ، وبسط لى على الدرجة التى أنا فيها كم قميص أبيض ، فوقفت عليه ، حتى لا أباشر الموضع الذى باشره ﷺ بقدميه تنزيها له وتشريفا وتنبيها لنا وتعريفا ، « إن المقام الذى شاهده من ربه ، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه ، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف ، وعرفنا ما عرف » .

●●● الخلق ●●●

استخدمت كلمة الخلق فى القرآن الكريم على أوجه ثلاث [١] ، إما بالمعنى المصدرى ، أو بمعنى المخلوق ، وإما بالمعنيين المصدرى والمخلوق ، وفى المعنى المصدرى قوله تعالى : « بل هم فى لبس من خلق جديد [٢] ، وبمعنى المخلوق فى قوله تعالى : « ولآمرنهم فيغيرن خلق الله [٣] ، ووردت للمعنيين فى قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » [٤] .

وعن الرسول ﷺ ـ عن الله تعالى فى الحديث القدسى ، قال الله تعالى : « من رجا غيرى لم يعرفنى ، ومن لم يعرفنى لم يعبدنى ، ومن لم يعبدنى فقد

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٣٥٩ مجمع اللغة العربية .
(٢) ق : ١٥ — (٣) النساء : ١١٩
(٤) الاعراف : ٥٤ .

استوجب سخطى ، ومن خاف غيرى ، حلت به نقمتى »[١] .

ومن آداب الصوفية المعروفة[٢] أن لا يعترض العبد على نعم الله ، وابتلاء الله ، ولا يسخط ولا يتهم ربه ، ولاشك فى وعده ، ولا يشكون إلى أحد من خلقه ، بل تكون شكواه إلى ربه ، ليوفقه فى حالة من الصبر والرضا بما قدر وقسم .

ويرى الإمام القشيرى[٣] أن المخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فكيف يملك ذلك لغيره ؟ . . ولهذا قيل : « تعلق الخلق بالحق كتعلق المسجون بالمسجون » وقيل من رفع حاجته إلى الله تعالى ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق ، ثم نزع رحمته من قلوبهم ، ومن شهد افتقاره إلى الله تعالى فرجع إليه عند حاجته ، أغناه من حيث لا يحتسب ، وأعطاه من حيث لا يرتقب .

وقال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ : « الزهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض مافيها » ، ومعنى ذلك أن يترك مافيها ، على من فيها من الخلق ، وسأل أحدهم ذا النون المصرى : متى أزهد فى الدنيا ؟ . . فقال : « إذا زهدت فى نفسك[٤] » .

ويقول السرى السقطى ـ رضى الله عنه ـ : مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد ، إلا الزهد فى الناس ، فإنى لم أبلغه ولم أطقه »[٥] ، ولكن الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يعبر عن الزهد والبعد عن الخلق ، فيقول « هو أن لا تبالى من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر »[٦] .

ويروى عن الرسول ﷺ فى الحديث القدسى أن الله تعالى قال : « لما خلق الله الأرض ، جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فعاد بها عليها ، فأستقرت فعجبت

---

(١) شكاة الانوار .
(٢) الامام عبد القادر الجيلانى - القضية لطالبى طريق الحق جـ٢ ص : ١٧٣
(٣) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص ٨٩ تحقيق د . ابراهيم بسيونى .
(٤) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٩٦
(٥) المرجع السابق ص : ١٩٨ .
(٦) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١١٢

الملائكة من شدة الجبال ، فقالوا : يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ ، قال : « نعم الحديد » . قالوا : يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ . قال : « نعم النار » . فقالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ ، قال : « نعم الماء » فقالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ ؟ ، قال : « نعم الريح » ، قالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ ، قال : « نعم ابن آدم تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله »[١] .

●●● الخلوة ●●●

تعتبر الخلوة من المستلزمات الروحية التى يؤديها المريد فى الطريق الصوفى والتى يهتم بها مشايخ الطرق لتربية النفوس وتزكية قلوب مريديهم .

ويعتقد الصوفية أن الخلوة هى تدعيم للتوبة وتثبيت للإخلاص وسير فى طريق الله - عز وجل - وهى أفضل لحظات يقضيها الإنسان وربه ، وهى عزلة عن الناس وقربة إلى الله ، وفيها يستغفر الإنسان من ذنبه ، وينظر إلى نفسه فيصلح عيوبها ويداوى ما أعوج من أمرها ، ويتوب عما اقترف من ذنوب وآثام .

وفى الخلوة يستطيع الإنسان قياس نفسه ، وبالخلوة وحدها أيضا يحصل على ثمار مجاهداته ، ويظفر المريد الصادق بمواهب المنة التى يراها على أربعة أقسام : كشف الغطاء - تنزل الرحمة - تحقق المحبة - ولسان الصدق فى الكلمة .

وللخلوة ثمرات يانعة ونتائج عظيمة ، ومتى قام بها المريد على الوجه الأكمل وأخلص ظاهرا وباطنا ، ومتى كان مقلا للطعام ، صابرا ساهرا بالليل ، مكثرا للتأمل ، قد صفت نفسه ، وأينع قلبه بالعفة والطهارة ، وذلك نتيجة لبعده عن الدنيا ، وشهواتها ، وتقربه بالمجاهدات ، زاهدا متجردا ومتوكلا توكلا حقيقيا فى الله وبالله ولله .

ويرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى[٢] أن الخلوة هى إختلاء بالله سبحانه وتعالى ، حيث لا ملك ولا أحد أى محادثة السر مع الحق تعالى .

---

(١) الشيخ محيى الدين بن عربى - مشكاة الانوار (رواه أيضا الترمذى آخر كتاب التفسير) .

(٢) الامام محيى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية .

ويرى الصوفية أن من ثمار الخلوة التى يحصل عليها المريد ، التواضع . لأنه يرى نفسه صغيرا ، والله كبيرا ، فقيرا والله غنيا ، ناقصا والله كاملا ، ضعيفا والله قويا ، وكلما ازداد المريد هيبة من الله ، إزداد تواضعا وتذللا له تعالى .

وخلاصة ما تهدف إليه الخلوة عند الصوفية هو معرفة مدى إستعداد المريد لتقبل مقامات وأحوال أخرى غير التى يعانيها ، فيمكن بذلك للمريد الذى قام بالخلوة على الوجه الأكمل أن يتدرج من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، حتى يمن الله عليه بالمقامات الرفيعة ويعد من الواصلين [١] .

●●● الخواطر ●●●

خطر الشىء بباله ، من باب دخل ، وأخطره الله بباله [٢] ، فالخاطر كما يعرفه أئمة الصوفية [٣] على أربعة أوجه ، أولا خاطر من الله سبحانه وتعالى ، وخاطر من الملك ، ثم خاطر من النفس ، وأخيرا خاطر من العدو .

إذن فالخاطر هو خطاب يرد على النفس ، قد يكون ربانيا أو ملائكيا ، أو شيطانيا ، أو حديثا للنفس ، وبهذا المعنى يفسر الإمام القشيرى الخواطر [٤] ، فيرى أن الخاطر الذى يلقى من الله فى القلب هو خاطر عقل ، أما الخاطر الذى يرد من الملك فهو الإلهام وإذا كان الخاطر من النفس قيل الهاجس أو الهواجس ، أما الخاطر الشيطانى يقال له الوسواس .

ويرى بعض أئمة الصوفية أن الخاطر الذى يرد من الملائكة يجب أن يمتحن صدقه فى موافقة الشريعة ، ولذلك يقولون أن كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل ، أما الخاطر الذى يأتى من الشيطان فإنه يدعو إلى الضلالة والمعاصى ، وأما خاطر النفس فهو الذى يدعو إلى الهوى وإتباع الشهوات ، وكل ما تدعو إليه النفس الأمارة .

---

(١) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية ص : ٢٧١ - ٢٧٤

(٢) مختار الصحاح ص : ١٨٠ .

(٣) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١٠٩

(٤) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٤٢

ولقد أتفق أئمة الصوفية [١] على أن الذى يسير فى طريق الشيطان لايميز بين الخاطر الإلهامى والوسواس الشيطانى ، أما الذى سكنت نفسه وهواجسها ، فذلك الصادق فى مجاهدته وإخلاصه وطاعته ، لأن قلبه ينطق بالحق والعلم .

كما أجمع أئمة الصوفية على أن النفس لا تصدق ، وأن القلب لا يكذب ، ويتفق الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى مع الأئمة [٢] على أن الخاطر هو مايرد على القلب والضمير من الخطاب سواء كان هذا الخطاب ربانيا أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا ، ويقول الجنيد [٣] ، رضى الله عنه ـ أن الخاطر الأول الذى هو من الحق تعالى ، أقوى من الخاطر الثانى ، لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل ، وهذا بشرط العلم ، فترك الأول يضعف الخاطر الثانى ، ولكن بعض الشيوخ خالفوه فى ذلك وقال بعضهم : أن الخاطر الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول ، وهناك رأى ثالث يرى أن كلاهما من الحق تعالى فلا ميزة لأحدهما على الآخر .

●●● الخوف ●●●

هو أن يخاف المؤمن من نفسه أكثر مما يخاف من عدوه ، وفى قول آخر ، هو الذى يخافه المخلوقات أو الذى تأمنه المخلوقات ، ويروى صاحب التعرف [٤] عن ابن خديق : « أن الخائف هو الذى يكون بحكم كل وقت مؤقت تخافه المخلوقات ووقت تأمنه المخلوقات » ، والذى تخافه المخلوقات هو الذى غلب عليه الخوف فصار خوفا كله فيخافه كل شيء ، فمن خاف الله خافه كل شيء .

وبهذا المعنى يكون الخائف هو الذى لا يخاف غير الله ويخاف الله إجلالا ورجاء .

ويرى ابن عربى فى رسائله أن الخوف هو ما يحذره المؤمن الصادق من المكروه فى المستقبل ، أى الخوف من الله أو من الابتلاء أو من مكر الله .

ويرى الإمام الغزالى أن حقيقة الخوف هى فى تألم القلب واحتراقه ،

---

(١) الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٤٣

(٢) رسائل ابن عربى جـ٢ اصطلاح الصوفية .

(٣) الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٢٤٤ .

(٤) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - ص : ١١٦ - ١١٧

وأن قوة الخوف ترجع حسب قوة المعرفة بجلال الله ، وصفات الله ، فبحسب معرفتنا بالله يكون خوفنا ، كما أنه بحسب معرفتنا بعيوب أنفسنا وما أمامها وخلفها من الأخطار والأهوال يكون خوفنا أيضا .

ويكون أقل درجات الخوف ما يظهر فى الأعمال ، أى عندما يمتنع العبد عن المخالفات ويمنع نفسه عن المحظورات ، فينتج عن ذلك مايسمى بالورع .

أما إذا زاد الخوف واشتد ، فإنه يعنى أن يكف الإنسان حتى فى التفكير فى المعاصى والمحرمات ، أى كف النفس عما يتطرق إليها من الخواطر الشيطانية ، بل حتى مايمكن أن يشك فى تحريمه من الأفعال ، ويسمى ذلك عند الصوفية التقوى .

فالتقوى إذن هى أن يترك العبد مايشك فيه إلا مالا يشك فيه ، أو يبتعد عن مايريده إلى مالا يريده ، بل قد يحمله الخوف إلى أن يترك مالا بأس به مخافة الوقوع فى الأخطاء والآثام ، وفى هذه الحالة يسمى بالعهد الصادق ، لأنه صدق فى التقوى .

ويربط الإمام الغزالى (١) بين الخوف والورع والتقوى ، فيرى أن الورع يا خل فى التقوى ، فهو جزء منها ، وتدخل العفة فى الورع ، فهى جزء منه ، فالعفة إذن هى الامتناع عن الرغبات والشهوات ويكون الخوف بذلك متضمنا التقوى والورع والعفة ، فهو إذن يؤثر على الجوارح بالكف عن المحظورات ، والاقدام على الطاعة ، ويتحدد معنى الخوف فى موضوع العفة ، لأن الكف عن المحرمات هو العفة وهو الخوف من الله .

وقال بعض الصوفية (٢) أن الخائف هو من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من العدو ، وقال آخر : الخائف هو الذى يخافه المخلوقات ، وقال صوفى آخر : « الذى تأمنه المخلوقات » وقال سهل : الخوف (ذكر) ، والرجاء (أنثى) ومنهما (أى من الذكر والأنثى) تتولد حقائق الإيمان ، أى اجتماع الخوف مع الرجاء فتولد عنه اليقين والإيمان » .

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ١٣ ص ٢٣٣٣ وما بعدها .
(٢) الامام أبو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١٦٦ - ١١٧ .

وبهذا المعنى يكون الخوف خوف من الله ، ورجاء فى الله ، فإذا خاف العبد غير الله ، ورجا الله سبحانه وتعالى ، آمن الله خوفه رغم أنه محجوب ، (أى مازال فى عالم الظلمات) .

وفى الآية الكريمة قوله تعالى « يدعون ربهم خوفا وطمعا »[١] فمعنى الخوف هنا كما قال الرسول ﷺ « لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج (يدخل) اللبن فى الضرع .

وعن الرسول ﷺ أنه قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا » .

ويرى صاحب الرسالة القشيرية[١] أن الخوف معنى يتعلق بالمستقبل ، لأن العبد إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته شيء مرغوب ، والخوف لا يتعلق بالحال الموجود عليه العبد .

فالخوف إذن من الله تعالى ، هو خوف من عقابه فى الدنيا أو فى الآخرة ، وهذا واضح فى قوله تعالى : « وخافون إن كنتم مؤمنين »[٣] ، وقال تعالى أيضا : « وإياى فارهبون »[٤] .

ومدح الله سبحانه وتعالى الخائفين المؤمنين ، فقال تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم »[٥] .

ويرى أبو على الدقاق رحمه الله : أن الخوف على مراحل ثلاث : خوف . . وخشية . . وهيبة . . فالخوف شرط من شروط الايمان ، بل هو أساس للتقوى والخشية . . وهذا من موجبات العلم ، لأن الذى يخشى الله من عباده العلماء - أى أصحاب العلم - أما الهيبة فهى من شروط المعرفة ، فالعارف يهاب الله لأنه يعرف الله .

ويرى بعض الصوفية أن الخوف على ضربين ؛ رهبة . . وخشية ، فالرهبة

---

(١) السجدة : ١٦ .
(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية ص : ٣٠٦ .
(٣) آل عمران : ١٧٥ (٤) البقرة : ٤٠ .
(٥) النحل : ٥٠ .

هى التجاء العبد إلى الرب إذا خاف من شيء ما ، أما الخشية فهى التجاء العبد إلى الرب إذا خاف من شيء ما .

فالرهبة بهذا المعنى هى السير فى طريق الهوى ، أما الخشية فهى كبح جماح النفس بالعلم ، والقيام بحق الشرع ، فالخوف هو المصباح المنير للقلب الذى يبصر به مافيه خير وما فيه شر .

ويروى عن بعض الصوفية قولهم فى الخوف : « هو ألا تعلل نفسك بعسى وسوف » .

ويروى الشيخ السمرقندى [1] عن مالك بن دينار - رحمه الله - قوله : « إذا عرف الرجل فى نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء ، فقد استمسك بالأمر الوثيق ، وعلامة الخوف هى اجتناب مانهى الله عنه ، وأما علامة الرجاء فهى العمل بما أمر الله به .

ويحكى عن سيدنا عمر - رضى الله عنه - حين طعن ، أن عبدالله بن عباس - رضى الله عنه - قال له : ياأمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذلته الناس ، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف عليك إثنان ، وقتلت شهيدا ، فقال سيدنا عمر - رضى الله عنه - : « المغرور من غررتموه ، والله لو أن لى ، ما طلعت عليه شمس لأفتديك به من هول المطلع ، أى أن سيدنا عمر - رضى الله عنه - كان فى مقدوره أن يقضى على قاتله إلا أنه يخاف الله تعالى ويخشاه ، وأن هذا الأمر مقدر له ، وهو أن يموت شهيدا ، فلا يعصى لله أمرا ، فخوفه ليس خوف من بشر ، وإنما خوف من الله عز وجل ، رغم أنه من المبشرين بالجنة ، ومن المجاهدين مع رسول الله ﷺ ، ومن الذين رضى عنهم الرسول ﷺ قبل انتقاله .



---

(١) الامام السمرقندى - تنبيه الغافلين ص : ٢٠١ وما بعدها طبعة سنة ١٣٧٩

حرف الدال

د

●●● الدرة البيضاء ●●●

الدرة البيضاء يقصد بها لغويا اللؤلؤة الفريدة والجمع در ودرات ودور [١] ومنها الكوكب الدرّى [٢] الثاقب كما ورد فى قوله تعالى « الزجاجة كأنها كوكب درى [٣] ، أى مضىء كالدر الصافى البياض ، أو الشديد البريق ، والكوكب الدرى أى المضىء المشرق .

ويستخدم الشيخ الأكبر محى الدين [٤] الدرة البيضاء بمعنى العقل الأول الذى أضاء العقول جميعا وفى الفتوحات يركز ابن عربى على الحقيقة المحمدية باعتبار أن الرسول ﷺ هو أقرب الخلق إلى الله تعالى ، وأسبقهم فى علم الله تعالى فهو العقل الأول ، وبذلك يكون الرسول هو الدرة البيضاء أو الجوهرة المشرقة الفريدة ذات البريق التى يستمد من نورها كل العالم وكما يقول « أن النبى ﷺ هو القطب الأوحد الممد لجميع الأنبياء والأولياء عبر الزمان والمكان والدرة البيضاء تستخدم أيضا بمعنى القلم وهو وسيلة التعليم والتلقين كما يقصد بها العقاب وهو تعبير مجازى للتلقين الالهى « الذى علم بالقلم » فالقلم هو العقاب الذى يرمز به إلى العقل الأول كما يرمز كذلك للعقل الأول بالدرة البيضاء ويكون العقاب والقلم والدرة البيضاء إذن بمعنى واحد [٥] .

(١) مختار الصحاح - ص : ٢٥٢

(٢) معجم الفاظ القرآن - ص : ٣٨٨ جـ١

(٣) النور : ٣٥ .

(٤) الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى - رسائل ابن كتاب اصطلاح الصوفية .

(٥) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية .

●●● الدعاء ●●●

دعا الله يدعوه دعاء [١] والدعاء عند الصوفية الاستعانة والاستغاثة وطلب من الله كما أنه بمعنى السؤال لكشف الضر واستجلاب النفع .

ويرى بعض أئمة الصوفية أن من زعم أن الدعاء بغير مادعى به الرسول ﷺ بدعة ، فقد افترى على الرسول وعلى الشريعة لأن الرسول ﷺ أقر أصحابه فى دعائهم ، وعن بريدة رضى الله عنه [٢] أن النبى ﷺ سمع رجلا يدعو ربه قائلا : اللهم إنى اسألك بإنى أشهد أنك أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم » [٣] الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » .

ولقد وردت آيات عديدة فى القرآن الكريم تبين صور عديدة للدعاء وسنضرب أمثلة منها : كقوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان » [٤] أى إذا سألنى عبدى وكذلك فى قوله عز من قائل : هنالك دعا زكريا ربه [٥] أى سأله وفى قوله تعالى « أغير الله تدعون أن كنتم صادقين » [٦] ، أى تسألون كما ورد الدعاء بمعنى السؤال أيضا فى قوله تعالى : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخيفة » [٧] ، وكذلك فى قوله تعالى : « فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه » [٨] أى بعد أن استجبنا لدعائه مر كأنه لم يسألنا ولم يستغيث بنا ، ما ورد بنفس هذا المعنى فى قوله تعالى : « نسى ماكان يدعو إليه من قبل » [٩] أى ما كان يطلبه وينادى أن يزال عنه وكذلك فى قوله تعالى : « أدعو ربكم تضرعا وخفية »[١٠] أى اسألوا الله ضارعين إليه ، وفى قوله تعالى : « وقال ربكم أدعونى استجب لكم »[١١] ، أى اسألونى فإنى مجيب لدعائكم .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن ص : ٢٩٣

(٢) أخرجه أهل السنن الاربعة - وحسنه الترمذى وصححه ابن حيان - وقال الحافظ المقدسى لا مطعن فيه .

(٣) راجع بالكتاب اسم الله الأعظم .

(٤) البقرة : ١٨٦ — (٥) الزمر : ٨ .

(٦) الانعام : ٤٠ . — (٧) الانعام : ٦٣ .

(٨) يونس : ١٢ — (٩) الزمر : ٨ .

(١٠) الاعراف : ٥٥ . — (١١) غافر : ٦٠ .

ويرى الشيخ التيجانى[١] أنه إذا تخير المسلم من الدعاء ما يعجبه فليدعو به ، ويقول أنه من الطريف أن بعض الطاعنين فى الدعاء بغير دعاء الرسول كتب رسالة ادعى فيها تحريم الدعاء بغير دعاء الرسول ثم ختمها بدعاء من عنده ومن تأليفه ، ولما كانت حاجة الناس متفاوتة وهمومهم مختلفة كان لابد من اختلافهم فيما يدعون لله به وقد إذن الرسول بالدعاء لله وسؤال كل حاجته ، واعتبر ذلك من نوافل الخير .

وكان من دعاء سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ[٢] : « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، وأجعل موتى فى بلد رسولك » ، وقالت حفصة ـ رضى الله عنها ـ أنى يكون هذا ؟ قال : يأتينى به الله إذا شاء .

وينصح الامام الجيلانى مريديه فيقول[٣] : على المريد أن يسأل الله فى جميع مايريد ويحتاج إليه فى الدنيا والآخرة ، بشرط ألا يكون محرما ، أو مفسدا ، لأن الله تعالى أمر بالسؤال وحث عليه فقال : « أدعونى استجب لكم » ، ولا تقل إنى أسأله فلا يعطينى فلن أسأله . . . بل يجب أن تداوم على الدعاء فإن كان مقسوماً لك ساقه الله إليك فتزداد إيمانا ويقينا وتوحيدا ، وعليك ترك سؤال الخلق والرجوع إلى الله فى جميع الأحوال ، وإن لم يكن مقسوما ، ألهمك الله الرضا والقناعة ، فإن كان دين ترفّق بك الدائن ، وتيسر ، وتأخر ، فى الطلب إلى حين ميسرة ، أو أسقط عنك أو أنقصه ، فإذا لم يترك الدائن ولم يسقط وداوم طلبه أعطاك الله ثوابا جزيلا لحسن سؤالك ودعائك[٤] .

ومن أمثلة استجابة الله لدعاء الصالحين ما أورده صاحب الحلية[٥] عن مطرف بن عبدالله العارف الصوفى أن أحد الصوفية حبسه الحجاج الثقفى ، وكان يدعى حورق العجلى ، ولما علم مطرف قال لصاحبه ابن جرير : « تعالى

---

(١) الشيخ التيجانى أهل الحق العارفون بالله .

(٢) أخرجه البخارى عن حفصه .

(٣) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية لطالبى طريق الحق ص : ٣٦ - ٤٦ جـ٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الامام أبو نعيم - حلية الاولياء المجلد الثانى ص : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

ندعو الله » ، فدعا مطرف وأمن جرير على دعائه . فلما كان العشاء حضر إلى المجلس « أبى مورق » ثم دخل عليهم الحجاج وقال لحرسه : « إذهب إلى السجن فادفع ابن هذا الشيخ إليه » ولم يكن أحد قد أستعطف أو كلّم الحجاج فى أمره .

هذا مثال من استجابة الله لدعاء المؤمن يمكن أن يحصل كثيرا ولكننا ننسى أن الله أستجاب لنا دعاء بعد تحققه .

كما يروى لنا اليافعى [١] ـ رضى الله عنه ـ هذه القصة فى استجابة الله لدعاء الصالحين ، فلقد أرسل أحد الأغنياء غلامه ليشترى بعض الفواكه لمجلس شرب ولهو مع أصحابه ، وأعطى الغلام أربعة دراهم ، فمر الغلام بولى الله منصور بن عمار ، فسمعه الغلام وهو يقول : « من يدفع إلى أربع دراهم أدعو له أربع دعوات ، فدفع الغلام الدارهم إليه ، فقال منصور : ما الذى تريد أن أدعو لك ؟ قال الغلام : أنا عبد ، ولى سيد أريد أن أتخلص من مملكته ، فدعا له ، ثم قال : والثانية ؟ فقال الغلام : أن يخلف الله على دراهمى التى دفعتها ، فدعا له ، ثم قال : والثالثة ؟ فقال الغلام : أن يتوب الله علىّ وعلى سيدى ، فدعا له ، ثم قال : والرابعة ، فقال الغلام : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك والقوم ، فدعا له .

ثم رجع الغلام إلى سيده فقص عليه القصة فقال له : وبم دعا ، قال : أن تعتقنى ، قال له . أذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ، قال وماذا دعا فى الثانية ؟ قال : أن يخلف الله تعالى على دراهمى ، فقال : « لك أربعة آلاف درهم من مالى » ، ثم قال وماذا دعا الثالثة ؟ قال : أن يتوب الله عليك ، قال : تبت إلى الله عز وجل . قال وماذا دعا الرابعة ؟ قال : أن يغفر الله لى ولك وللداعى وللقوم ، قال : هذه ليست إلى (وإنما إلى الله) . فلما نام رأى فى المنام [٢] من يقول له : أنت فعلت ماكان إليك ، أفترانى لا أفعل ماكان إلى ؟ قد غفرت لك وللغلام وللمنصور وللقوم الحاضرين وأنا أرحم الراحمين .

---

(١) اليافعى - روض الرياحين فى حكايات الصالحين ص ٢٢٢

(٢) الرؤيا بالكتاب .

●●● الدعوى ●●●

يرى آئمة الصوفية أن للدعوى إضافة إلى النفس ما ليس لها ، وبهذا المعنى تكون الدعوى إدعاء من الإنسان لشيء لا يفعله ولا يملكه ، كأن يدعى الإنسان بعض الطاعات ، وهى ليست جزءا من أخلاقه ، فيضيف شيئا إلى نفسه ليس فيها ، فيحجب بهذه الدعوى عن معرفة الحقائق [١] .

إذن فالدعوى حجاب بين الله وبين العبد ، ولذلك يقول أبو عمر الدباجي ـ رحمه الله [٢] ـ من ليس له دعوى فليس فيه معنى ، أى أن من يضيف إلى نفسه شيئا من الطاعات التى هى ليست حقيقية أو ليست من أخلاقه ، ثم يدعى أن لديه من القرائن والبينات ما يثبت به هذا الأدعاء ، فيصل بذلك إلى قطيعة الله سبحانه وتعالى وهو أغلظ حجاب يبتليه السالك .

●●● الدهشة والسكينة ●●●

الدهشة عند الصوفية هى قوة مسيطرة تملك المحب من هيبة حبيبه ، الذى هو الله تعالى ، وهى موقف خوف ورجاء تتملك العبد فكأنه قد غشى عليه من قوة الذى تملكه ، وبعد الدهشة تلقى إليه السكينة فيهنأ ويسعد ، فيقول مايقول فى هذا الموقف الذى يأسره ويسطو على عقله .



---

(١) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٢٨ - دار الكتاب الحديثة تحقيق د . عبد الحليم محمود .

(٢) المرجع السابق .

حرف الذال

ذ

••• الذكر •••

الذكر هو إستحضار الله تعالى فى القلب مع التدبر [1] ، والذكر أما أن يصحبه ذكر اللسان أو لا يصحبه ، كما أن الله سبحانه وتعالى ، يذكر عبده الصالح ويجازيه بالخير ويثنى عليه فى الملأ الأعلى .

وإن أهم مراسم السالكين فى الطريق الصوفى ، ذكر الله والانشغال برياضة النفس ، ليحل للمريد أنسا ، فلا يغفل أبدا قلبه عن الله ، ويشهده دائما فى نفسه وقلبه وعمله جميعا ، فالذكر نوع من التقرب إلى الحق تعالى ومجالسته من غير حجاب ، ويقول بعض أئمة الصوفية : أن لله ملائكة يطوفون فى الطريق ملتمسين أهل الذكر ، وإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا أليس لكم حاجة .

ولقد وردت آيات عديدة فى الذكر نورد بعضا منها كقوله تعالى : « وذكر الله كثيرا » [3] ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » [4] ، « فاذكرونى أذكركم » [5] « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » [6] ، والذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » [7] « ولقد يسرنا القرآن بالذكر » [8] ، « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » [9] ، « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » [10] ، « فذكر إنما أنت مذكر » [11] ، « إنما يتذكر أولى

---

(١) معجم الفاظ القرآن الكريم ج١ ص : ٤١٩ .

(٢) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين ج٣ ص : ٥٣١ - ٥٧٠ .

(٣) الاحزاب : ٢١ .

(٤) آل عمران : ١٣٥ .

(٥) البقرة : ٢٢٢ .

(٦) طه : ٣٤

(٧) آل عمران : ١٩١ .

(٨) القمر : ١٧ .

(٩) الكهف : ٢٨

(١٠) طه : ١٢٤

(١١) الغاشية : ٢١

الألباب » (١) ، « أفلا تتذكرون » (٢) .

ويرى بعض الصوفية أن الأهتزاز فى الذكر ليس هو الشيء المهم ، ولكن أن يكون الذاكر قلبه مع الله ، كما أن العارفين لله لا يتمايلون ولا يهتزون أمام الناس ، عند الذكر ، وإنما يثبتون ظاهريا ، إلا أن بعض المريدين يصرخون من الوجد ، ومنهم من يبكى بكاء مرا أثناء الذكر ، لأن الذكر هو توبة وتطهير وصلاة ، وذلك وارد فى قوله تعالى « أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر (٣) » .

والذكر يؤدى إلى الطاعات ويجنب الإنسان المعاصى والآفات ، ومجلس الذكر أفضل من سماع المبغضات ورؤية المنكرات ، لأن فيه حظوة الاتصال بالله ، ويزداد هذا الاتصال مع الاخلاص حتى يجاوز قوانين الطبيعة فتشرق القلوب بالأنوار والكشوفات ، ويفيض عليها الله بالنعم والمنن والعطايا والهبات .

وللذكر صفات ثلاث (٤) :

١ ـ أن يكون بالقلب لا باللسان فقط ولو كان شقشقة .

٢ ـ أن يكون القلب حاضرا وقت الذكر فلا يكون فى واد والعقل فى واد .

٣ ـ أن يحذر الذاكر من الغفلة كالنوم إلا بقدر قهرى لأنها تورث القلب قسوة .

وللذكر ثمرات كثيرة ، كما ورد عن الرسول ﷺ فى الحديث القدسى عن الله تعالى : « قال الله عز وجل » أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى أن ذكرنى فى نفسي ذكرته فى نفسى ، وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وأن تقربا منى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وأن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وأن أتانى يمشى أتيته هرولة » (٥) .

---

(١) الرعد جـ١٩ (٢) الانعام : ٨٠ .

(٣) العنكبوت : ٤٥ .

(٤) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين ج٣ ص : ٣٥٦ دار مطابع الشعب .

(٥) رواه ابن عربى فى مشكاة الانوار ، والبخارى فى التوحيد ، ومسلم فى الزهد ، وابن ماجه فى ثواب التسبيح .

وأفضل أنواع الذكر عند الصوفية الذى له تأثير على تربية النفس ومخالفة هواها ، كذكر الله بأسمائه الحسنى بالشكل والعدد ، كما يلاحظ ذلك فى بعض الطرق ، وينقل لنا الأمام الغزالى عن أبى هريرة قوله « أن أهل السماء ليتراؤن بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى ، كما تتراءى النجوم » [١] .

ويرى بعض الصوفية أن ذكر اللسان حسنة بعشرة حسنات ، أما ذكر القلب فحسنة بسبعمائة حسنة ، ويرون أن الذكر فى الجماعة يقوى العزائم ، وهو باب من أبواب التعاون على البر والتقوى ، لأن المؤمن ضعيف بنفسه قوى بأخوانه .

●●● الذهاب ●●●

الذهاب هو محبة خالصة لله تعالى ، وفناء فى ذاته نتيجة الانشغال به ، والذهاب ثمرة من ثمرات العشق الألهى ، فلا يبقى المدركات الحسية [٢] من سمع وبصر وإحساس وجود بالمرة ، وهو بذلك غيبة عن الصفات المذمومة ، وبقاء فى الحق ولذلك فالذهاب أتم من الغيبة [٣] ، لأنه ذهاب القلب عن إحساس المحسوسات ، وذلك بمشاهدة المحبوب ، كما يقال عن ذهاب الذهاب أن المحب الفانى فى ذات الله لا يشعر بغيبته ولا بفنائه ، فهو ذهاب لا نهاية له ولا حد .

●●● الذوق ●●●

تختلف العلوم الذوقية عن العلوم الوهبية ، فالصوفية يتكملون عن الشرب والرى والمشاهدة والمكاشفة والمحاضرة ، وهذه كلها معارف وأسرار لا تخضع لمنطق العلم بالمعنى العام ، إذ أن المدار هنا على القلب .

لقد سئل البسطامى عن هذا العلم الذوقى ، فقال : أخذتم علمكم ميتا

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين ج٣ ص : ٣٦د دار مطابع الشعب .
(٢) رسائل ابن العربى كتاب اصطلاح الصوفية .
(٣) راجع الغيبة بالكتاب

عن ميت ، وأخذناه عن الحى الذى لا يموت [١] .

وسئل الجنيد ، بما نلت مانلت . . قال : بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة ، فصاحب الهمة المجاهد لنفسه ، والمخالف لمطامع هواه ، يحصل على ذلك العلم بالمجاهدة والمكابدة والرياضة والاخلاص لله والطاعة له .

ويرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى [٢] أن « من العلوم مايغيب عندها كل متكلم على البسيطة ، بل كل صاحب نظر وبرهان إذ أنها ليست له لأنها وراء النظر العقلى » .

ويقسم العلوم إلى ثلاث مراتب :

العلم الأول : علم العقل : وهو كل علم يحصل بطريق الضرورة أو نتيجة نظر وبحث فى دليل ، بشرط الحصول على برهان . وهذا العلم منه صادق وكاذب ، بل منه صحيح وفاسد .

والعلم الثانى : علم الأحوال ، « ولا سبيل إليه إلا بالذوق ولا يستطيع الحصول على هذا العلم عن طريق العقل ، فلا يقدر عاقل أن يجده أو يقيم دليلا على معرفته ، كالعلم بالوجد والعشق والشوق ، وهذه العلوم من المحال أن يعلمها أحد إلا أن يتصف بها ويذوقها .

وأما العلم الثالث : فهو علوم الأسرار : وهو للعلم الذى فوق طور العقل ، وهو نفث فى روح القدس ، ويختص به الأنبياء والأولياء .

وعندما يسلك المريد الصادق طريق الله يكون سلاحه فى المعرفة الذوق بدل الحس والعقل ـ وهنا يتجلى عليه فيكاشف ويشاهد ويراقب بالذوق أو البصيرة وليس بالفكر والعمل [٣] ، ويرى صاحب اللمع [٤] أن الذوق هو ابتداء الشرب ، أى تلقى الأرواح للأسرار الطاهرة من الكرامات وخوارق العادات .

فالذوق هو طريق الايمان لأن الايمان هو الذى يجمعه إلى الله وبالله وكما

---

(١) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - الفتوحات المكية السفر الاول ص : ١٣٩ - ١٤٠ (فقرة ٦٥) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) الامام الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١٣

(٤) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٤٩ .

يقول بعض الصوفية من وافق الله فهو المؤمن المتوحد ، ومن وافق الأشياء فرقته الأهواء .



حرف الراء

ر

••• الرابطة •••

الرابطة فى الطريق الصوفى ، هى التى تربط قلب المريد على الحضور فى حضرة الحق تعالى ، ومعنى الحضور هنا هو الوقوف أمامه تعالى متصفا بالخلال الحميدة مستحضرا الآداب الشريفة ، مستجمعا كمال المحبة والتقديس والتنزيه ، والرابطة أيضا تكون فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم أورثته من الأولياء الكمل المرشدين [١] .

وآداب الشروع فيها أن يجلس العبد السالك على طهارة تامة مستقبل القبلة كجلسة الصلاة مطرقا برأسه مغمضا عينيه ، ساكن الظاهر والباطن ، ذاكرا ربه بنوع من الذكر الشرعى مع كمال الضبط وملاحظة المعنى حسب إرشاد مرشده أو شيخه متخيلا من يربط قلبه عليه على الوجه اللائق شرعا مقبلا عليه بكليته ، مفرغا قلبه عما سواه حريصا على تحقيق توجيهاته .

فالرابطة إذن علاقة شرعية بين العبد وربه أو بين العبد والقدوة الحسنة متمثلة فى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الورثة من الأولياء الكمل المرشدين ، وإذا حسن صدق المريد مع شيخه أو مربيه الكامل ، العالم العامل ، إستولت عليه صفاته بحيث يرى شيخه فى ذاته ولا يرى ذاته ، وكذلك إذا فنى فى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن إستولى عليه سلطان الحقيقة لم يشهد من الأغيار عينا ولا أثرا ولا رسما ولاطللا ، ويقال أنه فنى عن الخلق وفنى بالحق .

ويروى أن ابن عباس رضى الله عنه رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآة النبى ـ صلى الله عليه

---

(١) العارف بالله الشيخ ابراهيم حلمى القادرى - مدابج الحقيقة ص : ٥ - ٢٠ .

وسلم ـ فنظر فيها ، فرأى صورة النبى ـ صلى الله عله وسلم ـ ولم ير صورة نفسه فى المرآة [١] .

●●● الرجاء ●●●

يرتبط الخوف بالرجاء عند الصوفية فالخوف من الله والرجاء فى الله أن يمد للعبد أجله حتى تكتمل عبادته ويصبح عبدا ربانيا ، فالرجاء هو رجاء الصالحين الذين يخافون الله وعقابه ويرجونه أن يمد من أجلهم حتى يزدادوا إليه تقربا وعبادة ليلقوه على أحسن وجه .

ويقول الشيخ أبو طالب المكى [٢] : نحن أهل البيت نقول : أرجى (من الرجاء) آية فى كتاب الله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى [٣] » .

والرجا أيضا من جملة أمارات السالكين إلى الله تعالى وله أحوال عظيمة ، وبه يستقر الطالبين فى أحوالهم ، إذا أجاب الله رجاءهم ، فإذا ثبت الحال فى الرجاء ، أصبح مقاما .

فالحال هو ما كان إلى زوال سريع ، أو إذا كان عارضا من العوارض ، ويشبه الإمام الغزالى [٤] ذلك بأن (الأصفر) ينقسم إلى لون ثابت الأصفرار . . وصفرة زائلة . . وصفرة متوسطة ، فالصفرة الثابتة كصفرة الذهب ، والزائلة كصفرة الوجل ، والمتوسطة كصفرة المريض ، وكذلك صفات القلب وأحواله تنقسم إلى هذه الأقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا ، لأنه يجول على القلب (أى يمر عليه مرورا سريعا) أما المقام فهو عندما يثبت هذا الحال فى القلب ويصبح علما وعالما ومعلوما جميعا .

والرجاء يتم بعلم وحال وعمل ، فإذا عرفت حقيقة الرجاء وفطنت إليه وعلمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان الأسباب ، فقد علمت أن هذه الحال بثمر الجهد والقوة للقيام ببقية الأسباب على حسب ما يمتلك من الإمكانيات ،

---

(١) العارف بالله الشيخ ابراهيم حلمى القادرى - مدارج الحقيقة ص : د - ٢٠

(٢) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب - الجزء الأول ص ٤٣٢ - ٤٣٣

(٣) الضحى : ٥

(٤) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين جـ١٢ ص . ٢٣٠٨ - ٢٣١١

وهذا لا يتأتى إلا من خلق حسن وبذرة حسنة ، وأرض طيبة ثبت فيها ، فمن تابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه .

والرجاء محمود لأنه باعث على التفكير فى الحق تعالى ، أما الناسى أو الغافل فهو مذموم لأنه ضد الراجى ، لأنه منصرف عن العمل ، بعيد عن التفكير فى الذات العلية ، وليس الخوف بضد الرجاء ، ولكنه باعت للرهبة ، ولكن الرجاء باعث لطريق الرغبة .

ويقول بعض الصوفية « علامة الرجاء حسن الطاعة ، وقال بعضهم « الرجاء ثلاث : رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها . . ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة . . ورجل كاذب يتمادى فى الذنوب ويقول أرجو المغفرة » .

فمن وقع فى معصية ينبغى أن يكون خوفه غالبا على رجائه ، وقال بعضهم فى علامة الرجاء فى العبد « أن يكون إذا إحاط به الإحسان من الله ملهما بالشكر لله راجيا تمام النعمة من الله فى الدنيا وتمم عفوه فى الآخرة .

فالرجاء إذن هو رجاء الله ، أو رؤية الله بعين الجمال ، أو ثقته بأنه الجواد على الدوام ، والكريم على الأسرار ، الودود الكريم ، فالعبد ينظر إلى سعة رحمة الله ، ويستبشر بفضله وجوده ، ويرتاح قلبه لرؤية كرمه ورحمته [١] .

وقد سئل ذو النون المصرى وهو يحتضر فقال : لا تشغلونى فقد تعجبت من كثرة لطف الله معى [٢] ، وقال يحيى بن معاذ : إلهى أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك ، وأعظم الكلام على لسانى ثناؤك ، وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاؤك .

●●● الرسم والوسم ●●●

قال بعض آئمة الصوفية أن الرسم والوسم هما القدم والأزل [٣] ، أو « هما صفتان فى الأبد بما جرى فى الأزل » أى بما قدر الله فى الأزل من علم وخلق فهو

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين جـ١٢ ص : ٢٣٠٨ - ٢٣١١
(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص : ٣١٧ - ٣٢٢
(٣) راجع بالكتاب الأبد والأزل .

الأول والآخر ، لا أزل له ولا أبد ولا زمان ولا دهر ، فالرسم والوسم ما أحدثه وما أجاره الأحد الصمد القديم ، وما حكم به سبحانه فى الأزل والأبد .

ويرى صاحب اللمع [١] أن الرسم هو ما رسم به ظاهر الخلق برسم أى بالمظهر الذى عليه المخلوقات علما وشكلا وذلك بظهور سلطان الحق تعالى عليه .

ويرى بعض أئمة الصوفية [٢] أن من استولى عليه سلطان الحقيقة لم يشهد من الأغيار عينا ولا أثرا ، ولا رسما ولا طللا ، ويقال إنه فنى عن الخلق وبقى بالحق .

فالعبد الصالح إذا فنى فى جلال الله وعلم الله ، غاب عن إسمه وذهب وصفه ولم يبقى له رسما ، وذلك بمشاهدته قيام الحق له بنفسه فى ملكه .

وأما الوسم فهى الصورة التى وسم بها الله تعالى المخلوقات وذلك فى سالف علمه وقد أوضح الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية ذلك عندما يتكلم عن الحقيقة المحمدية ويفرق بين علم الله وخلق الله ، فيرى أن علم الله أبدى أزلى لا فى مكان لا زمان ، أما خلق الله فهو فى زمان ومكان ، ولذلك فإن الوسم لا يتغير أبدا لأنه فى سابق علم الله سبحانه وتعالى ، ولا يطلع على علم ذلك أحد أبدا .

●●● الرضا ●●●

يقال رضى به أى أختاره ، أو طابت نفسه به أو قنع به ، ورضى عنه أخيه وأقبل عليه بوده [٣] ، ورضا الله عن العبد بأن يجزل له الله العطاء له كثمرة وثواب لما عمل ، ورضى عن الله أى طابت نفسه بما جوزى منه تعالى من منن ونعم وعطايا . وقد ورد هذا المعنى بالكتاب الكريم فى قوله تعالى ، رضى الله عنهم ورضوا عنه [٣] ، وقوله تعالى « يبتغون فضلا من الله ورضوانا » [٤] ، كما وردت فى قوله تعالى « ومن الناس من يشترى نفسه إبتغاء مرضاة الله » [٥] .

---

(١) الامام السراج الطوسى اللمع ص : ٤٤٣١

(٢) معجم ألفاظ الصوفية ج١ ص : ٤٨٤

(٣) المائدة : ١١٩ - (٤) المائدة : ٢ - (٥) البقرة : ٢٠٧

ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلى : [١] « ألق بنفسك على باب الرضا » وانخلع عن عزائمك وإرادتك ، فالرضا عن الله حب لله على الدوام فيما يسبغه على العبد من نعم ومن ابتلاءات ، فهو راض به ربا وراض بنفسه عبدا ، وراض عن قضاء الله وحكم الله ، ولا عن نفسه وحظوظها وهواه وشيطانه .

فالرضا من المقامات الرفيعة للأولياء الذين يسقطون التدبير مع الله ، ويسترسلون لحكمه ومشيئته فالرضا علامة من علامات الصلاح والتقوى ، بل درجة من درجات الولاية الكبرى ، فالنفس الإنسانية كما يراها الصوفية عندما تترقى عن طريق التوبة والطاعة والأخلاص تحظى بالمنن والعطايا والفتوحات الألهية ، فتصل من حال النفس [٢] الامارة إلى مقام النفس اللوامة ، ثم إلى مقام النفس الملهمة ، ثم تصل مقام النفس المطمئنة ، ثم الراضية ، ثم المرضية ، ثم الكاملة ، وهنا آخر مقام ومنتهى غاية السالكين .

●●● الرعونة ●●●

هناك فرق بين المريد الصادق وغير الصادق فى الطريق الصوفى [٣] ، وأهم صفة الصادق التوبة ، ومخالفة أهواء النفس ، والأدب مع الشيخ ، والطاعة لأستاذه ، والإخلاص ظاهراً وباطنا ، وعدم الحسد لإخوانه ، وإيثارهم على نفسه ، وبالجملة عدم الرجوع إلى طبع النفس الأمارة ، وعاداتها السيئة ، فإذا ظهر على علامة من هذه العلامات كالإثرة ، والمخالفة والاعتراض فهو صاحب رعونة ويجب على شيخه تقويمه وتربيته ، بكثرة المجاهدات والرياضات حتى تتخلص نفسه من هذه الشوائب وتصلح للطريق إلى الله .

والرعونة لا تظهر إلا فى بداية الطريق لأنها وقوف مع الطبع [٤] ، أما السالك صاحب الأحوال والمقامات ، فهو الذى تمكن من تربية نفسه ومخالفة حظوظها وإسقاط التدبير مع الله وسار فى طريق الرجال وهم أهل الكمالات الأخلاقية .

---

(١) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى - ص١٣٩ اعلام العرب ٧٢

(٢) راجع بالكتاب النفس .

(٣) الامام الشعرانى - الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق محفوظ بدار مكتبة محافظة اسكندرية .

(٤) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية

••• الرمس والدمس •••

لفظ صوفى معناه « الدفن » [١] إشارة إلى حقيقة التوحيد ، ومعناه أن يقبر الخلق وكأنهم لم يكونوا ، ويعنى به الصوفية قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإدعاء بما تفرد له منه به . [٢]

فالصوفى إذا دفن نفسه ، أى أمات شهواتها ، وحظوظها فلم يبق له حظ ظاهر ، بقى قلبه فوق العرش ، أى متجها بكليته إلى ملكوت الله وفضل ونعم الله ، لأن مخالفة النفس ومفارقة أهوائها يشفف الإنسان ويجعل قلبه مع الله وفى الله وبالله ولله ، وكأنه ميت حى ، نفسه ميتة مع الخلق ، وقلبه حى مع الله [٣] .

••• الرؤيا •••

الرؤيا لغويا يمكن أن تكون نظر بالعين ، كما يمكن أن تتعد ذلك فتكون رؤية قلبية معنى العلم أو الظن [٤] ، والرؤيا مصدر لما يراه النائم ، وقد وردت فى القرآن الكريم بمعان متعددة فمثلا فى قوله تعالى « أنى أرى ما لاترون » [٥] بمعنى انى أعلم مالا تعلمون ، وقول أحد صاحبى يوسف عليه السلام عن الله تعالى « قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا » [٦] ، وهى مقام فيما يراه النائم ، وكذلك وردت الرؤيا فى الآية الكريمة « ياأيها الملأ افتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون [٧] ، وقوله تعالى « يابنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا » [٨] كما وردت الرؤيا بمعنى المنام أيضا فى قوله عز من قائل « إذ يريكم الله فى منامك قليلا » [٩] .

---

(١) اللمع : ٤٣١ .
(٢) العارف بالله الشيخ ابرهيم حلمى القادرى - مدارج الحقيقة ص : ٢
(٣) اللمع : ٤٣٤ .
(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم - جـ١ ص
(٥) الانفال : ٤٨ (٦) يوسف : ٣٦
(٦) يوسف : ٤٣ (٨) يوسف : ٥ .
(٩) الانفال : ٤٣ .

ويرى الصوفية أن الرؤى الصادقة هى علامة من علامات الورع والتقوى وللرؤيا الصادقة علامات تعرف بها ، وتوضح هدفها ومعناها ومغزاها ، وكثيرا ما تهدف الرؤيا إلى حقيقة من الحقائق كصورة تعرض أمام الرائى فتتبين له الحلول التى يمكن أن يكون محتاجا لها ، أو المسائل التى يجوز أن يكون طالبا معرفتها أو أخبارا بالمشاكل والعقبات التى يعجز تفسيرها واجتيازها ويستخير الله فيها أن يلهمه الصواب والحق فى التغلب عليها .

ومن علامات صدق الرؤيا تكرارها وتوافرها ، وكذلك أن ترد مطابقة الشريعة فإن الرؤيا الصادقة هى التى لا تخالف نصا صريحا أو سنة متواترة ، ولذلك تسمى الرؤى عند أهل الحق بالمبشرات ـ ويستندون فى ذلك إلى قول الله تعالى « إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »[١] .

والبشرى هى [٢] الرؤيا الصالحة التى يراها العبد أو ترى له ، ففى النوم تزايل النفس الروح ، فلا تستطيع النفس أن تسيطر على الروح وتلقى إليها ما تريد كما فى اليقظة ويستثنى من ذلك القليل من الناس الذين ماتت نفوسهم وهم فى قبضة الحق ، لذلك فقد يبشرون يقظة .

ورؤيا المؤمن هى إذن كلام بكلمة الحق تعالى لعبده ولذلك كانت جزءا من ستة وأربعون جزءا من النبوة ، أما الكلام على القلوب فى اليقظة أو الذى يسمى فى علم النفس خطأ بأحلام اليقظة فهو أكثر من ثلث النبوة .

وتصدق الرؤيا [٣] عندما توافق أحكام الشرع وترد فى ساعات آخر الليل وأول النهار ويحكم على صدقها عندما تكون لحكمة .

ولقد أجمع الصوفية على أن الله لا يرى فى الدنيا بالأبصار [٤] ولا بالقلوب إلا من جهة الايقان ، ولو أعطوا فى الدنيا أفضل النعم ماكان هناك فرق بين

---

(١) يونس : ٦٤

(٢) ابن القيم الجوزية الروح ص : ٢٨ - ٣٤

(٣) الامام اليافعى اليمنى - روض الرياحين فى حكايات الصالحين ص : ١٧٢ - ١٧٣

(٤) الامام ابو بكر محمد الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ٤٢ تقديم د دكتور عبد الحليم محمود .

الدنيا الفانية والأخرى الباقية ، فالدنيا هى دار فناء ولا يجوز أن يرى الباقى فى الدار الفانية ، فلو رأوه عز وجل فى الدنيا لكان الإيمان به ضرورة ، ولم تسمع أو تقرأ أن أحدا من الأولياء الصالحين أدعى رؤية الله فى الدنيا .

ويؤيد ذلك الآية الكريمة : « أرنى أنظر إليك قال لن ترانى فإن أستقر الجبل مكانه فسوف ترانى [١] » وكان هذا مطلب موسى عليها السلام من ربه ، وقد علق الله تعالى الرؤية بقوله تعالى « فإن أستقر الجبل مكانه فسوف ترانى » وهذا معناه إمكان الرؤية بالعقل والسمع وفى هذا يقول تعالى « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » [٢] .

ومن ناحية أخرى فإن الرؤيا الصادقة يؤيدها الواقع فقد قال أحدهم لأبن سيرين : [٣] رأيت كأن بيدى خاتما أختم به أفواه الرجال ، وفروج النساء فقال : أنت مؤذون تؤذن قبل الصبح فى رمضان قال : صدقت . . وصاحب الختم هذا هو الذى يمنع ، فإستخدام المنع بالختم دليل على المعنى ، وقد تمثل الرائى الصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى .

فالرؤيا بهذا المعنى هى علم أهل الباطن الذين ينظرون بنور الله [٤] فيدركون الظاهر والباطن وهذا يدل على أن العلم الباطنى حاكم على العلم الظاهرى محكوم له بالصدق والصواب .

ويعتبر غالبية الصوفية الرؤيا أدنى « درجات الكشف » أما أعلى الدرجات فى الكشف فهو الوحى .

●●● الروح ●●●

تطلق الروح على مابه حياة الأجسام ، وقد تضاف لله تعالى للتشريف ، كما تطلق أيضا على كل أمر خفى لطيف كالوحى وأمر النبوة ومابه حياة النفوس

---

(١) الاعراف : ١٤٣

(٢) الاعراف : ١٤٣ .

(٣) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ١٦ ص : ٢٩٣٥ وما بعدها كتاب الشعب .

(٤) الشيخ الشبلنجى - نور الابصار ص : ٢٤٦ .

وهداها وكذلك فإن جبريل عليه السلام يطلق عليه الروح والروح القدس ، كما فى قوله تعالى : « وأتيت عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »[١] ، وقوله تعالى « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده »[٢] .

لذلك يختلف كثير من أئمة الصوفية فى شرح معناها ، فمنهم من يقول أنها الحياة ، ومنهم من يقول أنها أعيان مودعة فى قوالب الأجسام ، ولكنهم جميعا يقررون أنها لطيفة ، وأنها أى الروح ترى فى حال النوم وعند مفارقة البدن ـ أى فى الموت الجزئى والموت الكلى[٣] .

إذن الإنسان هو روح وبدن أى جسم لطيف وجسم كثيف ، وبإتحادهما تكون النفس الإنسانية التى تعاقب وتثاب حسب أفعالها فى الحياة الدنيا ، وبذلك تكون الروح عند الصوفية مخلوقة وأن مايقول غير ذلك عندهم فهو مخطىء خطأ عظيما ، بدليل قوله تعالى « ونفخ فيه من روحه »[٤] أى ماهو به الحياة ، وقوله تعالى « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده »[٥] ثم قوله تعالى « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا »[٦] أى بعثنا فى عيسى الذى هو فى بطنها ما به حياته .

ويرى بعض أئمة الصوفية أن الروح نسيم طيب تكون به الحياة ، وهو جسم لطيف غير ذى حس ، والروح خلقها الله قبل الأجساد لقوله تعالى « ولقد خلقناكم »[٧] أى الأرواح ثم قوله تعالى « ثم صورناكم »[٨] يعنى الأجساد ، ويشبه أئمة الصوفية الروح بالبصر ، فالبصر جوهر لطيف قام فى جسم كثيف ، وكذلك الروح جسم لطيف قام فى جسم كثيف .

فالروح إذن جسم موجود ، لا يمكن التعبير عنها بأكثر من إنها موجودة « قل الروح من أمر ربى »[٩] وهى من صفات الأحياء وهى معنى فى الجسد مخلوق كالجسد ولكن ليست من طينته ، فالروح من أمر الله[١٠].

---

(١) البقرة : ٨٧ . (٢) النحل : ٢ .
(٣) الامام ابن القيم الجوزية - الروح - ص ٢١٦ مكتبة صبيح واولاده .
(٤) السجدة : ٩ . (٥) النحل : ٣
(٦) الانبياء : ٩١ . (٧) الاعراف : ١١
(٨) الاعراف : ١١ (٩) الاسراء : ٥٨ .
(١٠) العارف بالله الشيخ ابراهيم حلمى القادرى - مدارج الحقيقة ص : د - ٢٠

ويرى ابن القيم [١] أن الله تعالى خلق الأرواح جملة واحدة وأخذ عليها العهد وهى مازالت صور أى قبل أن يدخلها فى الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء وترجع الروح بعد الموت إلى الحياة البرزخية .

ويزعم الماديون أن الروح ليست شيئا خارجا عن الجسم ، فهى فى تصويرهم بمثابة دواء يحدث تأثيرا معينا على الجسم ، أو هى نغم موسيقى ناتج من ضرب أوتار الألة بترتيب محدد ، فهم ينتهون آخر الأمر أن الروح هى نتاج لتركيب العناصر ، على نمط معين ، بمزاج خاص ينتج عنه الإدراك والتخيل الفكرى ، وهذا مايسمى بالروح .

فإذا تمشينا مع أقوال الماديين فى ماهية الروح بقى لنا أن نتساءل عن مشكلة خلود الروح ، فالمعروف أن الروح لا تخضع للتجربة المعملية حتى يمكن التعرف عليها ، فى حياة الجسم ، فكيف يمكن التعرف عليها بعد فناء الجسم ؟ . . .

أن وجود الروح لاشك أمر يتعلق بالوجدان ، إذ أن التعقل والإدراك والتخيل والتصور لا يخضع للتجريب المادى لأنه ليس من خواص المادة ، فالمادة جسم أعمى لاحس فيه ولا حياة ولا عقل ، فلا علاقة لها بالفكر الدقيق ولا العلم ولا الطعام يبقى أن هناك جوهر آخر أرقى من المادة هو الذى يكشف عما هو فوق مادى ، بل عما هو فوق عقلانى ، هو المسئول عما يعجز عنه علماء المادة ، وهذا الجزء هو الروح [٢] .

وفى العصر الحديث تقدمت الأبحاث فى دراسة الجسم الإنسانى والخلايا المتناهية فى الصغر ، والتى ثبت أنها تتحطم وتفنى فى كل لحظة ، وأن الغذاء هو الذى يعوض مافقدته أجسامنا من هذه الخلايا ، بل لقد ثبت أن الجسم الإنسانى إنما هو يتألف من مئات الملايين من هذه الخلايا كبناء من الطوب يتألف من مئات الملايين من قوالب الطوب يستبدلها فى كل لحظة لصيانة الجسم من الذبول .

ولاشك أن الروح ليست مظهرا من مظاهر الجسم فحسب ، بدليل أنه عندما تطرأ على الجسم بعض التغييرات ، أو تستأصل بعض أجزائه ، لا تتأثر

---

(١) ابن القيم الجوزية - الروح ص : ٩٠ - ٩٣ .

(٢) وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ص : ٩٣ .

الروح بذلك ، فهى ليست كما يقول الماديون ماكينة تعمل حسب تخصص لأجزائها فلو كسر منها جزء ، أو تعطلت أحد تروسها ، توقفت عن العمل ، أو بمعنى آخر أن الجسم الإنسانى ليس كآلة موسيقية تتأثر بمجرد أن ينكسر وتر واحد منها .

إن ذلك لا يحدث على الإطلاق فيما يتعلق بالروح ، فالروح إذن شىء آخر غير الجسم ولها وجودها المستقل ، والشخصية الإنسانية هى عدم التغيير فى عالم التغييرات ، وأن مايؤكد ذلك علم النفس الحديث إذا يقرر أن المخ الإنسانى ليس شعورا فحسب وإنما هناك منطقة اللاشعور أو الباطن الذى يختزن فيه الأفكار والمعلومات إلى نهاية الحياة [١] .

إن قانون الجسم بخلاف الروح التى لا تتحكم فيها فكرة الزمن ، فما هو ماضى يمكن أن يكون حاضرا أو مستقبلا ، وإذا كانت منطقة الشعور ، تتم أفعالنا فيها فى زمن محدد فإنه فى اللاشعور لا يوجد أى رمز لمعنى الوقت ، وسريانه ، حتى أن التأملات الخيالية والمكبوتات المدفونة فى اللاشعور إنما تبقى أزلية فى الواقع ، ومحفوظة فى النفس ، وكأنها لم تكن إلا من زمن يسير ، وهذا دليل على أن اللاشعور منفصل على الجسم المادى اللاإنسانى ، ومنفصل أيضا عن الزمان والمكان ، فلو كانت الروح هى مظهر من مظاهر الشعور المحدد بالزمان والمكان والبعد لكان من الواجب أن تخضع لقوانين الجسم ، مثل خضوع الجسم لها سواء بسواء .

ولقد ثبت من التجربة أن الروح لا تخضع قطعيا لقوانين الجسم ، إذن فإن من المسلم به أن للروح وجودا آخر غير الجسم مختلف فى نوعيته ومنفصل فى وجوده ، كما أن العلاقة بينهما إنما تختلف عن علاقة النغمة بالآله ، وعن الدواء بالجسم والحركة بالماكينة ، وإلا خضعت الروح لنفس القوانين التى تخضع لها النغمة والحركة ، فالقوانين التى تخضع الروح لها غير القوانين التى تسير الجسم الإنسانى [٢] .

ومن ناحية أخرى فإن نتائج البحوث الروحية التى تحاول إثبات وجود الحياة بعد الموت [٣] إنما تؤكد عن طريق التجربة والمشاهدة العلمية المجردة إنه ليست

(١) وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ص : ٩٤ .
(٢) الدكتور رؤوف عبيد - الانسان روح لا جسد ص : ٩٨ - ١٠٥
(٣) المرحوم أحمد فهمى أبو الخير - الحياه بعد الموت ص : ١٠ - ١٢

الروح هى التى تبقى بعد الحياة فحسب ، وإنما ثبت بقاء نفس الشخصية التى كانت فى الحياة قبل انتقالها والتى تعلم علم اليقين بوجودها قبل موتها ، كشخصية معروفة لنا جميعا[١] .

ولقد تكونت فى آواخر القرن الماضى جمعية البحوث الروحية ، وأثبتت أن شخصية الإنسان تظل باقية بعد موت جسمه فى صورة من الصور التى يكتنفها الغموض ، ولكن الباحثين فى الدراسات الروحية سلموا بالحياة بعد الموت كحقيقة واقعة بعد أن قاموا بدراسات محايدة لمختلف الشواهد والتجارب والأمثلة ، ومنهم البروفسير « دوكاس » الذى وإن كان لايؤمن بالحياة بعد الموت كعقيدة دينية إلا أنه يؤكد بقاء الحياة بعد الموت بعيدا عن كونها عقيدة دينية ، وهو يقول : [٢] .

لقد قام رهط من كبار العلماء وأكثرهم خبره بقراءة التقارير المتعلقة بالمشكلة رفحصوها فحصا دقيقا وتوصلوا إلى هناك شواهد كثيرة تجعل فكرة بقاء الروح نظرية معقولة وممكنة الحدوث ، ومن هؤلاء الذين قاموا بهذه البحوث ، الاساتذة « ألفريد راسل » ، و« أليس » و « السير وليام كروكس » ، و « ف .و . هـ مايرز » و « سزار لوميرازو » ، و« كميل فلاماريون » ، و« السير أوليفر لودج » ، و« الدكتور ريتشارد هوجسن » ، و« المستر هنرى سيدريك » ، و« البروفيسور هيسلوب » .

ويقول الدكتور دوكاس أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت والتى يؤمن بها الكثيرين ليست هى واقعا فحسب ، وانما هى فى الواقع العقيدة الدينية الوحيدة التى يمكن إثباتها بالدليل التجريبى ، ومعنى ذلك أن بجانب الآراء الدينية فى هذا الموضوع يمكن الأعتماد إعتمادا كليا على التجارب دون الالتجاء إلى العقيدة الدينية[٣] .

وفى تصورنا أن البروفسير دوكاس الذى يرى من الناحية التجريبية إمكان خلود الحياة بعد الموت من الناحية العلمية والتجريبية فحسب ، قد جانبه

---

(١) سير جيمس فندلاى - على حافة العالم الاثيرى ص : ٢٥

(٢) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ص : ٩٥

(٣) وحيد الدين خان - الانسان يتحدى .

الصواب إذ أن توقفه عند ذلك الحد يعتبر نوعا من الأنانية والأثرة إذ كيف يقبل هذا التفسير تجريبيا وينكره عندما يقدمه لنا الدين إذ أنه لامجال إذن لانكار الحياة بعد الموت مادام قد تأيد تجريبيا كما تأيد لنا من قبل عقائديا ودينيا .

ولكن غرور الإنسان وغلبة الهوى جعلته يجانب الحق الواضح الجلى ، ويفتتن بالحجج البراقة واللغو الذى يؤخر ولا يقدم ، فلماذا إذن هذا التحجر الفكرى وباب الحق مفتوح من مصراعيه ؟ . . فالحكمة كما يقول أحد أئمة الصوفية [١] جند من جنود الله يرحلها إلى قلوب العارفين حتى تروح عنها وهج الدنيا .

ونحن نقول : من أين تأتى الحكمة العلماء وكل همهم الدنيا ومافيها حتى إذا صادفوا الحقيقة هموا عنها ، لأن قلوبهم كالحجارة ، بل أشد منها قسوة .

●●● الرياء ●●●

من الرياء المراءاة فهو يرائى رياء [٢] أى الذى يرى الناس خلاف ماهو عليه حقيقة ليخدعهم به ، وقد ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « كالذى ينفق ماله رئاه الناس » [٣] وفى قوله تعالى أيضا « يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » [٤] .

ويرى الإمام عبدالقادر الجيلانى [٥] فى تفسير الشقاق والوفاق والنفاق أن الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق ، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وإتفاق وتركه رياء ونفاق .

وهذا تفسير أخلاقى عميق ، وفهم دقيق لأحوال النفس الإنسانية ومعناه أن السائل صاحب الهوى ، والنزوع الشهوى ، الذى يطلب فى غير حاجة ولا ضرورة هو يسير فى طريق العناد والكراهية والفرقة ، وأما الذى يأخذ وليس

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٢٧ .
(٢) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٤٤٤ .
(٣) البقرة : ٢٦٤
(٤) النساء : ١٤٢ .
(٥) الامام الجيلانى - فتوح الغيب ص : ٩٢ هامش بهجة الاسرار .

فى نفسه هوى ، شهوة فهو موفق يسير فى طريق الله فينفق مما أعطاه الله ويأخذ مما أعطاه فأما الذى يتظاهر بالتعفف ولا يأخذ وهو فى ضرورة فهو صاحب نفاق لأنه يريد أن يأخذ ثم إنه لا يأخذ ، فهو مراء يتظاهر بما ليس فيه

وقد قسم الإمام الجيلانى[1] رضى الله عنه الرجال أربعة أقسام :

١ - العالم بالله الذى جاء فى الحديث « من تعلم وعلّم وعمل دُعى فى الملكوت عظيما » .

٢ - القلب بلا لسان وهو المؤمن الذى ستره الله على الناس وهو المذكور فى الحديث « من صمت نجا »

٣ - رجل لا لسان له ولا قلب وهو العاصى لا خير فيه .

٤ - رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه ، وينصح غيره ، ويستقبح فعلة الغيب ، ويفعل مثله ، يتظاهر بالتعبد فإذا خلا إلى نفسه أتى بالفواحش كذئب فى ثياب طاهرة

وقد حذر الرسول ﷺ من المرائى فقال : « أخوف ما أخاف على أمتى علماء السوء » والخوف من هذا الشخص راجع إلى أنه مرائى إذ أن باطنه نتن وظاهره ساحر لذيذ .

ويقول الامام عبدالقادر الجيلانى[2] « المرائى ثوبه نظيف وقلبه نجس ، ويزهد فى المباحات ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه ، ولا يتورع جملة ويحب الحرام ويخفى أمره على العوام ، ولا يخفى على الخواص ، وزهده وطاعته فى ظاهره ، وظاهره عار وباطنه خراب .

والمرائى يدعو الخلق إلى نفسه ولا يدعوهم إلى الله عز وجل ، وهو طالب الحظوظ والقبول والدنيا وشهواتها ومثل صاحب الربا ، عند الصوفية ، كمنافق تعرت طويته ، وكشفت نيته ، وكلما أراد أن يستر ما علم القوم من حاله بحلاوة أقواله كذبوه وفضحوه وهتكوه .

ومن علامات المرائى تبرئة نفسه عند الناس من العيوب ومن مراتبه يصعر وجهه للناس ، ولايزال فى تخشع واطراق رأس وهو يذم كل صالح ولا يقبل

---

(١) الامام الجيلانى - فتوح الغيب ص : ٧٤ - ٧٨ هامش كتاب بهجة الاسرار

(٢) عبد القادر الجيلانى - الفتح الربانى ص : ٣١ وما بعدها .

نصح ناصح فأعلم أنه مراء دجال[١] . والرياء من أحوال الغرور والعجب بالنفس وقل من الناس من يسلم من الرياء لنقص البشرية وعزة الحرية .

وطالب الشهرة بين الناس صاحب رياء وفقر وفلاس لأنه لا يرضى الناس إلا بغضب مولاه ولايصاحبهم إلا لجهله وهواه[٢] .

●●● الرياضة ●●●

يعرف أهل الحق الرياضة بأنها المجاهدة والأدب مع الله ، أى البعد عن الخواطر الشيطانية ، وذلك يتجنب الشهوات ، ومخالفة أهواء النفس من طلب للذات والحظوظ الدنيوية ، والرياضة كما يراها صاحب التعرف رياضة الأدب رياضة الطلب ، فرياضة الأدب فى مخالفة هوى النفس ، ورياضة الطلب فى الاخلاص والصدق فى المجاهدة والصحة فى المراد به من الرياضة .

وعلى الجملة تكون الرياضة عبارة عن تهذيب ومخالفة وتربية وتأديب النفس بقصد الوصول بها إلى مكارم الأخلاق .

ويتفق الشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربى[٣] فى معنى الرياضة مع صاحب التعرف ، فى أنها خروج عن طبع النفس وتهذيب للأخلاق النفسية .

وقد سئل العارف بالله الشيخ الدباغ[٤] عن الفرق بين طريقى الامام أبو الحسن الشاذلى والتى تقوم على الشكر لله والأنس بالنعم ، والفرح بالعطايا من غير تكلف ، ولا مشقة ، وبين طريقة الإمام الغزالى التى مدارها الرياضة مع مخالفة للنفس ، من معاناة ومشقة ، وسهر وجوع ، وهل الطريقان متوافقان على الرياضة ؟ أى هل يأمر الشاذلى مريده بالشكر بعد القرب أى بعد الرياضة أم أن المريد المبتدىء يبدأ بالشكر على النعم وبالفرح بالله ؟

فأجاب الدباغ ـ رضى الله عنه ـ : إن طريق الشكر هو الأصيل ، وهو الذى كانت عليه قلوب الأنبياء والأصفياء ، والشكر قائم على عباده الله ، وعلى

---

(١) الشيخ جمال الدين محمد ابى المواهب - قوانين حكم الاشراف ص : ٤٤ .

(٢) المرج السابق .

(٣) رسائل ابن عربى كتاب اصلاح الصوفية .

(٤) الشيخ الصادق عوجون - التصوف فى الاسلام ص : ١٢٨ وما بعدها .

إخلاص العبودية ، والبراءة من جميع الحظوظ ، والاعتراف بالعجز ، والتقصير مع الله ، وهذا رقى للقلب على مر الزمان ، ولما علم الله بصدق طريقهم أنابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل أسراره .

ولما علم أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء الشاكرين من الفتح والكشف جعلوا ذلك مطلوبهم ، وذلك بالجوع والسهر ، والصيام ودوام الخلوة ، أى بمختلف الرياضات ، حتى حصلوا على ما حصلوا » .

فالهجرة بطريق الشكر كانت إلى الله ورسوله فى أول الأمر ، لا إلى الفتح والكشف ونيل المقامات عن طريق الرياضات والمجاهدات ، فالفتح يأتى بطريق الشكر هجومى بغير تكلف ، من العبد ولا تشوق إليه ، بينما العبد بطريق الرياضة فى مقام طلب التوبة والندم ، والاستغفار من الذنوب ، فيأتيه الفتح على هذا الحال .

والطريقتان فى رأى الشيخ الدباغ متفقتان ، لكن طريق الشكر أصوب وأخلص كما أن الطريقتين منفقتين على الرياضة ، إلا أن الشكر يتعلق برياضة القلوب من التزام الوقوف على بابه تعالى » ومن اللجوء إليه فى الحركات والسكنات والبعد عن الغفلة [١] .

أما الطريقة الثانية فتتعلق برياضة الأبدان من صوم وجوع وسهر ، ولكنها أيضا رياضة فيها تعليق القلوب بالله عز وجل على الدوام ، وإن كان الظاهر فيه صوم وإفطار ونوم وقيام وممارسة لوظائف الشرع .

ويرى الشيخ الدباغ أن الغزالى إمام حق وولى صادق ، ولا ممانعة بين الطريقتين ، لأن العبد الصالح يعلق قلبه بالله فى سائر حركاته وسكناته ويقيم ظاهره فى المجاهدة والرياضة [٢] .

●●● الرين ●●●

الرين هو الصدأ لأنه يعلو [٣] المرآة أو السيف وقد ران أى قد غلب عليه

---

(١) الشيخ عرجون - التصوف فى الاسلام ص : ١٢٨ وما بعدها .
(٢) الشيخ محمد صادق عرجون - التصوف فى الاسلام ص : ١٢٨ سنة ١٩٦٧ .
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٥١١ مجمع اللغة العربية .

الصدأ ، وقد وردت فى قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون [١] » .

ولقد قسم بعض أئمة الصوفية القلوب المحجوبة على الحق إلى أوجه متعددة :

١ ـ قلوب ختم الله عليها بالحجب فهم الكفار ، وذلك تصديقا لقوله تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم [٢] .

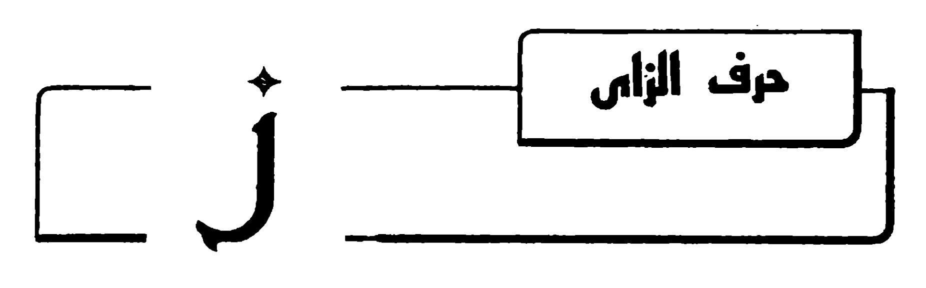
٢ ـ قلوب حجبت من الرين والقسوة ، وتلك هى قلوب المنافقين ومنها أيضا قلوب المؤمنين ، وذلك فى قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم [٣] ، أى قلوبهم قد صدأت وأن عليها غشاوة ناتجة من قسوتها ، وقد وردت فى قوله تعالى : « ثم قست قلوبكم بعد ذلك [٤] » .

إذن فالرين حجب ناتج من صدأ أو قسوة يمكن أن تكون إبتلاء للمؤمنين وبلاء للمنافقين .



---

(١) المصطفين : ١٤ .
(٢) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٤ .
(٣) محمد : ١٦ .
(٤) البقرة : ٧٤ .



••• الزاجر •••

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ومعناه لغويا [١] الدفع والطرد فيقال أزدجر وزجره أى انتهره ومنعه ونهاه ، وزجر الراعى غنمه أى صاح بها ودفعها ، والزاجر جمعه الزاجرات ، وقد وردت بهذا المعنى فى قوله تعالى : « فالزاجرات زجرا » [٢]، والزاجرات هى الملائكة التى تدفع السحاب أو تطرد الشياطين ، أو تنهى عن المعاصى بإلهام الخير كما وردت فى قوله تعالى : « فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وأزدجر » [٣] ، أو كما وردت فى الآية الكريمة فى قوله تعالى : « ولقد جاءهم من الأنبياء مافيه مزدجر » [٤] .

والصوفية يرون أن الزاجر هو تنبيه وتأنيب للمريد الصادق يأتيه فى صورة ما وهو كالواعظ ، ويدخل قلبه فيهتف فى أعماقه ، ويرشده إلى طريق الحق ، ويبين له طريق الباطل لتتجنبه ، فيطيع العبد الصادق الزاجر ، فلا ينقاد لشهوة ولا يتبع معصية .

ويذهب الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى إلى أن الزاجر هو واعظ الحق فى قلب المؤمن وهو الداعى إليه [٥] .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص : ٥١٣ جـ١

(٢) الصافات : ٢ (٣) القمر : ٩

(٤) القمر : ٤ .

(٥) رسائل بن عربى - ص : ٩ - كتاب اصطلاح الصوفية .

●●● الزاهد ●●●

زهد فى الشيء وعن الشيء يزهد زهدا وزهاده بمعنى أعرض عن ، أو غير راغب فيه ، فهو زاهد وهم زاهدون [١] .

ويستخدم الصوفية لفظ الزهد بمعنى الغنى عن الناس ، والإقبال على الله ، ولذلك يرتبط الزهد عندهم بالفقر [٢] ، فالفقر هو مايحتاج إليه الإنسان ، أما فقدْ مالا يحتاج إليه الإنسان ، فلا يسمى عنده فقراً ، وإذا كان المحتاج إليه موجودا ومقدورا عليه لا يقال عند ذلك أن هذا العبد فقير ، فالفقر إذن هو فقد وحاجة .

لذلك فمفهوم الفقر ينطبق على جميع الخلق لأنهم جميعا مفتقرين إليه ، ومحتاجين إلى كماله وجلاله ، فكل ماسوى الله سبحانه وتعالى ، فقير لأنه ناقص ، يحتاج إلى الكامل ، بل يحتاج إلى دوام وجود ، ودوام وجوده ، مما يستفيده من فضل الله تعالى وكرمه وجوده .

وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين [٣] » .

فكل موجود فى هذا الوجود [٤] مستفاد من غيره ، وغيره هو الله تعالى بالذات لأنه هو الحق ، وهو الغنى المطلق ، ولا يتصور ذلك إلا فى موجود واحد ، أى ليس هناك إلا غنى واحد وكل ماعداه فقراء (والله الغنى وأنتم الفقراء) .

ويرتبط الفقر بالزهد ، فالزهد هو كمال الأبرار فهو إذن كراهية الدنيا ، وشغل عنها بالآخرة ، فهو نقص فى الدنيا ، وغنى فى الآخرة ، أما الراغب فيها

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١

(٢) الامام أبو حامد الغزالى - إحياء علوم الدين جـ١٣ ص : ٢٣٩١ وما بعدها مطابع دار الشعب .

(٣) يوسف : ٢٠

(٤) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين ج١٣ ص : ٢٣٩١ .

فهو مشغول بالدنيا ، وبينه وبين الله حجاب لأنه يحجب نفسه ، لأنه مشغول عن الله تعالى .

فالزهد مرتبط بالفقر ، من حيث أن الزاهد محتاج إلى الله ، وهو كالفقير ، غير منشغل بالدنيا وبالخلق .

ويعرف صاحب التعرف [١] الزهد فى لفظة الجنيد - رحمه الله - بأنه خلو الأيدى من الأملاك والقلوب من التتبع ومعنى ذلك السخاء والجود بما فى اليد من ممتلكات ، وعدم النظر بالقلب إلى أملاك الناس وأموالهم ، ويروى عن سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه عندما سئل عن الزهد قال « هو أن لا تبالى من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر ، ومعنى ذلك أن الزهد هو ترك الشىء الذى ليس للعبد والإعراض عما فى أيدى الآخرين .

ويقول صاحب الرسالة القشيرية [٢] أنه سمع الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الزهد أن تترك الدنيا كما هى ، لا تقول أبنى بها رباطا أو أعمر مسجدا » . .

وفى تصورنا أن هذا معنى غريب للزهد ، ولكنه ربما يكون المقصود ألا يشغل نفسه بإرضاء عن نفسه ، أو يتعجب بما فعل أو يفعل ، فإذا رضى العبد عن نفسه فى بناء مسجد مثلا فإنه حتما سيمتلكه الغرور ، وربما ينتكس ويبتعد عن طريق الحق ، فيسقط عنه زهده ، لأنه لو أنه بنى المسجد سيرجع إليه فضل إقامته وتشييده ، إذا كان ليس مقصودا به وجه الله ، ومن هنا يخرج الزاهد عن زهده لأن الزهد - كما علمنا - بعد عن الدنيا ، والنظر إليها بعين الزوال لتصغر فى العين فيسهل الإعراض عنها ، بل هو فى وجود الراحة ، وذلك بالخروج عن الملك ، أى أنه عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .

••• الزوائد •••

وهى من الزيادة ، وزاد الشىء زيادة وزيدا وزيادا ، أى نما وكثر أو أنضم

---

(١) الكلاباذى - التعرف لمذهب التصوف ص : ١١٢

(٢) الامام القشيرى - الرسالة القشرية جـ١ ص : ٢٩٢ - ٢٩٥ .

إليه شيء آخر من نوعه ، كما أن زاده ، أى أحدث فيه زيادة (١) وقد ورد ذلك المعنى فى قوله تعالى : « وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم (٢) » ، وقوله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزد له حرثه » (٣) ، وقوله تعالى أيضا ، « وسنزيد المحسنين » (٤) ، كما ورد المعنى فى الآية الكريمة فى قوله تعالى « ويزيدكم قوة إلى قوتكم » (٥) وكذلك فى قوله تعالى « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوتينهم أجورهم ويزيدهم من فضله » (٦) ، وقوله تعالى : « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » (٧) .

ويرى الصوفية أن لكل ولى من أولياء الله حال ومقام ، والحال مايتقلب فيه العبد من الفتوحات والتجليات والنعم ، فإذا ثبت حال أصبح مقاما والمقام هو الدرجة الثابتة فى الولاية الروحية ، وأعلى المقامات مقام الصديقين ، فإذا كان السالك فى مقام ، وأنعم عليه أو فتح الله عليه بزيادة أو بمعرفة أكثر مما هو عليه فى مقامه الذى هو عليه سميت بزوائد ، أو زيادات فى الإيمان والاسرار والحقائق الربانية ، حظى بها كنعم ، بل عطايا كسيدنا الخضر عليه السلام ، علمه الله (فى قصة موسى عليه السلام) من لدنه علما كخرق السفينة ، وهدم الجدار وقتل الغلام وأزاده الله علما بالأسباب والمسببات ، وهذه جميعا زوائد لأنها حقائق غيبية لم يحظ بها علما موسى ـ عليه السلام ـ ، رغم أنه نبى ورسول ، وكان الخضر عليه السلام على علم بها ، ويتفق الشيخ الأكبر محى الدين ابن عربى (٨) مع الأئمة أن الزوائد هى زيادات فى الإيمان بالغيب واليقين .



---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص . ٥٢٩ .

(٢) ابراهيم : ٧ (٣) الشورى : ٢٠

(٤) البقرة : ٥٨ . (٥) هود : ٥٧ .

(٦) النساء : ١٧٣ (٧) المدثر : ٣١ .

(٨) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفيه .

حرف السين

س

●●● السالك ●●●

السالك من سلك ، وقد وردت فى قوله تعالى : « الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا »[1] كما يقال سلك الطريق يسلك سلوكا ، أى دخل وذهب فيها[2] ويستعير الصوفية هذا المعنى وهو لفظ السالك إلى الله ، لأنه يسلك الطريق للحق تصديقاً لقوله تعالى : « لتسلكوا منها سبلا فجاجا »[3] ، وقوله تعالى) « ثم كلى من كل الثمرات ، فاسلكى سبل ربك ذللا[4] » .

فالسالك فى الطريق الصوفى ، هو العبد الذى تاب عن هوى نفسه وشهوتها ، واستقام فى طريق الحق ، بالمجاهدة والطاعة والإخلاص ، وكما يقول الشيخ الأكبر ميحى الدين ابن عربى[5] : « هو الذى مشى على المقامات بحاله ، لا بعلمه فكان العلم له عينا » ، أى أسقط التدبير مع الله وتوكله عليه بالكلية ، فقذف الله نورا فى قلبه ، وعلما إلهاميا فصار من أصحاب المقامات لمواهبه وصفاء سريرته ، وليس عن طريق التحصيل والنظر والدراسة ، حتى أصبح علمه كشفا وفتحا .

---

(١) طه : ٥٠ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٥١٤

(٣) نوح : ٢٠ (٤) النحل : ٦٩

(٥) الامام محيى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية ، جـ٢ ص : ٢

●●● السحق والمحق ●●●

يقصد أئمة الصوفية بالسحق ذهاب كثافة المادة التى تحجب الإنسان عن رؤيته تعالى ، فيبقى جسمه اللطيف ليرى أو يشاهد أو يعاين البقاء فى الله ، وهو بذلك يسحق عن تركيبه الكثيف ، فلا يبقى له حسا ولا وعيا لأنه قد ذاب عن جسمه المادى ، ولم يبق له شيء منه ، وأما المحق فإنه يلى مرتبة السحق ، فهو بعد تمام تغير التركيب الجسمى فلا يبقى للعبد شيء من وجوده بل ولا يشعر بشيء بحسه ووعيه لأنه فى حالة محق أو فى حالة فناء كلى ، أى أنه فى حجر الرحمن .

ويقول صاحب اللمع [١] أن المحق أسرع وأتم من السحق ، والذى يسميه محوا .

ويرى الشيخ الأكبر [٢] محيى الدين بن عربى أن السحق هو ذهاب التركيب البدنى تحت سلطان القهار تعالى ، وأما المحق فهو الفناء فى عين الله تعالى .

●●● السخاء والجود ●●●

السخاء والعطاء والجود من صفاته تعالى ، فهو الكريم على الإطلاق ، الكثير العطاء ، والإحسان على الدوام .

وقال الجنيد « الكريم الذى لايحوجك إلى وسيلة » ، وقال الحارث المحاسبى الكريم هو الذى لايبالى من أعطى ، لأنه سخى لايضيع أجر من توسل به ، ولا يترك من التجأ إليه ، وهو الذى إذا أذنبت اعتذر عنك ، وإذا هجرت وصلك ، وإذا مرضت عادك ، وإذا افتقرت أحسن إليك ، بنفسه وماله ، بل هو الذى إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه كيف لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله عنها [٣] .

---

(١) اللمع ص : ٤٢٢ .

(٢) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى كتاب اصطلاح الصوفية .

(٣) الامام القشيرى - التذكير فى التحبير ص : ٦٢ - ٦٣ .

ويرى أئمة الصوفية أن الله سبحانه وتعالى صاحب السخاء والجود ، ومن تشبه بالله فإنه يحسن إليه والحسنة بعشرة أمثالها ، بل إن الله يضاعف لمن يشاء لذلك كانت أخلاق السخاء والجود أخلاقهم تشبها بالله عز وجل ، ويرون أن هناك تفاضل بين رجال الأعمال فى السخاء ، والجود ، حسب استعداهم للسخاء والبذل والجود ، وعلى قدر هذا الاستعداد يكون الجزاء من الله [١] .

●●● السر ●●●

السر عند أئمة الصوفية [٢] هو الذى ينفرد به الأولياء والعارفون بالله مما أوضعه الله فى قلوبهم من الأسرار الإلهية ، والحقائق الربانية ، التى لا يعرفها غير أحباء الله ، ولذلك كانت هذه الأسرار مما يجب سترها عن العامة وعدم كشفها إلا لأهل الطريق من الأولياء خوفا على العامة من الافتنان أو فهمها بغير المقصود منها .

ولذلك يقول الجنيد [٣] عن الحلاج عندما فضح سرا أستودعه الله عنده وخصه به لقد فضحنا الحلاج » لأنه فشا بسر كان يجب أن يكتمه ، وكذلك الشيخ شهاب الدين السيروردى الذى أقيم عليه الحد ، وقتل بسبب إفشاءه لبعض أسرار الصوفية رغم أنه قد تنبأ بمصيره الذى سيلقاه فى قصيدته التى من أبياتها :

وأرحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر أن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

ويرى الشيخ الأكبر محيى [٤] الدين ابن عربى أن السر يطلق على أنحاء معددة فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم ، وسر المحال بإزاء معرفة مراد الله فيه ، وسر الحقية بإزاء ماتقع به الإشارة .

---

(١) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - الفتوحات المكية السفر الأول ص : ٣٦٤ .
(٢) د . محمد على ابو ريان - أصول الفلسفة الاشتراقية ص : ٣١ .
(٣) اللمع ص : ٤٣٠ .
(٤) رسال ابن عربى كتاب اصلاح الصوفية .

والسر عند الصوفية هو مالا يملك الإنسان له رقابة أو إشراف ، فهو ألطف من الروح ، كما أن الروح ألطف من القلب ، وأما سر السر فهو مالا يجوز أن يعلمه غير الله أو يطلع عليه غيره ، لأنه سبحانه انفرد به دون الخلق .

••• السفر والمسافر •••

السفر عند الصوفية هو سياحة روحية ، فلا يحج الصوفى للتنزه وزيارة البلاد وطلب الأرزاق ، وإنما سفره للحج والجهاد ، والجهاد هنا جهاد للنفس لأن فى الاغتراب إحساس بتغيير عوائد النفس ، فضلا عن مزيد من البعد عن الأولاد والأحباب ، لذلك يهتم الصوفية بالجهاد فيبيعون أنفسهم لله مجاهدين وصابرين ، وفى السفر لقاء بالصالحين ، ونصرة للمظلومين وطلب العلم ، وصلة للرحم .

والسفر وسيلة لمخالفة النفس [١] ، وتربية أخلاقية ، والصوفية لا يغتنمون فى السفر إباحة قصر الصلاة ، ولا إفطار رمضان ، وإن مشوا فى سفر يمشون بمشى أضعفهم ، وإذا جلس واحد منهم لقضاء حاجة وقفوا حتى ينتهى ، وإن تخلف أحدهم انتظروه .

والصوفية أهل أخوة وشجاعة ، لا يخافون فى الأسفار شيئا لأنهم يتوجهون بقلوبهم ونفوسهم جميعا إلى الله ، وكما يقول أبو يعقوب الصوفى : إن المسافر يحتاج إلى أربعة أشياء : « علم يسوسه ، وورع يحجره ، وجد يحمله ، وخلق يصونه » .

ويقول صاحب قوت القلوب [٢] إنه إذا سنح للمريد سفر فإنه فى الحديث : « البلاد بلاد الله عز وجل ، والخلق عباده ، فحيثما وجدت رزقا فأقم وأحمد الله عز وجل » والخبر المشهور « سافروا تغتنموا » وقيل سمى سفرا لأنه يسفر عن أخلاق النفس ، وفى الخبر أيضا « من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع » .

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص : ٢٥٢

(٢) أبو طالب المكى قوت القلوب جـ٢ ص : ٤٧٣ .

ويرى الصوفية أن السفر طلب للحلال . وتجنب للحرام ، ويشترط فى المريد الصادق فى السفر أن يكون مراعيا لهمه ، حافظا لقلبه من التشتت والطمع فى الخلق

والمسافر فى القرآن الكريم هو ابن السبيل الذى أوجب الله حقه فى الأموال لأن السبيل هو الطريق ، والذى يسير عليه هو أبنه أى سالك الطريق ، وصاحب الطريق ، ولذلك يسمى الصوفية السالك المريد الصادق ، ويسمى الشيخ « صاحب طريق » .

ويرى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى [1] « أن السفر هو توجه القلب إلى الحق تعالى بالذكر » ، كما يرى أن المسافر هو الذى يسافر بفكره فى المعقولات ، فيعبر الدنيا بما يسميه العدوة القصوى . كما يرى أن الطريق هو مراسم الحق تعالى المشروعة التى لا رخصة فيها .

ويحكى لنا صاحب قوت القلوب [2] عن رجل قال لبشر بن الحارس) « انى أريد سفرا ، ولكن منعنى ، أنه ليس عندى شىء » ، فقال له : « لا يمنعك العدم من سفرك ، وأخرج لقصدك فإن لم يعطك ما لغيرك ، لم يمنعك ما لك » . فالمسافر عليه أن يفرق بين سكون القلب إلى الوطن والسفر ، وبين سكون النفس إليهما

ويرى صاحب اللمع [3] أن هناك فرق بين سكون القلب وسكون النفس ، ويظن من لا بصيرة عنده أنهما لشىء واحد ، وبذلك يتلف المريد ، ذلك أن سكون القلب معناه صلاح الدين والآخرة ، ومحبة الحق ، فهو يسكن إلى أخلاق الإيمان وما ورد العلم به .

أما سكون النفس ففيه حظها فى دنياها وموافقة هواها ، ولذلك فعلى السالك أن يتحول من الوطن إلى الغربة ، كما يخالف نفسه ويرجع من الغربة إلى الوطن إذا كان فى سفر ، ومعنى ذلك أن السفر هو تربية للنفس ، ومخالفة هواها ، وذلك خوفا من الفتنة والهوى والبلاء والمحنة ، والذى لا يصلح قلبه ولم

---

(١) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى - جـ٢ اصطلاح الصوفية .

(٢) أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ٢ ص : ٤٢٣ - ٤٢٩ .

(٣) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٢٥٢ .

يستقم حاله فى وطنه فكذلك لا يصلح حاله ولا يستقيم قلبه فى السفر .

●●● السماع ●●●

يرى أئمة الصوفية أن السماع استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوى الشواغل [١] ومعنى ذلك أنه لا يسمع إلا فى حالة الوجد وهو غالبا مايكون فى مجالس الذكر عند الصوفية .

ويلاحظ أن أصحاب الطرق الصوفية يراعون فى السماع أن يكون المكان مناسبا بمعنى ألا يكون فى شارع مزدحم أو فى مكان مطروق .

كما يشترط فى السماع أن يكون المريد من أهل الطريق أما المنكرين ومدعى الزهد من أهل الدنيا فإنهم يستبعدون من هذه المجالس لما يسببونه من أضرار ومتاعب .

كما يراعى فى السماع تذوق المريدين فلا يسمح بحضور من يضرهم السماع [٢] من المريدين وأن يسمح لهم لأعمال أخرى مثل خدمة الأخوان والقيام بأعمال النظافة وغير ذلك ، ومن ناحية أخرى فإنه يراعى فى السماع المكان والزمان فلا ينعقد السماع فى أوقات الصلاة والطعام والخصام ، أو عند وجود شواغل أو عمل من الأعمال .

كما أنه يشترط فى حضور مجلس السماع ألا يكون المريد من أهل الهوى ليلهو وتغلب عليه شهوته ، ويضيع عليه طريقه ، ويشترط أن يكون المريد قد انكسرت شهوته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى .

وقد اتضح من البحث أن أصحاب الطريق يراعون فى السماع أن يكون المريد حاضر القلب ، مطرق الرأس متماسكا إلا إذا غلبه الوجد دون إختياره .

---

(١) الامام الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص : ١٦٠ - ١٦١ د . عبد الحليم محمود .

(٢) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين ص : ١١١٩ - ١١٨٢ الجزء السادس كتاب الشعب .

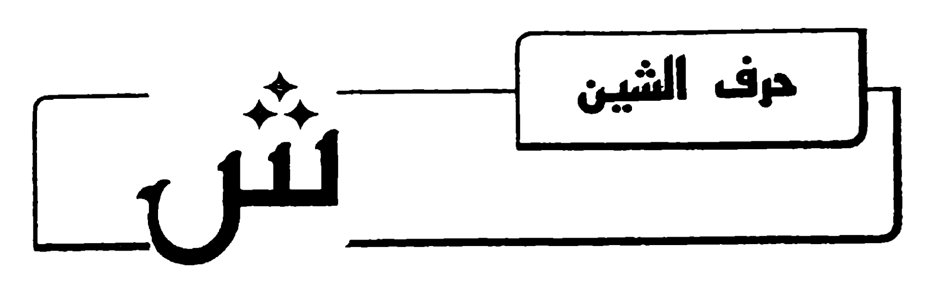
ويلاحظ أيضا أن الرقص والبكاء والصياح مباح عندهم فى مجلس السماع ويستند مشايخ الطرق على أن السيدة / عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تقف مع النبى ﷺ وقد شاهدت أهل الحبشة وهم يرقصون فى المسجد .

كما يستندون إلى أقوال أئمة الصوفية فى أن الوجد الحاد يصل إلى أن يضرب المريد بحربة وهو لا يدرى ، أو يمزق الثياب الجديدة ، أو يخلع عمامته ، أو يخلع ثيابه ، بشرط أن يحدث ذلك بغير تكلف أو رياء ، أو يزعق ، وغير ذلك .

والسماع يكون حراما عندهم إذا صدر من شاب تجلت عليه شهوة الدنيا فلا يحرك فيها إلا الشهوات ، يرى الإمام الغزالى أن السماع مباح ، إنما يحرم فى خمسة عوارض : أن يكون المنشد إمرأة ، الثانى أن يكون صبيا ، وذلك عند خوف الفتنة فقط من النساء ، والثالث إذا كان فى الشعر فحش وهجاء ، والرابع أن تكون الشهوة غالبة عليه ، والخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله .

كذلك فإن اللهو واللعب فى السماع يكون مباحا للعوام ، أما أصحاب المناصب كماشيخ الطرق ، أو من فى مراكزهم فيكون غير لائق أن يكون بالرقص واللعب واللهو فى مجلس السماع .





••• الشرب •••

تجلى من الله تعالى العبد الصالح ومنة الهية ، ومنحة ربانية وفيض رحمانى ففيه يتعرف المريد الصادق على بعض الحقائق التى كان يجهلها .

أحاط المريدون فى مجلس علم بالشيخ عبدالقادر الجيلانى وهو يتذاكر معهم ، ثم إذا به يصمت لحظة وينظر إلى السماء وينشد : [١]

لاتسقنى وحدى فما عودتنى أنى أشح بها على جلاسى
أنت الكريم وهل يليق تكرما أن يعبر الندماء دور الكأس

فالشرب شراب الحقيقة ، يتجلى الله به على بعض المخلصين الصادقين من عباده وينفرد به أصحاب الولاية والصالحين من أهل الحق كثمرة من ثمرات جهادهم ورياضتهم .

ولكن الشرب ليس أعلى التجليات ولا أدناها ، فهو وسط لها ، ذلك أن الشارب قد شرب لكنه لم يرتو بعد ، ولكنه ليس ظمآن بالاطلاق ، ذلك أن الله تعالى يشهده على علم الهامى فى حالة لم يكن عنده ، ولكنه مع ذلك يطلب المزيد من الأرتواء .

فالشرب بهذه المعنى يكون فى كل مرحلة من المراحل فى منازل الولاية ، أى من طريق الولاية الناقصة إلى الولاية الكاملة أو التامة ، فيشرب الولى فى حالة حتى يرتوى ويثبت فى مقامه ، حتى يأتيه حال آخر يرتقى إليه ، ليشرب حتى يرتوى ثم يرتقى مقاما آخر ، إلى أن يبلغ مقام الولاية التامة أو الكاملة .

---

(١) الشيخ الشطنوفى - بهجة الاسرار ومدن الانوار ص ١٠٠ مطبعة مصطفى البابى

●●● الشرود ●●●

من شرد به ـ أى فعل أمرا يجعل غيره ينفر أن يفعل مثله [١] ، ومنها شرودا وقد وردت فى قوله تعالى « أما تثقفنهم فى الحرب فشردنهم من خلقهم لعلهم يذكرون » [٢] .

والشرود هو نفور النفس من الرياضة والمجاهدة وعدم مخالفة حظوظ النفس للأرتقاء إلى الحقائق والتجليات ، وهى صفة يمكن أن تغلب على بعض السالكين ، نتيجة لنقص فى التربية ، عدم المداومة على الذكر فى أول الطريق والمعاناة والمكايدة تسبب الشرود ، فلما يتقدم المريد فى السن يشعر بذلك الذل وهذا الشرود ، بل ويطلب العون والمساعدة للتخلص مما ألم به من النكسات .

●●● الشريعة والحقيقة ●●●

فى اللغة [٣] الشريعة شريعة الله لعباده من الدين ، وهذا المعنى وارد فى قوله تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها [٤] ، أما الحقيقة فمن الحق وهو ضد الباطل والحق واحد غير متعدد والحقيقة ضد المجاز ، وهى مايحق على الرجل أن يحميه فيقال فلان حامى الحقيقة أى حامى الراية [٥] ، وقد ورد لفظ الحق فى قول عز من قائل « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته [٦] » وفى قوله تعالى « أما الذين آمنوا فيعلمون أن الحق من ربهم [٧] » كما ورد لفظ الحق والباطل فى قوله تعالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون [٨] » وكذلك « حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الخلق [٩] .
« أنا أرسلناك بالحق » [١٠] وقوله تعالى « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين [١١] .

---

(١) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٦٢١
(٢) الانفال : ٥٧ .
(٣) مختار الصحاح ص : ٣٣٥
(٤) الجاثية : ١٨
(٥) مختار الصحاح ١٤٧
٦) البقرة ١٢١
(٧) البقرة : ١٢٦
(٨) البقرة : ٤٢
(٩) البقرة : ١٠٩
(١٠) البقرة : ١١٩
(١١) البقرة : ١٤٧

ويرى الصوفية أن هناك رابطة وثيقة بين الحقيقة والشرعية ، ويقولون أنه لا حقيقة بلا شريعة ، ولاشريعة بلا حقيقة ، ويقول الشيخ الأكبر [١] محيى الدين بن عربى فى ذلك « أن كل علم عن طريق الكشف والالقاء (أى يلقى فى روع المؤمن) يأتى بحقيقة تخالف شريعة متوافرة ، فإن ذلك العلم وهذا الكشف لا يعول عليه ، أما إذا كان علم حقيقة يوافق شريعة فهو صحيح فإذا ردته الشريعة ، فلا يعول عليه » .

والشريعة علم واحد يدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ، فلا يجوز أن يجرد القول فى العلم بأنه ظاهر أو باطن لأن العلم متى ما كان فى القلب فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان فهو ظاهر [٢] .

علم الشريعة إذن ظاهر وباطن ، الأعمال الظاهرة فى عمل الجوارح كالعبادات والأحكام ، مثل الطهارة ، والصلاة ، والزكاة والصوم ، والحج ، والجهاد إلى غير ذلك وتسمى عبادات ، وأما الأحكام فمثل الحدود والطلاق ، والعتاق ، والبيع ، الفرائض والقصاص وغيرها وجميع ذلك أعمال للجوارح الظاهرة .

أما الأعمال الباطنة فهى أعمال القلوب وهى المقامات والأحوال مثل الإيمان ، والتصديق ، واليقين ، والصدق ، والاخلاص ، والطاعة ، والمعرفة ، والتوكل ، والمحبة ، والرضا ، والذكر ، والشكر ، والإنابة ، والخشية ، والتقوى ، والمراقبة ، والفكرة ، والاعتبار ، والخوف ، والرجاء ، والصبر ، والقناعة ، والتسليم ، والتفويض ، والقرب ، والشوق ، والوجد ، والحزن ، والندم ، والحياء ، والخجل ، والتعظيم ، والإجلال ، والهيبة .

ولا يستغن الظاهر [٣] عن الباطن ، ما لا تستغن الشريعة عن الحقيقة فالباطن والباطن أو الحقيقة علم مستنبط من الشريعة الظاهرة فالقرآن ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله ظاهر ، وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن .

---

(١) رسائل ابن العربى - رساله لا يعول عليه .
(٢) اللمع - ص : ٤٤ وما بعدها .
(٣) اللمع : ٤٤ .

●●● الشطح ●●●

فى لغة العرب بمعنى الحركة ، أى شطح يشطح إذا تحرك وفاض على جانبيه كالنهر الضيق فيفيض من حافيته إذا زاد الماء فيه ، وكذلك حال المريدُ إذا زاد وجده ، ولم يستطع حمل مايريد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، شطح ذلك على لسانه ، فيترجم عنه بعبارة غريبة ، تستشكل على مفهوم السامعين ، إلا إذا كان من المريدين الصادقين ، ويكون متبحرا فى هذا العلم ، وسمى ذلك على لسان أهل الاصطلاح شطحا[1] » .

ولقد من الله على قلوب أوليائه بالعلم والمعرفة ، وجاد الله تعالى على أهل صفوته بالمنن والعطايا وكشف لهم ما كان مستتر ، حسب مايسره الله به ، فكل واحد منهم ينطق بحقيقة وجده يعبر عن حاله ويصف ماورد على سره بنطقه وكلامه ، وليس لأحد أن يتهمهم ويوقع بين أوليائه ، ويحكم حسب عقله وفهمه مالا يستطيع له فهما وحكما « فالأولياء فى أوقاتهم متفاوتون وفى أحوالهم متفاضلون ومتشاكلون ، ومتجانسون بعضهم لبعض ، فإذا وصل السالك إلى المنة الألهية ، ووهبه بعض علمه فإنه يستطيع بما شرفه الله وفضله أن يتكلم فى المعارف الصوفية ، والمقامات والأحوال ، ولكن السلامة فى رفع الأنكار عنهم وأن يترك أمورهم إلى الله تعالى ويحسن الظن بهم لما يراه منهم من شطحات .

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2] « لو تعلمون ما أعلم » ، فالله خص الرسول بعلوم ثلاث ، علم أظهره للخاصة والعامة ، وهو علم الحدود والأمر والنهى ، وعلم خص به الصحابة دون غيرهم ، وهو العلم الذى يعلمه حذيفة بن اليمانى ، ولقد كان ابن الخطاب يسأله عن فضله وعلمه ويقول : « ياحذيفة !! هل أنا من المنافقين ؟ » ويقول على ـ كرم الله وجهه ـ « علمنى رسول الله ﷺ ـ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحد غيرى » وكان إذا إشكل على أحدهم شيء لجأ إلى على بن أبى طالب .

---

(١) اللمع ص : ٢١٣

(٢) اللمع ص : ٤٥٤

وعلم خص به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشاركه أحد من صحابته ، وهو العلم الذى قال : « لو تعلمون ما أعلم » .

ولذلك يجب أن لا يتطاول أحد ، ويظن أنه يعلم جميع العلوم فيخطىء برأيه فى كلام الخاصة ، وبفكرهم ، وهو لم يصل بعد إلى تذوق ماتذوقوه ، ولم يجارى بعد أحوالهم ومنازلة حقائقهم ومعرفة مقاماتهم .

ويقول السراج فى اللمع [١] « أن علوم الشريعة تنقسم إلى أربعة أقسام :
الأول : علم الحديث والرواية والآثار هو الذى يتناقله أصحاب الحديث .
الثانى : علم الفقه والأحكام وهو الذى يتناقله العلماء والفقهاء .
الثالث : علم الكلام وإثبات الحجج والرد على أهل البدع وهو الذى يتناول علماء الكلام .
الرابع : علم الحقائق والمجاهدات والاخلاص فى الطاعات وترويض النفس بالمخالفات وهو علم الصوفية .

فإذا أخطأ عالم الحديث لا يسأله أحد من أصحاب الفقه ، وإذا أخطأ الفقيه فلا يرده أحد من أصحاب الحديث ، وإذا أخطأ المتكلم ، فلا يرده أحد من أهل الحديث والفقهاء ، وكذلك إذا أخطأ أحد من الصوفية فلا يرده أحد من أصحاب الحديث والفقهاء والمتكلمين ، وإنما الذى يرده عارف مثله ، متذوق سار على نفس مشربه وذاق ماذاق .

كما يمكن أن توجد العلوم الشرعية عند الصوفى من حديث وفقة وكلام لأن علم الحقائق إنما هو ثمرة العلوم كلها ، بل وغاية هذه العلوم ، وهذا العلم لا بحر له لأنه علم قلبى علم المعرفة وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف وعلم الأحوال ، وعلم المعاملات ، وإذا إجتمعت هذه الأقسام الأربعة فى واحد فهو الإمام الكامل ، وهو القطب ، وهو الداعى إلى الطريق وهو صاحب الحجة .

ويروى [٢] عن على كرم الله وجهه « لا تخلو الأرض من قائم لله بحجحجه لئلا تبطل آياته وتدحض حجته ، أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله تعالى قدرا » .

---

(١) اللمع ص : ٤٥٨ .
(٢) اللمع ص : ٤٥٨ .

فإذا شطح أحد العارفين ، وهذا نادر لأهل الكمال ، لأنهم متمكنون فى معانيهم وإنما يقع ذلك للذين يكونون فى البدايات من العارفين ، وهم سائرين إلى طريق الكمالات ، وأن تكفير رجل من أهل الزهد والعبادة والعلم والمعرفة من أعظم الضلالات ، وإن أبا يزيد أتهم بقوله « سبحانى ماأعظم شأنى » ويجوز أن يكون قبل ذلك كلام يكمل بسبحانى ، كأن نسمع رجلا يقول « أنا فاعبدون » ولو سمعنا قوله « لا إله إلا أنا فاعبدون » وهو يحكى عن الله سبحانه ، ما أختلج فى قلوبنا شيء .

وكيف يفكر صاحب الشطح مع ورعه ، يقول ، ولا نعرف حاله فى الوقت الذى قال فيه ، وهل يجوز أن نحكم عليه إلا بعد أن تكون حالنا مثل حاله ، فليس من ذاق كمن لم يذق .

●●● الشكر ●●●

يقصد فى اللغة بالشكر عرفان الجميل ونشره [١] ، والشكر من الله لعباده مجازاتهم على أعمالهم الصالحة ، وأما شكر العبد لنعمة الله فيكون بنشرها ومعرفتها ، كما ورد فى قوله تعالى : « قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى [٢] » وقوله تعالى : « ومن شكر فإنما يشكر لنفسه » [٣] .

وأما أن يكون الشكر من الله فقد ورد ذلك فى قوله تعالى « ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرا عليما » [٤] وقوله تعالى أيضا « وكان الله شاكرا عليما » [٥] :

ويربط الله سبحانه وتعالى الشكر بالصبر فى قوله « إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » [٦] كما عرفنا الله سبحانه أن الشكر مقام عال لا يقدر عليه إلا القليل من الناس وذلك ورد فى قوله تعالى « أعملوا آل داود شكرا وقليل من

---

(١) معجم الفاظ القرآن ص : ١٣

(٢) النمل : ١٩

(٣) القمر : ٣٥ .

(٤) البقرة : ١٥٨

(٥) النساء : ١٤٧

(٦) ابراهيم : ٥ .

عبادى الشكور »(١) أى الكثير الشكر ، الذى يشهد نعم الله عليه .

والشكور إسم مَن أسماء الله الحسنى وصف لذاته تعالى وهو مبالغة من الشاكر ، والشاكر من له الشكر(٢) ، والشكر عند الصوفية وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع والإذعان ، فالله الشكور يجازى العبد على الشكر فسمى جزاء الشكر ، شكرا وجزاء السيئة سيئة .

والشكر عند الإمام القشيرى على أقسام إما شكر بالبدن فلا تستعمل جوارحك إلا فى طاعته ، وأما بالقلب فلا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته ، وشكر باللسان وذلك ألا تستعمله فى غير ثنائه ومدحه وشكر بالمال وهو ألا تنفقه إلا فى رضاه ومحبته .

يرى الأمام القشيرى أن ثمرة الشكر وأماراته الزيادة فى النعمة وذلك تصديقا لقوله تعالى » لئن شكرتم لأزيدنكم »(٣) .

ويقال عن العارفين والأولياء ، أن بعضهم يعبد الله على طريق الشكر كأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، ومنهم يعبده على طريق الأخلاص كأبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، ومن يعبده على طريق التوكل أو الصبر أو الخوف والرجاء وجميعها موصلة إلى منتهى غاية السالكين .

●●● الشهوة ●●●

الشهوة قسمان يختل بدونها البدن ، وشهوة لا يختل بدونها البدن واستخدمت الشهوة فى القرآن الكريم فى المواطن غير الممدوحة(٤) كما ورد فى قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات »(٥) وكذلك فى قوله تعالى « إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء(٦) » .

---

(١) سبأ : ١٣

(٢) التجبيرى فى التذكير – ص٥٧

(٣) ابراهيم ٧ .

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم .

(٥) آل عمران ٤ ١

(٦) الاعراف : ٨١ .

ويرى الامام أبو الحسن [١] الشاذلى أن للنفس مراكز شيطانية أربعة :

١ ـ مركز للشهوة وهو يقوم على المخالفات من معاصى وآثام واعتراضات .

٢ ـ مركز للشهوة يحارب الطاعات وذلك لعدم القيام بواجبات العبودية والطاعة لله والسير فى طريقه .

٣ ـ مركز للشهوة فى الميل إلى الراحات وذلك بمطاوعة النفس فى حظوظها .

٤ ـ مركز للشهوة فى العجز عن أداء الواجبات الشرعية .

فإذا أراد الانسان جهاد النفس ، فعليه أن يحكم عليها بالعلم ، فى كل حركة ، وأن يضربها بالخوف عند كل خطوة ، وأن يسجنها فى قبضة الله أينما كانت ، وأن يتجه إلى الله شاكيا عندما يغفل عن ذكره .

وأما الإمام أبو حامد [٢] الغزالى فيرى فى النفس قوى أربعة قوى شهوانية وقوى غضبية ، وقوى شيطانية ، وقوى ربانية ، ويمثل القوة الشهوانية بالخنزير ، والقوى الغضبية بالكلب فإذا اتجه الإنسان لطريق الشيطان ، تحركت فى نفسه قوة الشهوة ، أو قوة الغضب ، أما إذا اتجه إلى الاسترسال مع الله كانت القوة الربانية أو قوة العدل والعلم هى التى تسكن الشهوة والغضب جميعا ، فعندما تصل قوى الشهوة فى غير المباح يسلط عليها قوة الغضب فتطفئها ، أما إذا أثيرت شهوة الغضب فيسلط عليها الشهوة الخنزيرية لتسكنها ، وبذلك تتوازن قوى النفس وتستطيع قوة الحكمة أو القوة الربانية قياادة النفس الانسانية الى الصلاح والسير فى طريق الله .



---

(١) الشيخ الاكبر د . عبد الحليم محمود - ابو الحسن الشاذلى - اعلاء العرب ٧٢

(٢) الامام الغزالى - احياء علوم الدين جـ٨ ص١٣٤٢ - ١٣٦٠ ، مطابع الشعب .

حرف الصاد

ص

●●● الصبر ●●●

مقام من المقامات الرفيعة لأهل الله ، والصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة ، إذ أنه شجرة من أشجار الله ، كما أنه لا يتم إلا بحال قائم أى بغصن من أغصان الله وكذلك فإن الصبر لايتم إلا بعمل بثمرة من ثمار الله (١) ، فالصبر إذن نتاج المعرفة ، والحال والعمل تصديقا لقوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتكم » (٢) « فصبرا جميل » (٣) « أنه من يتق ويصبر » (٤) « وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا » (٥) « اصبروا وصابروا » (٦) « أن الله مع الصابرين » (٧) « وأصبر حتى يحكم الله » (٨) ، « واستعينوا بالصبر والصلاة » (٩) .

والصبر بهذه المعانى القرآنية غاية أهل الحق وتتركز آدابهم وأخلاقهم على الصبر لأنهم يرون أن الصبر من سيمات البشرية وصفة من صفات الإنسان ، لأن الانسان الصابر إنما يصبر على حال البلاء ، ويشكر على حال النعمة ، والبلاء فى الصبر أفضل لأنه أشق على النفس وأعز تصديقا لقوله تعالى « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١٠) .

الصبر إذن انتظار الفرج من الله ، ويقول بعض الصوفية أن الصبر أعظم الأفعال وأشرفها ، فهو فى رأيهم الارتفاع عن طلب الفرج فيكون الصبر فى الصبر وليس لطلب الفرج ، وعلى الصابر أن يستعين بالله ولا يستعين بغير الله حتى يجزل له العطاء بغير حساب فإذا ماتملك العبد الخوف فعليه بالصبر والصلاة .

---

(١) احياء علوم الدين جـ٢ ١-٣١٧ وما بعدها .
(٢) الرعد : ٢٤
(٣) يوسف : ١٨ ، ٨٣ .
(٤) يوسف : ٩٠
(٥) الكهف : ٦٨
(٦) عمران : ٢٠٠
(٧) البقرة : ١٠٣
(٨) يونس : ١٠٩
(٩) البقرة : ٤٠ ، ١٠٢
(١٠) الزمر ١٠

●●● الصدق ●●●

الصدق هو الكامل من كل شيء [١] ومنها الصديق والتصديق والصدقة والصداقة والصادق وقد وردت آيات كثيرة فى هذه المعانى منها قولُ عز من قائل : « إن لهم قدم صدق عند ربهم [٢] » وقوله تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا [٣] ، كما وردت فى قوله تعالى « وكذب بالصدق إذا جاءه [٤] » كما وردت أيضا « قل صدق الله [٥] » وكذلك « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبينَ [٦] ، وقوله تعالى « أولئك الذين صدقوا » [٧] وكذلك « أنه كان صادق الوعد » [٨] وأيضا « أولئك هم الصادقون [٩] « الصابرين الصادقين » [١٠] أنه كان صديقا نبيا [١١] « أولئك هم الصديقون » [١٢] ومن أصدق من الله حديثا [١٣] » « فلو لا تصدقون [١٤] وأهم ما يلقن المريد فى الطريق الصوفى الصدق فلا صلاح بدونه ولايرجى منه فائدة بغيره .

ويرى الحكيم الترمزى أن [١٥] الصدق يتعلق بناحيتين أحدهما عقلية وأخلاقية وبهذا يدخل الصدق فى شعبة العدل الذى هو من شعب المعرفة ، ومن ناحية أخرى يتعلق الصدق بالناحية الاجتماعية فيضم بين جنباته أيضا جانبا كبيرا من شعبة الحق .

وبهذا المعنى يكون الصدق عند الحكيم الترمزى الصورة المتطورة للمعرفة والتى تبدأ من الحق ثم تتدرج إلى أن تصل إلى الصدق نفسه بعناصره ومقوماته ويحدد الحكيم مقومات الصدق فى ثلاث :

---

(١) الاستاذ عبد المجيد الحسينى - المعرفة عند الحكيم الترمذى ص : ٣١٠ - ٣١٤ .
(٢) يونس : ٩٣ .
(٣) الانعام : ١١٥ .
(٤) الزمر : ٣٢ - ٣٣ .
(٥) آل عمران : ٩٥ .
(٦) النمل : ٢٧
(٧) البقرة : ١٧٧
(٨) مريم : ٥٤ .
(٩) الحجرات : ١٥ .
(١٠) آل عمران : ١٧
(١١) مريم : ٤١ ، ٥٦ .
(١٢) الحديد ١٩
(١٣) النساء : ٨٧ .
(١٤) الرعد : ٥٧ .
(١٥) عبد المجيد الحسينى المعرفه عند الحكيم الترمذى ٣١٠ - ٣١٤

أولا : المثل العليا :

وهى الأخلاق التى نحاول أن نتخلق بها جميعا عن طريق التأمل فى كل مثل من الأمثال العليا ، ويختلف إنسان عن آخر حسب قدرته واستعداده وحياته فى هذه المثل ، وأكثر الناس حظا من الصدق أكثرهم حظا من التأمل فى المثل والتعرف على خصائصها الأساسية وقمة هذه المثل أسماء الله الحسنى ، وهى أخلاق عليا جعلها الله مائة وسبعة وعشر ، خلقا وهى جميعا تعد الفرد للحياة فى المجتمع لأن الرحمة والبر والعطف ، والعدل ، هى مثل للفرد بل وخلق إجتماعى بطريق غير مباشر فهى جميعا تسابق فى الفضل والمروءة .

ثانيا علم الأسرار :-

والعنصر الثانى هو علم الأسرار أو علم الله ، وموضوعه الأصول الميتافزيقية التى يقوم عليها الصدق وهى أصول إلهية فهو العلم بالله والغيب وهى أصول اليقين والايمان الذى يصل بين الحياة الأعتقادية ، والحياة الأخلاقية ، للإنسان غير أن الجانب الميتافزيقى فى شعبة الصدق لا يقوم على الشك ولكن يقوم على اليقين فالايمان يسبق المعرفة دائما أو هو الذى يقود المعرفة .

ثالثا البصيرة :

وهى العنصر الثالث من مقومات الصدق ويعتمد العنصران السابقان عليها وتعمل فى ميدانين الأول يتعلق بالأسرار من يقين أو إيمان بالغيب أما الميدان الثانى يتعلق بالبصيرة وهو المقصود فى عالم الأسرار ، وعندما تعمل البصيرة فى هذا الميدان إنما تكون نوعا من الفراسة .

فالعارف يستطيع بالفراسة أن يتمثل الصورة الأخلاقية والأجتماعية التى تجتمع عليها الجماعة وعلى قدر بصيرته واستعداده الصدق ، على قدر تكشف هذه الصورة له .

والبصيرة هى ملكة تكون فى العارف ، أو هى الملكة التى يتحقق بها الصدق ، وهى كذلك طريقة الادراك التى تصل بينها وبين موضوعها وسواء كانت ملكة أو طريقة إدراك فأمرها أمر الصدق فى إنها تختلف فى درجتها وقوتها من إنسان إلى آخر ، فهى ملكة ذاتية وطريقة ذاتية قبل كل شىء ، وإذا قلنا البصيرة أو الصدق فإنما نعنى بهما البصيرة والصدق على أشدهما وفى أعلى درجاتهما .

●●● الصعق ●●●

هو الغشية أو الذهاب أو الفناء [١] وذلك من مطالعة أنوار الحقائق ، فالصعق دهشة ، وسكر ناتج من تجل أسرار الله على قلب العبد الصادق ، وذلك فى حال المشاهدة ، وذلك تصديقا لقوله تعالى « وخر موسى صعقا » [٢] ، لهول ما رأى من أنوار الله ، فعندما تجلى الله للجبل جعله دكا فغشى على موسى عليه السلام ، وهذه الغشية تسمى بالصعق .

فالسالك إلى طريق الله عندما يصل إلى مقام الفناء وقبل أن يفنى عن نفسه وعن فنائه « فناء الفناء » يقال فى هذه اللحظة التى فيها أنه قد صعق وذلك من مشاهدة الأنوار الربانية [٣] .

●●● الصفاء ●●●

هو البعد عن المذمومات ، وإماتة الشهوات ، فالصفاء مرآة القلب الطاهرة التى عليها الحقائق ، بعد التخلص من آفات العادة والطبع الردىء .

والصفاء عدم الركون لطلبات النفس من الفتوحات والكشوفات والتجليات ، وإنما طهارة النفس بلا ملاحظة واهتمام ، وكما يقول الحريرى : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، أى أن انشغال العبد بصفائه واهتمامه بتنقية قلبه إنما هو جفاء ، أى بعد عن الصفاء ، لأنه فى هذه الحال يكون مريدا للأحوال والمقامات ، راغبا فى الكمالات ، وهذا انشغال برؤية العقل ، عن الطاعات والواجبات .

وبذلك يصل إلى درجة عليا من الصفاء وهو صفاء الصفاء فتتضح له الأسرار ويكشف الحقائق بدون حجاب المحدثات والممكنات ، أى يشاهد الحق بالحق ، وليس هناك حاجزا حسى أو مادى كما لا يوجد هناك علة وسبب فى الاتصال وإيصال بالله لأنه هنا وصل بعد مفارقة الطبع والعادة والفعل والعمل [٤] .

---

(١) راجع الغشية والذهاب والفناء بالكتاب .

(٢) الاعراف : ١٤٣ .

(٣) رسائل ابن العربى - جـ٢ كتاب اصطلاح الصوفية ص١٣

(٤) السراج الطوسى اللمع ص : ٤١٤ - ٤١٥

●●● الصفة ●●●

يصف بعض أئمة الصوفية الله سبحانه فيقولون ، أنه تعالى لا صفة له ، أى لا كيفية له ، ولا يمكن إدراك حقيقة وصفه حتى يكتب ويصور كالمخلقوين ، وفعله تعالى لا علة له فلا باعث ولا هدف ولا غرض يمكن أن يقرن بأفعال الله لأنه سبحانه يجل عن كل وصف ويرتفع عن كل تصوير .

أما الصفة فهى التى تلحق بالمخلوقات ، وبالعالم وبكل شىء ، من صنيع الله وخلق الله ، فكل شىء له اسم وفصل ونوع ، له صفة متعلقة به ، كالعالم ، والإنسان والموجودات جميعا .

ويرى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى الصفة هى لشىء ما مطلوب معرفة معناه [١] وهذا بخلاف الله تعالى الذى يعجز عن إدراكه ، فمهما بلغ الانسان من التقدم والعلم فلا يمكن أن يعرف كنهه تعالى ولا صفته تعالى . لأن الله لا يظله فوق ، ولا يقله تحت ، ولا يقابله حد ، ولا يزاحمه عند ، ولا يأخذه خلف ، ولا يحده أمام ، ولم يظهره قبل ، ولم يفنه بعد ، ولم يجمعه كل ، ولم يوجده كان ، ولم يفقده ليس [٢] .

●●● الصمت ●●●

الصمت سكوت وفى وقته صفة من صفات الرجال ، كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال .

ويورد صاحب الرسالة القشيرية حديثا للرسول ﷺ فى معنى الصمت عندما سأله عقبة « يارسول الله ، ما النجاة ؟ قال أحفظ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وإبك على خطيئتك [٣] » .

والصمت من آداب الصوفية وأخلاقهم ، فلا يتكلمون إلا لسبب ،

---

(١) الإمام محيى الدين بن عربى رسائل بن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية ص١٧

(٢) الامام عبد الكريم القشيرى - الرسالة القشيرية جـ١ ص٢٩ - بالهامش .

(٣) المرجع السابق .

ولا يسكتون إلا لحكمة ، وفرق بين عبد يسكت تهاونا وكذبا وغيبة ، وعبد يسكت لاستيلاء سلطان هيبة الله عليه وخوفه أن يقع فى معصية .

وربما كان السكوت والصمت للمريد الصادق بسبب كشف أو فتح أو فيض إلهى ، فيعجز عن التعبير والكلام ، فيخرس لسانه ، فلانطق ، ولا كلام ، ولا حس .

ويروى عن بشر بن الحراث ـ رضى الله عنه ـ قوله : « إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت فتكلم » ، وهذا معناه مخالفة النفس وترويضها وتأديبها ، وقال بعضهم : تعلم الصمت ، كما تتعلم الكلام ، فإن كان الكلام يهديك فالصمت يقيك » والصوفية ترى فى الصمت لسان الحليم ، لأن عفة اللسان صمته ، كما أن صمت العوام بألسنتهم أما صمت العارفين فبقلوبهم .

ودعى إبراهيم بن أدهم ـ رضى الله عنه [١] ـ إلى مأدبة ، فجلس ، فأخذ القوم فى الغيبة والنميمة فقال : « عندنا يؤكل اللحم بغير الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم » ، وهذه إشارة لقوله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميت ، فكرهتموه [٢] .

••• الصمدية •••

ينفرد بعض الأئمة باستخدام ألفاظ صوفية لم يسبقهم أحد إليها ، وإن كانت تستخدم قبل ذلك بهدف آخر ، ومن تلك الألفاظ مايستخدمه الشيخ شهاب الدين السهروردى المتقول وهو إمام الإشراقية الإسلامية [٣] مثل لفظ الصمدية .

ولفظ الصمدية [٤] من الصمد وهو الباقى الذى لا يزول وقيل الدائم ،

---

(١) الامام القشيرى - الرسالة القشيرية الجزء الاول ص : ٢٩٩ وما بعدها

(٢) الحجات : ١٢

(٣) الشيخ شهاب الدين السهر وردى - هياكل النور ص : ٩٤ تحقيق وتعليق د . محمد على أبو ريان .

(٤) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص : ٨٠ تحقيق د . ابراهيم بسيونى .

الذى لا يطعم وقيل أيضا الذى يصمد إليه فى الحوائج ، ويقصد إليه على الدوام بالاحتياج إليه ، فالكل مفتقر إليه ، وهو لا يفتقر إلى أحد .

وقال بعضهم الصمد الرفيع من كل شىء ، ووصفوا السيد فيهم والشجاع بالصمد [١] ، ويستخدم السهر وردى [٢] صمدية بمعنى تامة كاملة غير منقسمة الأجزاء ، متحدة فى مواضعها ولكنه يربط هذا اللفظ بمعنى أرسطى عندما يستعير الهيولى والصورة فالهيولة هى المادة التى لا شكل لها ولا كمال وإنما تكتمل بالصورة ، كما يطبع الخاتم على الشمع .

والصمد واردة فى قوله تعالى : « الله الصمد [٣] » .



(١) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص . . . . مجمع اللغة العربية .
(٢) الشيخ شهاب الدين السهر وردى - هياكل النورس ٩٤ تحقيق د . أبو ريان .
(٣) الاخلاص : ٢ .

حرف الطاء

ط

••• الطاعه •••

إن النفس الإنسانية بما جبلت عليه من حب المعاصى تنقاد إلى اللذة لأن فيها رضاها وسرورها وحظها ، ومتعتها ، كشرب الخمر والزنا ، وفعل المحظورات ، وهذه الأفعال التى تميل إليها النفس هى ظاهرة جلية ، يحكم بها على صاحبها بالخروج عن الشريعة ويتهم فى دينه ، ويمكن أن يقتص منه إذا ماأبدى فجورا ظاهرا وفسقا جليا .

فالمعصية فى الفاجر والفاسق والكافر ظاهرة واضحة جلية ، أما الطاعة ، فهى غير واضحة ، بل خفية ، إذ يظهر على بعض الناس مظاهر الورع والخشوع والتقوى والتقرب إلى الله ، وذلك بالصلاة والصوم والتزهد الظاهر فى مباهج الحياة العامة ، وهذا الشخص يخفى بين أضلاعه قلبا مظلما ونفس أمارة ، وميلا إلى العدوان ، وحقدا على من حوله .

وهذا الشخص يتستر بالطاعة ليعبر بها عن تقواه أمام الناس ، أما قلبه فهو منشغل بغير الله ، يقوم فى ظاهره بالطاعات وعمل الحسنات ، أما باطنه فهو مهتم بإقبال الناس عليه والثناء له ، فهو يرغب فى الظهور والشهرة ، ووصف الناس له بالصلاح والتقوى ، فيرضى فى باطنه بالمديح ، ويتألم ويقلق ويحزن إذا لم يمتدح على مايفعله من طاعات أمامهم ، بل يهاجم ويعتدى على من يقصر فى تبجيله ، ومن لم يسرع إلى خدمته ، ومن لم يهرع إلى استقباله واحترامه .

أنه يُعتبر نفسه مستحقا لثناء الناس ومدح الناس ورضى الناس ، وهذا فى واقع الأمر داء عضال ، مما يصعب معه العلاج والشفاء لأن كل ماهو مستتر يصعب معرفته ، وعلاجه لأنه يحتاج إلى دقة وبصيرة وإدراك عميق ، ومعرفة بخفايا النفس وخواطرها الشيطانية . فالفاسق والعاهر والفاجر يمكن الحكم عليهم عن طريق التعرف على سلوكهم ومظهره وكلامه وأقواله وأفعاله ، أما

مدعى الولاية والايمان ، والصلاح فإنه يظهر غير ما يبطن ، وأن مايظهره هو مايفرضه الله تعالى من الحلال والحرام فى العبادات وصالح الأعمال ، فلا يكشف أمره بسهولة ولا يتعرف أحد على دخيلة نفسه ومقصده إلا بطول تأمل وتفكير لأن ذلك من نوع الرياء الخفى الذى يستغلق على كثير من الناس ، فيقصد بطاعته الظاهرة توفير الناس له والثناء عليه فى علمه وفضله ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه والعمل على تلبية طلباته ومتطلبات حياته ، ويغضب على من يقصر فى حقه لأنه يعتبر أن ذلك جهل بمقامه وأحباط لقدره الذى يستحقه ، فنفسه مغترة غرورة متكبرة ، متجبرة ، يشارك الله سبحانه وتعالى فى جبروته وفى ملكوته ، وربما تطاولت نفسه وهذا حالها إلى التوعد والوعيد بعقوبة من يقصر فى حقه بدعوى أنه قريب من الله تعالى وأن غيره عارف بقدره عالم بقربه من الله .

وهذا الرياء الخفى يدخل إلى النفوس مثل دبيب النمل ولا يسلم منه إلا العارفون بالله الذين لا يخلصون إلا الله ولا يطيعون إلا الله ، فقد غاب نظرهم عن رؤية الناس بما أودعه الله فى قلوبهم من نور اليقين ، فلا يطلبون من الناس مصلحة أو منفعة ولا يرجون منهم خدمة ولا يخشون منهم مضرة ، وإنما أعمالهم خالصة لله سبحانه وتعالى وأن كانت ظاهرة للناس أجمعين .

فالطاعة هنا إنما هى ليست بإظهار التقوى والورع وإنما هى فى إخلاص والاجتهاد فى تجنب الرياء عن القلب .

لذلك فإن أصحاب الحقيقة يشاهدون أنفسهم ويتهمون نفوسهم إذا مالت إلى عبادة من العبادات ، ويخافون إذا رأوا فى أنفسهم سعادة وحظا وسرورا ، مما يقومون به من الطاعات ، فإذا ما وجدوا ذلك فى نفوسهم تركوا هذا النوع من الطاعات والعبادات والمجاهدات ، ومثال ذلك أن [١] بعض الصوفية وجد نفسه تبغى الخروج إلى الغزو وتأملها فوجدها ترجو لذتها فى هذا ، وعند ذلك إستخار هذا العبد الصالح ربه أن يلهمه الحق والصواب ، فقال : ياربى أرشدنى إلى مقصد نفسى فإنى أرانى متهما لها ؟ عند ذلك راجع نفسه وفتش عما فيها من آفات ، فإذا به يراها تريد السفر للغزو من أجل الراحة والإستقرار ، من تعب المجاهدات والرياضيات إذ أنه كل يوم يقتلها مرات ومرات ، وذلك بمنعها عن شهواتها ، فقررت هذه النفس أن تقتل مرة واحدة ، وذلك بالجهاد فى سبيل الله

---

(١) الشيخ عبد الحميد الشرنوبى الازهرى - شرح تائية السلوك الى ملك الملوك ص : ٧٢ .

لتستريح من هذا التعب المضنى والمجاهدة اليومية والمنع والحظر والترويض ، والتأديب والتربية .

ولما علم هذا العبد الصالح ذلك عن نفسه ، رفض السفر للغزو والجهاد واشتغل بتربية نفسه وتأديبها ، أى من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وإذا حكمنا بميزان الظاهر على هذا العبد أدين لتكاسله عن الغزو أما إذا ماتم الحكم عليها ظاهرا وباطنا وجدناه سائرا فى طريق الله يبغى الثواب الأعظم [١] .

فالشريعة والحقيقة صنوان لابد لأحدهما من الآخر ، أما إذا أظهر الانسان الطاعة الظاهرة بلا طاعة باطنة فإن ذلك معناه أنه خرج عن طريق الله لأنه قد وقع فى الرياء الخفى ، لأن تطلع الانسان وميله لإظهار الناس بطاعته وخصوصيته التى خصه الله بها من الأعمال الصالحة دليل على عدم صدقه فى عبوديته لأن العبد الصادق لا يهتم بالآخرين ، ويكتفى بأن يعلم به رب العالمين ، ومن أحب بأن يعرف الناس فضله وعمله فهو مراء ومن رغب فى أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب ، إذ أن المؤمن الحقيقى هو الذى يخفى حاله ويجتهد فى أن يجتهد فى أن لا يذكره للناس وأن يبلغ فى كتمانه أقصى مالديه من قوة .

والإنسان الذى يعصى الله أخف ضررا من هذا المرائى لأن العاصى إنما هو ظاهر للناس ، ويمكن أن يقام عليه الحد ويمكن أن يتوب ، ويرجع ، عن آثامه وأخطائه ، وأما مريض القلب الذى يظهر غير مايبطن فهو أكثر نفاقا وكذبا ورياء من العاصى فهو يستظهر الطاعات والأعمال الصالحات ويبطن الكفر والفسوق والعصيان .

والطاعة مسابقة بين العباد فى الظاهر والباطن ، فكما أن بين الناس إختلافا واضحا فى الطاعات الظاهرة ، فإن بينهم أيضا إختلافا واضحا فى الطاعات الباطنية ، فإذا طلب الإنسان أعلى الدرجات ، فعليه أن يجتهد حتى لايسبقه أحد بطاعة الله ، وقد أمر الله تعالى بالمنافسة والمسابقة فى الطاعات إذا قال تعالى

---

(١) الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الازهرى - شرح تائية السلوك الى ملك الملوك ص : ٧٢

« سابقوا إلى مغفرة من ربكم »[1] وقوله تعالى « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »[2] .

فالطاعة عند أهل الحقيقة منافسة شريفة صادقة للتقرب إلى الله إلى أن يصل العبد إلى الثبات فى المرتبة فتتلاشى مشيئته فى الله وعند ذلك تصبح نفسه سلسلة ، سلمت واستسلمت وأصبحت فى طاعة القلب وسلطانه ، وأصبح خاشعا لله ، لذته فى حبه صادقا وفيما يرد عليه من أنوار المنة الإلهية[3] .

والطاعة هى عدم الغفلة عن ذكر الله وهى فى نفس الوقت عدم المخالفة والاعتراض ، فهى إيجابية وسلبية فى آن واحد ، بمعنى وجوب طاعة الله ، وسلب الإعتراض من النفس على أحكام الله وسنة رسوله ، فإذا اعترض مسلم على أمور أباحها الشارع سيدنا محمد ﷺ ويقول « لو كان الحكم لى ما أبحتها بل حرمتها وحجرتها » .

وهذا الاعتراض هو ترجيح نظره على شارع وهو جهل منه لأنه يغضب إذا فعل الناس المباح من الأفعال ، بل أنه ضلال وسوء أدب مع الله .

فالطاعة واجبة للرسول ﷺ وهو القطب الممد لجميع الأقطاب من الأولياء فهو لا ينطق عن الهوى ، ولا ينسى شيئا مما أمره الله بتبليغه إن هو إلا وحى يوحى :

وإذا كانت الطاعة فى الفرائض والتكاليف واجبة عند أهل الظاهر والباطن نظرا لأنه جاء بها الوحى فنأخذها بلا ميزان ، لأنها من يد الرسول ومن القرآن إلا أن ماجاء بلا واسطة يجب أن نأخذه بميزان ، فالعلم الإلهامى ، كالرؤيا مثلا تختلف عن القرآن والسنة فى التسليم بها والعمل وذلك لأن هذا العلم يجوز أن يكون إختبارا من الله أو امتحانا لا يأمن العبد من المكر فيه ، أما ماجاء به الرسول هو مرسل ليبين الناس الطاعات المحرمات فنحن به آمنون من مكر الله .

---

(١) الحديد ٢١

(٢) المطففين : ٢٦

(٣) الامام عبد الوهاب الشعرانى - اليواقيت والجواهر ص : ٤٣ - ٤٥

لذلك فإن أهل الباطن يرون أن طاعة المريدين لشيوخهم واجبة لأنهم إنما يأخذون عن الشارع ، لذلك ترى المريدين يبالغون فى احترام مشايخهم حتى أنه ليؤثر عن ذى النون المصرى قوله « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه [١] » .

وتفسير قول ذى النون من وجوب طاعة المريد لشيخه ليس طمعا فى إجلال الشيخ وإنما إحساسا ـ من الشيخ ـ أن المريد مسئولية وواجب ملقى على عاتقه ، فهو بمثابة المدرب الذى يعلم الصبى العوم ، لذلك فإن طاعة الصبى له واجبة وإلا غرق وفات وقت إنقاذه .

لذلك واجب على الصبى أن ينفذ تعاليم مدربه ولو وجدها على غير ما اعتاد عليه وماعرفه ، أو أنها تخالف إرشاد من سبق له تعليمه ، فربما مايرشد عنه أو ما يلقنه له لحكمة يعلمها وهو الخبير بفنون البحر المدرك لأغواره وأمواجه .

فإذا ركن الصبى أو السالك إلى تعلميات أو أوامر أعلى فإنه ربما يغرق أو لايشق طريقه بنجاح ، لأنه لم يتعلم الطريقة المثلى لفن السباحة ، وذلك لأنه ربما تلقى تعليمات أو أوامر أعلى من مستواه ، أو مقصود بها غيره ، أو لا تصلح لحالته ، ومن ناحية أخرى [٢] ينظر الصوفية إلى عمل الطاعات ، بعدم فهم أو بجهل على أنها من أضر المعاصى ، وأكبر المخالفات ، فى حين ينظرون إلى عمل المعاصى بجهل على أنها أخف فى الضرر من عمل الطاعات بجهل ، لذلك كان واجب الشيخ أن يحذر ويبين ويوضح الطاعات والمباحات والمحرمات حتى يتضح الطريق أمام المريدين فلا ينزلقوا إلى المحظورات وهم يؤدون الطاعات ، ولذلك يقول الشيخ الكرمانى « أعلموا الطاعات أنزه مايكون ، وانظروا إليها أقذر مايكون » [٣] فالخوف كل الخوف أن يقوم العبد بالطاعات ، ويرضى عن نفسه ويستشعر لذة قيامه بها على أكمل مايكون فيتملكه الغرور وتكبر نفسه عنده ، فيسرع إليها الفساد والعطب والتلف .

---

(١) نيكلسون - التصوف الاسلامى - ترجمة د . أبو العلا عفيفى ص : ١٩

(٢) الشيخ السلمى - طبقات الصوفية - كتاب الشعب العدد ٩٢ ص : ٤٤ .

(٣) المرجع السابق .

••• الطريق والطريقة •••

لا يفرق صاحب قوت القلوب [١] بين الطريق والطريقة ، ويرى أن السنة المباركة اسم من اسماء الطريق بل اسم للطريق الأقوم فيقال عند الصوفية طريق وطريقة ، وسنن وسنة وحجة ومحجة .

والطريق بهذه المعنى هو السنة المباركة وفضائلها إنما تكون فى التقلل من الدنيا فى كل شىء ، والقناعة من الله بأدنى شىء والتواضع لله فى كل شىء .

فالطريق إذن تواضع فى القول والعمل والزى والأثاث والمنزل فإذا كملت فالمريد متواضع ، كما أن الكبر ضد التواضع والطريق كذلك ورع عن الشبهات والمشكلات من العلوم والأعمال ، فلا يقدم المريد على الشبهات بنطق أو عمل لا يعتقد نفيها ولا إثباتها ، بل يكون اعتقاده تسليما وتصديقا لله عز وجل مما تشابه من الأمور يسكت عنه ، ويسلم به وهذه هى أخلاق الراسخين فى العلم ، فالتسليم ايمان ، تأييدا لقوله تعالى وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » [٢] .

ومن آداب الطريق ترك شهوات النفس وهى أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها ، وذلك خوفا من التطبع بالعادات السيئة ، واعتياد النفس عليها فلا يمكن ضبطها .

ويروى الإمام أبو طالب المكى قصة من الاسرائيليات عن الرجل الذى تزوج بامرأة من بلدة بينه وبين أهلها مسيرة شهر فأرسل غلامه ليحضرها إليه ، فسار بها يوما ثم أتاه الشيطان وقال له :ـ إن بينك وبين زوجها مسيرة شهر ، فلو تمتعت بها فى ليالى هذا الشهر ، إلى أن تصل إلى زوجها ، فإنها لا تكره ، بل تثنى عليك عند سيدك ، ثم قام الغلام يصلى « فقال يارب » إن عدوك جاءنى فسول إلى نفسى معصيتك وإنى لا طاقة لى به لمدة شهر كامل ، فاعنى عليه ، وأكفيني مؤنته ، فلم تزل نفسه تراوده ليلته وهو يجاهدها ، حتى جاء آخر الليل فشد على دابة المرأة وسار بها فرحمه الله ، وطوى له مسيرة الشهر ، فلما اشتشرق

---

(١) الامام ابو طالب المكى - قوت القلوب ص : ٢٨٢ جـ٢ .

(٢) الأحزاب : ٢١

الفجر ، حتى وصل إلى سيده فشكر الله على هربه إليه من معصيته ، ثم أنعم الله عليه فكان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل »[١].

هذا هو الطريق مخالفة النفس وترك حظوظها ، والالتجاء الى الله ظاهرا وباطنا ، حتى يمن عليه برحمته ويفاض عليه برضوانه .

ويرى الإمام أبو الحسن [٢] الشاذلى أن الطريق هو العقيدة إلى الله تعالى أى الإسترسال مع الله ، ومن أجتاز طريق الله فهو من الصديقين المحققين والصديقية هى المرتبة الرابعة التى يسمى الإمام الغزالى أصحابها بالأولياء الكمل ، ويتفق الإمام أبو الحسن مع الإمام الغزالى فى عدد منازل الأولياء فيقول أنها أربعة من حازها فهو من الصديقين ، ومن حاز على ثلاثة منها فهو من الأولياء المقربين ، ومن حاز على اثنين منها فهو من الشهداء الموقنين ، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

فالطريق إلى الله أوله الذكر ، وبساطة العمل الصالح ، وثمرته النور ، وثانيه التفكير وبساطه الصبر ، وثمرته العلم ، والثالث الفقر فى الله ، وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه ، وأما الرابع فهو الحب ، وبساطه بغض الدنيا والشهوات وثمرته الوصول إلى المحبوب .

وراضح أن تعريف الطريق عن الامام ابى الحسن هو تعريف التصوف الاسلامى بكامل هيئته ومعناه ومغزاها وفى ذلك يقول أبوالحسن رضى الله عنه الصوفى اربعة أوصاف [٣] :

١ ـ التخلق باخلاق الله عز وجل .
٢ ـ المجاورة لأوامر الله .
٣ ـ ترك الانتصار للنفس حياء من الله .
٤ ـ ملازمة البساط بصدق البقاء مع الله .

---

(١) الامام ابو طالب المكى - قوت القلوب ص : ٢٨٥ جـ٢
(٢) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى ص : ١٢٩
(٣) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى - ص ١٢٩

••• الطمس •••

يقصد بالطمس لغويا [١] الشيء البعيد ، فإذا غطى الشيء لا يرى ، أو درس ، واخفى اثره ، أو مسخ ، أو ذهب عن صورته ، قيل أنه طُمس ، ويقال أيضا طمس الطريق [٢] .

وقد ورد بهذا المعنى قوله تعالى « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم » [٣] وقوله تعالى « ربنا أطمس على أموالهم » [٤] أي غير حالهم وذلك بذهاب ابصارهم ، وأموالهم .

وهذا هو نفس المعنى الصوفى فلقد قال الامام الجنيد شيخ الطائفة لأحدهم : وأنت فى سبل ملتبسة ، ونجوم منطمسة » [٥] وهذا المعنى وارد فى قوله تعالى « فاذا النجوم طمست [٦] يعنى ذهب ضوؤها

فالطمس هو اذن محو للاظهار والبيان عن الشيء المبين الواضح الجلى وذلك يقول أحد الصوفية « وانك لا تصل الى الحقيقة الحق حتى تسلك تلك الطرقات المنطمسة [٧] » أى تعبر هذه الاحوال ، لان حال الصوفى وقته ، فهو ابن وقته ، ولا يعرف اين سيكون بعد ذلك لان ذلك بأمره تعالى فهو يتقلب على طرق منطمسة غير معروفة له ، يختبره الله فيها ، أو يمتحنه بالنعم والابتلاءات والصوفى هنا يكون من أرباب الأحوال ، أى من أصحاب التلوين ، فاذا سلك هذه الطرقات فانه يصل الى منتهى غاية السالكين ويصبح من أصحاب التسكين أى المقامات الرفيعة وهنا يبقى فى الله وبالله ومن الله .



---

(١) معجم الفاظ القرآن الكريم ص : ٧٥٠ .
(٢) مختار الصحاح ص : ٣٩٧ .
(٣) يس : ٩٦ . (٤) يونس : ٨٨
(٥) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٣٢ .
(٦) المرسلات : ٨ .
(٧) اللمع ص : ٤٣٤ .

حرف الظاء

ظ

●●● الظل ●●●

الظل بالمعنى « ضوء الشمس دون شعاعها ، فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل [1] ، وقد ورد فى القرآن الكريم الظل بهذا المعنى فى قوله تعالى وظل ممدود [2] وكذلك قوله تعالى « كيف مد الظل » [3] .

والمعنى الصوفى مأخوذ من المعنى اللغوى ايضا ، فالظل عند بعض أئمة الصوفية هو وجود الراحة ، ولكن هذه الراحة ليست بسبب عدم التعرض لاشعة الشمس الشديدة الحرارة ، وانما عدم التعرض لنور الله الساطع القوى ، وذلك بسبب الحجب [4] .

فالصوفى اذا أشرق على قلبه النور الالهى فى رحلة مجاهداته صعقه ، بتجليه عليه ، اما المحجوب فهو يفترش الظل نظرا لوجود حاجز بينه وبين الحق تعالى ، فإذا فتح علية الله الحجاب ، وتغير حاله وأصبح من أرباب التلوين الذين ينتقلون من حال الى حال فلا راحة ولا ظل ، وانما جهاد ورياضات وآداب للسير ، وصبر وزهد وخوف وتوكل ورجاء ورضاء مع الله ، لأنه السالك الذى دخل زمرة العارفين ، وشتان بين العارف وغير العارف ، فالأول أصبح من أهل الحقائق والمكاشفات أما غيره من أهل الظل الحجب فهو فى راحة يستظل بظل العلم الحسى ، ولم يأذن له باشراقات أنوار الحقائق الإلهية .

●●● الظلمة ●●●

هو عالم الظلمات [5] أو عالم الأجساد كما نجد ذلك عند السهروردى وعند

---

(١) مختار الصحاح ص : ٤٠٤ (٢) الواقعة : ٣٠ . (٣) الفرقان : ٤٥

(٤) رسائل بن عربى - كتاب اصلاح الصوفية ص ٢

(٥) د . محمد على أبو ريان - الفلسفة الاشراقية ص ٢٥ - ٨٥ .

غيره وتطلق على العلم الحسى ، والعلم هنا ليس العرفان ، وإنما الموضوعات والأشياء التى تعلم عن طريق العقل والنظر فيكون الانسان مهددا بها مرتبطا بأفكارها ، كالعلوم المتدارسة التى ليس لها مكان فى الآخرة لأنه فى الآخرة ليس هناك علم حيث لا يوجد مرضى ، فالكل أصحاء وليس هناك علم الهندسة أو الكيمياء لأن ليس هناك حاجة الى الأبنية والقباب ولا الى المعامل والأبحاث ، فلا يبقى إلا علم واحد ألا وهو علم التوحيد ، أو العلم الالهى ، أو العلم الكلى

فالظلمة هنا هى حدود العلم الدنيوى يستفيد منها الانسان فى الدنيا فقط ، لكن عند ماتتشفف روحه تلقى اليه المعارف والحقائق فينتقل من الظلمة الى النور أو من العلم الى المعرفة أو من الكسب الى الوهب .

والفرق بين عالم النور والظلمة وارد فى الآية الكريمة : « وما يستوى الأعمى والبصير ، وما تستوى الظلمات والنور » [١] .



(١) فاطر : ١٩ ، ٢٠

حرف العين

ع

••• العارف والمعرفة •••

العارف غير العالم ، ولذلك يقال عرفت الله ولا يقال علمت الله ، فالعلم يستخدم فيما يدرك بطريق الكسب أى التحصيل والتعليم والتلقين وصاحب المعرفة هو المختص بمعرفة الله فيقال عارف بالله ، ويقول الله تعالى فى ذلك « فدخلوا عليه فعرفهم » [١] وقوله تعالى « تعرفهم بسيماهم » [٢] وقوله تعالى « وعلى الأعراف رجال » [٣] .

ويقول بعض الصوفية ليس العالم من يقنع بالقيل والقال ، دون تحقيق الحال ، ذلك البطال عند الأبطال ، أى عند أهل الحق فالعلم حياة والجهل ممات ، والعالم على الحقيقة من سلك الطريقة ، وكان بعلمه النافع كثير المنافع أما الذى يتعلم للمراء ، قست عليه القلوب ، ومنع من كل مرغوب ، والعالم العارف ينمو حاله فى حال حياته ، ويشتهر عند الناس بعد وفاته ، لأنه مجدا فانيا ، يجاهد فى خفاء ، ويعمل فى إيثار ، ويسعى بلا رباء ، ويخدم الفقراء قبل الأغنياء ، سعيه على الإخلاص والطاعة ، وعلمه لا يطلع عليه غير اصحابه ، خوفا من الفتنة والإفتنان ، وفضح الأسرار ، وإظهار ما يجب كتمه لذلك فهو يبغى الإستتار ولا يعرف سره غير كبار الأحرار .

ومعرفة العارف توجب الحيرة [٤] وبالحيرة يتميز الصدق من الكذب وتظهر عليه الأحزان ويرى البعد فى القرب وان كان من الله وصالا واتصالا [٥] ، والعارف إذا شكر الله اعترف بعجزه وقلة حيلته على الله أما غيره فعلى العكس

---

(١) يوسف : ٥٨ .

(٢) البقرة : ٢٧٣ .

(٣) الاعراف : ٤٦ .

(٤) راجع الحيرة بالكتاب .

(٥) الشيخ أبو المواهب - قوانين حكم الاشراف ص : ٥٥ .

من ذلك يشوبه الإعتزاز والغرور ، كما أن العارف يأخذ نفسه بالتشديد والمخالفة ويطلب من الله حسن التدبير ويخاف سوء التقدير ، كما أن العارف فى مقامه لا يطرأ عليه التغير لأنه كالإبريز .

ويقول العارف بالله أبى المواهب « أوحى لنا وحى الإلهام فى حضرة غائب عنها الأوهام ، قال رسول هذه الحضرة إعلموا يا أهل الخبرة إن الحق تعالى قد ستر سره بما به هتكه أما ترون النار كيف جعل بها نعيم الإنتفاع وإضاءة ، الإشراق ، وظلمة الدخان ، وعذاب الاحراق ، فالعارف من فضل حقائق الحكمة ، ورأى بهجة النور فى الظلمة ، فكان لغلبه نوره تعالى لديه ، وعظيم ظهوره عليه لا تصليه النار » لأن فى جسده سلطان الأنوار بل تقول النار « يا مؤمن قد أطفأ نورك لهبى . . . فمن قوى لرفع هذا الحجاب ، فهم ما فهم وعرف الخطاب » .

وأهل المعرفة بالله لهم حنين الى المحبوب ، وزفرات بها القلب يذوب ، ومدامع لولاها أحرقتهم نار الاشتياق ، ولهيب وجدبه منعت الدموع من الأغراق ، والعارف إذا امتحن بالهجران قام بالأدب مع الكتمان ، وإن عدّ وناح ، ولكن ما يقال أنه قد باح ، وليس العارف من نفى كل الطرق الأخرى غير طريقه ، ولم يشهد سوى سلوكه ، وتحقيقه ، وانما العارف السالك من سلك جميع المسالك (١)

ويقسم الامام الكلاباذى (٢) المعرفة الى معرفتين : معرفة حق ، ومعرفة حقيقة ومعرفة الحق هى إثبات وحدانية الله تعالى ، على ما أبرز من الصفات ، وأما معرفة الحقيقة ، فهى معرفة العارف بعجزه عن الادراك ، لإمتناع معرفة الله الصمد ، الذى لا يمكن الإحاطة به تعالى ، فالعارف يشاهد السر من عظمة الله ، وتعظيم حقه وإجلال قدره ، ومعنى ذلك أن المعرفة هى تردد السر بين تعظيم حق الله عن الإحاطة به وإجلاله تعالى عن الإدراك .

وقد سئل الجنيد عن المعرفة فقال : هى أن تعلم أن ما تصور فى قلبك عن الله ، أن الله بخلافه » ، (٣) .

---

(١) ص : ٥٧ المرجع السابق . .

(٣) قوانين حكم الاشراق ٥١ - ٥٣ .

(٣) التعرف ص : ١٣٢ - ١٣٣ نفس المرجع .

●●● العبد والعبودية ●●●

العبد هو الإنسان الحر ، أو الرقيق ، لأنه مربوب لبارئه ، وقد تجمع فتكون عباد وأفضل فى الجمع عبيد [١] ووردت فى القرآن بهذا المعنى فى قوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله » [٢] وقوله تعالى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » [٣] وكذلك قوله تعالى « مما نزلنا على عبدنا [٤] » وورد هذا اللفظ فى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » [٥] كما وردت بصيغة الجمع فى قوله تعالى : « وان الله ليس بظلام العبيد [٦] .

ويستخدم الصوفية لفظ العبد دلالة على مقام العبودية مقابل الرب فى مقام الربوبية ، ويقولون العبد فى تكفير والرب فى تدبير ، فدبروا ألا تدبروا [٧] ، والعبد الصالح هو الذى توكل على الله ، واسقط التدبير مع الله ، فلم يجد غير الله وكيلا ، ولم يعبد سواء فى ظاهره وباطنه فالله نصيره وحافظه ، والعبد الصالح هو العبد الشاكر فى الإبتلاء ، الصابر على الجفاء ، المحب بلا رجاء ، الراضى فى كل الأحوال والاوقات .

والعبودية خاصة بالعبد الصالح [٨] فإذا أكرمه الله نصره تعالى ، وستر عليه حظوظ نفسه وهواها ، وجعله يتقلب فى نعم عبوديته تعالى وشغل بها نفسه ، فلا يلتفت إلا لله وفى ذلك يقول تعالى : « نعم العبد أنه أواب » [٩] .

ويرى الترمذى[١٠] أن العبيد غير الاحرار ، ويقصد بالعبيد الذين وافقوا شهواتهم وساروا فى طريق الضلالة ، أما الاحرار فهم الذين ساروا فى طريق الله فأصبحوا من أوليائه ، فالحر هو الذى يسير فى طريق الله والعبد هو الذى يسير مع هوى نفسه .

---

(١) معجم الفاظ القرآن - ص : ٤ جـ١

(٢) النساء : ١٧٢ (٣) البقرة : ٢٢١ .

(٤) البقرة : ٢٣ . (٥) الاسراء : ١ . (٦) آل عمران : ١٨٢

(٧) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية ص : ٧٥

(٨) د . عبد الحليم محمود - ابو الحسن الشاذلى ص : ١٣٥

(٩) ص : ٤٤/٣٠

(١٠) الاستاذ عبد المحسن الحسينى - المعرفة عند الحكيم الترمذى - ص . ١٦٠ وما بعدها

●●● العدل ●●●

يقصد بالعدل لغويا أكثر من معنى ، والمعنى الذى يتفق مع رأى الصوفية هو العدل الذى وسيلته البصيرة [١] ، أى ما يدرك بالبصيرة . وذلك وارد فى قوله تعالى « ذوا عدل منكم [٢] وفى قوله تعالى » وأمرت بالعدل بينكم » [٣] .

والعدل بالمعنى الحسى هو أن الشىء ، أو الحمل ، يميله هنا وهناك، حتى يستقيم ويعتدل ، ولذلك يقال عدل الشخص الحمل بمعنى وازانه بما يساويه [٤] أى المماثلة والتسوية عن طريق النظر واستخدام ميزان العقل .

أما المعنى الصوفى للعدل فيرتفع عن مجرد احكام الميزان العقلى عن الشىء الى النفاذ فى باطنه وهذا العدل هو العدالة ، فلكل حالة حكمها حسب ظاهرها وباطنها ، لأن العدل الظاهرى يهتم بالمقاييس والاحكام الشكلية ، أما العدالة أو العدل الباطنى فعلاوة على الشكل الظاهرى ، فهناك القصد والنية ، والاخلاص ، والصدق ، والطاعة والتى على أساسها يكون تحقيق هذا النوع من العدل . والواقع أن الحكم الظاهرى فى لفظ العدل كثيرا ما يخطىء ، فكم من شخص مراء يتظاهر بالعدل وهو ظالم لنفسه ، أما العدل عند الصوفية فتحقيقه إنما رهين بالصدق فى الظاهر والباطن ، فتكون شريعة العبد هى حقيقته .

●●● العرش ●●●

يستخدم العرش بمعنى حسى ، ويقصد به السرير للملك ، أو السلطان ويكفى به عن العز والسلطان ، كما يستخدم عرش الله فيما لا يعلمه البشر على الحقيقة الا بالاسم ، وقد ورد « العرش فى القرآن الكريم لسرير الملك ، وعرش لله ولما له قوائم . [٥]

---

(١) معجم ألفاظ القرآن ص : ١٩ ج٢

(٢) المائدة : ٩٥ - ١٠٦ .

(٣) الشورى : ١٥

(٤) معجم الفاظ القرآن ص : ١٩ ج٢

(٥) المعرفة عند الحكيم الترمذى : ص : ١٨٠ - ٢٥٠

مثل قوله تعالى : « ورفع أبويه على العرش » [١] وقوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يؤمئذ ثمانية » [٢] وقوله تعالى : « وهى خاوية على عروشها » [٣]

ويرى صاحب الانسان الكامل [٤] أن العرش على التحقيق مظهر العظمة ، ومكانة التجلى ، وخصوصية الذات ، ويسمى العرش أيضا بجسم الحضرة ومكانها ، والعرش بهذا المعنى هو المكان المنزه عن الجهات الست ، وهو المنظر الأعلى ، والمحل الأزهى ، والشامل لجميع انواع الموجودات ، بل هو الوجود المطلق كالجسم للوجود الانسانى باعتبار ان العالم الجسمانى شامل للعالم الروحانى والخيالى والعقلى .

وقد عبر الصوفية عن العرش بأنه الجسم الكلى ، ويرى الامام عبدالكريم الجيلانى ان هذا الرأى فيه نظر ، لأن الجسم الكلى وان كان شاملا لعالم الارواح الا أن الروح أعلى منه والنفس الكلية فوقه ويرى انه ليس فى الوجود شيئا فوق العرش الا الرحمن ، فاذا مكنا ان العرش هو الجسم الكلى ، بمعنى ان الجسم الانسانى جامع الروح والعقل والقلب والعرش هو الجسم الكلى فالمقصود به هيكل العالم وجسده الجامع لكل متفرقاته وبهذا المعنى يتفق الجيلانى مع أصحابه من الصوفية فى أن العرش هو الجسم الكلى ولاخلاف حيث ان المعنى واحد فى العبارتين .

●●● العزلة ●●●

العزلة من اعتزل أى تنحى جانبا [٥] ولقد وردت بهذا المعنى فى قوله تعالى : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله » [٦] وكذلك وردت فى قول عز من قائل « واذا اعتزلتموهم وما يعبدون » [٧]

---

(٦) معجم ألفاظ القرآن ص ٣٠ جـ٢

(١) يوسف ١٠٠ (٢) الحاقة ١٧

(٣) البقرة ٢٥٩

(٤) الامام عبد الكريم الجيلى - الانسان الكامل جـ٢ ص ٤

(٥) معجم ألفاظ القرآن جـ٢ ، ص ٣٩

(٦) مريم ٤٩ (٧) الكهف ١٦

ويرى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه سئل [١] « يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط ، جالسا وحده خلف ساريه ، فمضى اليه الحسن وقال له : يا عبد الله أراك قد حببت اليك العزلة ، فما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال : أمر شغلنى عن الناس قال : فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن البصرى تجلس اليه ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس ، وعن الحسن البصرى ، فقال له الحسن : ماذا يكون هذا الشغل يرحمك الله ؟ فقال : إنى أصبحت بين نعمة وذنب ، فرأيت أن اشغل نفسى بالشكر على النعمة ، والاستغفار من الذنب .

فقال الحسن : يا عبدالله أنت أفقه من الحسن ، فالزم ما أنت عليه .

●●● العقاب ●●●

العقاب هو الذى ينال فاعل الفعل غير الحسى ، فالعقاب أثر يعقب الفعل والاسم منه العقوبة [٢] ولقد اختصت العقوبة العقاب بالعذاب لهذا [٣] ، يقال عاقبه بذنبه معاقبة ، وعقابا وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى « ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم [٤] وقوله تعالى « شديد العقاب » [٥] .

ويستخدم بعض أئمة الصوفية بمعنى رمزى اشارة الى القلم [٦] أى الى الشيء الذى يسطر به فى الأزل ، فيكون العقاب تورية لمعنى بعيد ، هو العقل الأول الذى هو أول ما خلق الله تعالى .

---

(١) روض الرياحين ص : ٢٢٢ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن ص : ٥٦ .

(٣) مختار الصحاح - ص : ٤٤٤ .

(٤) فصلت : ٤١ . (٥) البقرة : ٩٦ - ٢١١ .

(٦) رسائل بن العربى - اصلاح الصوفية ص ١٢

●●● العقد ●●●

العقد عند بعض أئمة الصوفية هو أعمدة [١] القلوب ومكاسبها من الايمان لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أفوا بالعقود » [٢] وقال تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم [٣] الايمان ، فالعقد هو السنة الذى اجتمع عليها المسلمون ، وتواتر العمل بها الخلف عن السلف ، ولم يختلف عليها اثنان من المؤمنين ، والعقود عند الامام ابى طالب المكى ست عشرة خصلة ثمان واجبة فى الدنيا ، وثمان واقعات فى الآخرة .

●●● العقل ●●●

يقصد فى اللغة بالعقل المنع ، والحجر ، والنهى ، ومنه رجل عاقل [٤] ، ومن العقل قيل للحصن معقل ، كما قيل عن القوة فى الانسان عقل [٥] وقد ورد هذا الاستعمال فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : افلا تعقلون [٦] وما يعقلها الا العالمون [٧] وقوله تعالى « لقوم يعقلون » [٨] .

ويرى الامام الغزالى أن العقل يشترك فى أكثر من معنى ، فهو من ناحية يراد به العلم بحقائق الأمور ، فالعقل عبارة عن العلم الذى محله القلب ، ومعنى ذلك أن القلب والروح والعقل عند حجة الاسلام إنما هم جميعا محلهم القلب .

أما المعنى الثانى للعقل فهو الجزء المدرك من الإنسان والذى يراد به أيضا القلب لأنه هو الذى يدرك العلوم أى محل الإدراك .

---

(١) قوت القلوب ج ٢ - ٢٥٧ وما بعدها .
(٢) المائدة : ١ (٣) المائدة : ٨٩ .
(٤) مختار الصحاح ص : ٤٤٦ .
(٥) معجم ألفاظ القرآن ص : ٥٨ .
(٦) البقرة : ٤٤ . (٧) العنكبوت : ٤٣
(٨) البقرة : ١٦٤

ويؤيد الامام الغزالى رأيه بحديث عن الرسول ﷺ أنه قال : أول ما خلق الله . . العقل ، ومعنى ذلك أن هناك فوق القلب الجسمانى والروح والنفس والعلوم معنى خاص هو العقل الذى هو عبارة عن اللطيفة المدركة من الإنسان .

ومن ناحية أخرى يمكن أن يفهم من كلام الإمام الغزالى أيضا أن القلب هو الجزء الذى يفقه فى الإنسان بل هو الجامع للروح والعقل والنفس جميعا .

لكننا نرى أنه لا خلاف بين الصوفية فى أن العقل يختص بالنظر والتلقين والتميز بين الخطأ والصواب والأمر والنهى ، ولكنه قد يصيب ويخطىء حسب كماله وصدقه ، أما إذا اتفق مع القلب وهو الباطن فى رأيهم كان الشخص ظاهره كباطنه ، عقله كقلبه ، شريعته كحقيقته ، فلا تمييز بينهما ولا فرق بين العقل والقلب بهذا المعنى ، ومن ناحية أخرى يهتم الصوفية بالإسترسال مع الله وعدم الاعتراض عليه تعالى ومن هنا تنتفى إرادة العبد ، ولا يبقى له إلا التسليم ، وهذا التسليم عن طريق القلب لا العقل .

●●● العلم ●●●

للعلم معان عديدة ، والحسى من العلم مثل علمت الشىء ، أى عرفت علامته وما يميزه ونقيضه صفة الجهل [١] ، ومن العلم ما يكون حكما بإثبات أو بنفى .

ويرى الصوفية أن العلم علمان علم كسبى ، وهو يأتى عن طريق التحصيل ، والتلقين ، وعلم وهبى ، وهو ما يقذفه الله فى قلب عبد فيصبح علما وعالما ومعلوما جميعا ، والأخير هو الذى يسمى عندهم بالمعرفة . ويكون العلم الكسبى هو الطريق الموصل لمعرفة الشريعة الغراء عن طريق العقل وذلك للتمييز بين الحلال والحرام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما العلم الوهبى أو ما يسمى باللدنى ، فإما أن يكون وحيا ويختص به الأنبياء وحدهم ، أو يكون إلهاما ويختص به الأنبياء ، والأولياء ، وهذا العلم ، هو الوارد فى قوله تعالى : « نحن نعلمهم » [٢] وقوله تعالى : « وما يعقلها الى العالمون » [٣] وقوله

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - جـ١ ص

(٢) التوبة ١٠١ (٣) العنكبوت ٤٣

تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » [١] وقوله تعالى) « وعلم آدم الأسماء » [٢] وقول يوسف عليه السلام عن الله تعالى : « علمنى ربى [٣] وقوله تعالى : « ويعلمك من تأويل الآحاديث » [٤] « وعلمتم ما لم تعلموا » [٥] .

●●● العموم والخصوص ●●●

يهتم أئمة الصوفية بالتمييز بين أهل العموم ، وأهل الخصوص ، وأهل العموم يقصد بهم عامة الناس ، لإشتراكهم فى كثير فى الإخلاق والعادات والسلوك وهم الذين يهتمون بالدنيا ويتعلقون بها وهم محجوبون عن الحقائق والأسرار ومهتمون بالأشكال والصور والزخارف الظاهرية .

أما أهل الخصوص ، فهم أصحاب علوم والمسترسلين مع الله ، فيختصهم من دون عباده بفتوحات وعطايا ومنن ولكل منهم أحوال ومقامات ويقال ذلك أنهم أصحاب التلوين ، أى ينقلون من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، وأهل الخصوص يمتازون بالانفراد عن العلماء عن العامة ، فهم طبقة تختلف عن الناس من جهه الفكر والمنطق والنظر للأشياء والأمور فهم يعتمدون على النظر والحس والعقل ، فى الحكم على الأمور ، وليس معنى ذلك أنهم أى أهل الذوق لا يعترفون بالعلوم العقلية والكسبية ، وانما يرون أنه عندما يعتلى المريد الصادق سلم الحقيقة يتعدى حدود العقل والمنطق النظرى ، ليقذف فى قنبه العلم الالهامى ، الذى هو نور يستشرق به القلب ، الا انهم يؤكدون انه يجب الرجوع الى حكم العقل كميزان للشريعة ، فيما يتعلق بالكشف والفتح والعلم الوهبى فاذا خالفت حقيقة شريعة فهى باطلة ولا يعمل بالحقيقة الا اذا وافقت الشريعة (٦) .

---

(١) فاطر : ٢٨ .
(٢) البقرة : ٣١
(٣) يوسف : ٣٧ .
(٤) يوسف : ٦ .
(٥) الأنعام : ٩١ .
(٦) راجع بالكتاب الشريعة والحقيقه .

●●● العنقاء ●●●

يعبر فى اللغة عن العنقاء بالداهية ، وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم [١] .

ويقصد العرب بلفظ العنقاء الشيء المجهول أو المستحيل ، ويستخدم أئمة الصوفية لفظ العنقاء بمعنى الهواء الذى فتح الله فيه به أجساد العالم [٢] ، فهو بمثابه نفس العالم الذى يحيا ويتغذى به ، ولولاه ما تنفس العالم وهذا الاستخدام الصوفى لهذا اللفظ يعطى نفس المعنى اللغوى عن الشيء المعروف الاسم ، المجهول الجسم ، بطريقة مجازية .



(١) مختار الصحاح ص : ٤٥٨ .

(٢) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية ص : ١٢ .

حرف الغين

غ

●●● الغراب ●●●

يقصد بالغراب فى اللغة الطائر الأسود [١] ، ربما لكونه يبتعد فى الذهاب أو لأن اسمه فيه معنى البعد ، كما فيه معنى السواد ، وذلك لقول بعضهم أغربة العرب ، أى السود منهم ، ولذلك شبهوا بالأغربة ، ويقال أيضا أسود غرابى ، أى شديد السواد ، وقد ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى : « فبعث الله غرابا [٢] » ، كما ورد فى قول عز من قال : « قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى [٣] .

ويرى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى أن الغراب عند أهل الحق هو الجسم الكلى ، والعقاب هو العقل ، والورقاء هى النفس الكلية ، وفى رأينا أن الجسم الكلى يقصد به هذا البعيد فى الذهاب عن الأصل التى هى الروح ، ومن حيث اللطافة ، أما الروح فهى لطيفة شفافة ، وقريبة من أصلها ، وهو الحق تعالى ، أما الغراب فهو جسم فيه حجاب حاجز بين الرقائق واللطائف والدقائق .

ثم إن الغراب فى قصد قابيل وهابيل ، هو الذى علم أول قاتل فى البشرية كيف يوارى سوءة القتيل ، فهو تعبير عن الغطاء للجسم ، أو الجسم الكلى برمته أو جسم العالم فى حقيقته .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن جـ٢ صـ٩٦

(٢) المائدة : ٣١

(٣) المائدة : ٣١

••• الغربة •••

الغربة من الاغتراب ، ويقال تغرب واغترب أى أنه غريب والغرباء الأباعد [١] .

ويستخدم الصوفية الغربة بمعى الاغتراب عن الوطن ، وذلك لتيسير الاتصال مع الله ، منعا لشواغل الحس ، ومخالفة المألوفات والعادات ، إذ أن الصوفى إذا ساح فى البلاد وليس معه إلا الله يجد نفسه فقيرا إلى الله ، محتاجا اليه على الدوام ، صابرا فى الامتحانات والابتلاءات ، لا يعرفه أحد ليثنى عليه ، ولا يحمد له علمه ، وفضله لأن لا أحد يصاحبه أو يعاشره من الخلق ، فلا يطلب إلا من الله ، ولا يرجوا إلا الله ، فتتشفف نفسه . ويقوى قلبه بالله ، ومن الله ، وفى الله ، ويفتح له مادام مسترسلا مع الله ، ويكشف له مادام موافقا ومسقطا ، للتدبير مع الله .

ويرى الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى [٢] أنه يمكن أن نطلق الغربة أيضا عن الحال فيقال غريب عن حاله ، وفى تصورنا أن ذلك إنما يكون لأرباب الأحوال من أهل التلوين من الأولياء ، .فالصوفى الذى لم يتمكن بعد من حاله يكون غريبا فيه ، أما الذين يثبت عنده الحال فيكون له منزلة أو مقام يصبح هو صاحبه ، كما أنه يمكن أن يقال غربة عن الحق تعالى ، بمعنى أن الصوفى عندما تتجلى عليه أنوار الله ، يقف كالحائر المندهش المذهول من تلك الحقائق والمعارف والأسرار ، فهو فى غربة عن المعرفة ، واذا زاد هذا الموقف كما حدث للنبى موسى عليه السلام فإنه يصبح صعقا وغشية وغيبة .

••• الغلبة والسكون •••

يقال فى اللغة غلبه أى قهره فهو غالب والآخر مغلوب ، [٣] وقد ورد إشتقاق هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وهم من بعد غلبهم » [٤]

---

(١) مختار الصحاح ص . ٤٧ .

(٢) رسائل ابن عربى - كتاب اصلاح الصوفية

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٤) الروم ٣

وقوله تعالى : « غلوبا على أمرهم » [١]

ويقصد أئمة الصوفية بالغلبة الحال التى تطرأ على الصوفى ، فلا تمكنه من ملاحظة السبب ، ولا مراعاة الأدب ، وهى عكس السكون الذى فيه ترجع النفس إلى السكينة .

ومعنى ذلك أن الغلبة نوع من الخروج عن الطبع الى ما ينكر عليه خاله من الأغيار الذين لا يعرفون عنه شيئا ، والواقع أن الصوفى يكون قد غلب عليه حال الخوف ، أو الهيبة أو الاجلال ، أو الحياء ، أو بعض هذه الأحوال [٢] .

ولقد غلب على الفاروق عمر حمية الدين ، حين أعترض على الرسول ﷺ عندما أراد أن يصالح المسلمين ، ثم إستنصحه سيدنا الصديق فقال عندما سكن : « أنا عبدالله ورسوله ان أخالف أمره ، ولن يضيعنى » . ثم قال بعد ذلك : « مازلت أصوم ، وأتصدق ، وأعتق ، وأصلى من أجل الذى صنعت يؤمئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت خيرا » [٣] .

فحال الغلبة حال صحيحة ، ويجوز فيها ما لا يجوز فى حالة السكون ، ويكون الساكن أتم فى الحال ، وأكمل منه فى حالة الغلبة ، كما كان هنا فى حال الصديق رضى الله عنه .

●●● الغيب ●●●

وصف الله تعالى المتقين فقال أنهم الذين يؤمنون بالغيب ، ويقول القرطبى : الغيب كل ما غاب عنك ، وقال بعض المفسرين « هو الله سبحانه » وقال آخرون القضاء والقدر ، وقال غيرهم « القرآن الكريم » وما يحوى من كنوز لا تهتدى اليها العقول وخاصة إشراط الساعة . وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار . وجميع هذه التفاسير متكاملة لا تعارض بعضها بعضا ويؤيد ذلك سؤال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ .. ما الايمان ؟ . . . فقال ﷺ : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

---

(١) الكهف : ١

(٢) التعرف : ص ١٣٦ - تحقيق الأستاد أمين النواوى

(٣) هذا الخبر أخرجه البخارى وأبو داود فى صلح الحديبية بعض التغير الذى لا يوجب اختلاف .

فليس هناك ممن آمن بالغيب لأنه سبحانه وتعالى غير مرئى فى الدنيا بعين الأبصار ، ولكنه أفضل تعالى مرئى بعين البصيرة ، بالنظر والاستدلال .

فالمؤمن يؤمن بأن له ربا قادرا يجازى على الأعمال فهم أى الصوفية يخشونه فى باطنهم وظاهرهم .

فالايمان بالجنة والنار والبعث بعد الموت ، وبيوم القيامة كل هذا غيب ، بل وأصل الغيب ، فالايمان بالغيب هو الاعتقاد بموجودات وراء المحسوس وإن ذا العقل الرشيد يصدق بهذه الموجودات وإن كان لا يدركها بالحس .

ويعرف البعض الايمان بالغيب أنه الاستسلام التقليدى الذى لا ينفذ داخل النفس ، فهو لفظ يصدر من اللسان فحسب ، وليس له أثر على الأفعال لأنه ليس عقلى ، ولم يدخل الى القلب ، بل هو ايمان الوهم والظن ، وهذا الايمان الظاهرى لا يمكن أن يهتدى بالقرآن والدين .

وقد ورد لفظ الغيب والغيوب فى مواضع كثيرة من القرآن مثل قوله تعالى :

١ ـ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون . المؤمنون ٩٢
٢ ـ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم السجدة ٦
٣ ـ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الرعد ٩
٤ ـ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب المائدة ١٠٩
٥ ـ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وإن الله علام الغيوب والتوبة ٧٨
٦ ـ قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب سبأ ٤٨
٧ ـ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك هود ٤٩
٨ ـ لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب الأنعام ٥٠
٩ ـ ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير الأعراف ١٨٨
١٠ ـ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين سبأ ١٤
١١ ـ ليعلم أنى لم أخنه بالغيب يوسف ٥٢
١٢ ـ ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب المائدة ١١٦

ويختلف معنى الغيب عند أئمة الصوفية عن معنى الغيب الذى يختص بعلمه الحق تعالى وحده ، ويخلط كثير من العامة بين المعنيين ، فالذى يقصده الصوفية

بالغيب ، هو ماستره الله تعالى عن عباده ، فإذا كشف الله لبعض عباده الصالحين من الأولياء والصديقين ، وتجلى عليهم بنعمه ، وفاض عليهم بأسراره ، يقال أن الحق تعالى فتح لهم عن بعض مغيباته التى لا يحظى بها إلا عباد الرحمن ، فيعلم الولى حقائق لم يكن يعلمها ، وبهذا المعنى يكون الغيب كل ما يحظى بها المريد الصادق من الفتوحات والكشوفات ، والمنن ، والعطايا والهبات ، والحقائق ، والأسرار ، بطريق العلم الوهبى أو العلم البدنى ، الذى يقذفه الله فى قلب عبده الصادق فيصبح علما وعالما ومعلوما .

وبذلك يكون الغيب علم وهبى إلهامى لا دخل للعقل والحس فيه ، وإنما يلهم به الولى إلهاما عن طريق نفث روحانى وعلم إلهى ، ويكون فى غالب أمره خرقا لمقتضى العادة وعلى غير المألوف لطريق الحس والنظر .

●●● الغيبة والحضور ●●●

أرسل ذو النون المصرى أحد أصحابه ليصف له حال أبى يزيد ، فلما وصل دخل عليه فقال له أبويزيد . . . ماذا تريد ؟ فقال أريد أبا يزيد . . . فقال له : من أبويزيد ؟ وأين أبويزيد ؟ . . فأنا فى طلب أبى يزيد . . . فرجع الرجل وقال : هذا مجنون فبكى ذو النون وقال : أخى أبويزيد ، . . ذهب فى الذاهبين إلى الله .

يروى الامام الكلاباذى عن أحد الصوفية [١] قوله : معنى الصوم الغيبة عن رؤية الخلق ، برؤية الحق عز وجل ، لقوله تعالى فى قصة مريم « إنى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم إنسيا [٢] ومعنى هذه الآية أن مريم عليها السلام لا تجيز لنفسها وهى مشغولة فى صومها بالله ، أن يشغلها عنه شاغل آخر ، أو يقطعها عن الله قاطع .

ويروى عن أبى سليمان الدرانى أن الاوزاعى رضى الله عنه قيل له : ومعنى رأينا جارتك الزرقاء ـ الزرقاء العيون ـ فى السوق فقال : أزرقاء هى ؟ ومعنى ذلك أنه كان فى حال غيبة عن لون عيونها ، وعن تفاصيل شكلها ، وذلك

---

(١) التعرف ص : ١٤٣ (٢) مريم : ٢٦

لانشغاله وحضوره مع الله على الدوام ، فيرى الغائب الحاضر كما عبر الشاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

ويشرح لنا الامام القشيرى [١] معنى الغيبة فيقول : الغيبة غيبة القلب عن ما يجرى من أحوال الخلق عن ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم أنه قد يغيب القلب عن احساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكر فى الثواب أو تفكر فى العقاب ، ويسمى عند الكلاباذى الشهود بعد الغيبة ويسميه صاحب الرسالة بالحضور .

رأى أحد الصوفية [٢] فى حانوت حداد الحديدة المحماة فى النار ، فغشى عليه ، فلما أفاق سئل عن ذلك فقال : تذكرت أهل النار فى النار .

ويفسر الامام القشيرى هذه الحال فيرى أنها تعدت حال الغيبة ، إلى حال الغشية ، ويمثل لذلك بما وقع لسيدنا على بن الحسين الذى كان سجوده عندما وقع حريق فى داره فلم يقطع الصلاة ، فسئل عن ذلك ، فقال . « ألهتنى النار الكبرى عن هذه النار » .

والحضور يكون على حسب الغيبة ، فكلما كان العبد فى غيبة عن الخلق ، كلما كان حاضرا مع الحق ، فاذا غاب بالكلمة ، كان حضوره بالكلية ، فاذا قيل « فلان حاضر » فمعنى ذلك أنه حاضر بقلبه لربه ، غير غافل عنه كما أن الحضور يقال أيضا عن رجوع العبد من غيبته إلى حسه ، أى رجوع إلى الخلق .

●●● الغيرة ●●●

يقال غار الرجل على أهله فهو يغار ، وغيرة ، ورجل غيور وغيران وإمرأة غيور [٣] .

ويقصد الصوفية بالغيرة ، أن المريد الصادق يغار من مخالفة الحق تعالى كما يغار أيضا على الاسرار [٤] التى أولاها الله تعالى له من العلوم الالهامية ،

---

(١) الرسالة القشيرية ج١ ص٢١٤ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) مختار الصحاح ص : ٤٨٦ .
(٤) رسائل ابن عربى كتاب اصلاح الصوفية .

والفتوح والكشوف فلا يذيعها بل يكتمها عن غير أهلها .

كما أن هناك غيرة على الحق على عبده الصادق الأمين ، فيحافظ عليه ، ويغار عليه ، فلا يقدر الشيطان أن يغرر به ، فلا يجعل له عليه سلطان .

●●● الغين ●●●

غَين على كذا أى غطى عليه [١] ، ولم ترد الغين فى القرآن الكريم وإنما وردت فى الحديث النبوى فى قوله ﷺ : « إنه ليغان على قلبى فاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة » .

رواه السيوطى فى الجامع الصغير وفى تأثير الحقيقة العلية وذكره صاحب روض الرياحين .

فالغين هو الغطاء على القلب الذى ورد فى قوله تعالى : « فكشفنا عنك غطاءك [٢] » ، وقد وردت أيضا فى قوله تعالى : « الذى كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى [٣] » .

وإذا كان حديث النبى ﷺ صحيحا فإن الرسول ﷺ الموحى إليه والمعصوم من الله ، إنما يغطى قلبه ﷺ ، وكأن هذا الغطاء حجابا يقف حائلا بينه وبين الله فيتوب منه ، وذلك بذكر الله فى اليوم مائة مرة ، وهذا الغطاء مثله مثل المرآة إذا تفرس فيها الناظر عكر ضوئها بالهواء الرطب ، ثم بالعودة إلى الذكر يعود ضوئها إلى الظهور .

ولكن لا يعقل أن يكون قلب النبى قد لحقه قهر لقوله ـ ﷺ ـ : « كان لى شيطان فأسكنته فأسلم » ، فلا يلحق قلبه قهر من الحق ، لأنه مخصوص بالرؤية [٤] .

وليس لأحد أن يحكم على قلب النبى ﷺ بدليل قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » ، وليس لأحد أن يحكم على قلب النبى لأن أحداً لم يصل إلى درجته .

(١) مختار الصحاح ص ٤٨٧

(٢) ق ٢٢ — (٣) الكهف ١٠١

(٤) الامام السراج الطوسى - ص ٤٤١

حرف الفاء

ف

••• الفتح •••

ورد لفظ الفتح فى قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) » ، أى علما إلهيا ، ونصرا مؤزرا ، كما وردت فى قوله تعالى : « عسى الله أن يأتى بالفتح (٢) » وقوله عز من قائل : « فتحنا أبواب كل شىء (٣) » ، أى نصرا وعلما ورزقا وهدى .

والصوفى يجاهد فى الله بالرياضات والعبادات ، حتى يمن الله عليه بالفتح ، وحينئذ يبدأ السالك فى الدخول فى العلوم الإلهامية ، بعد أن يكون ثبت فى العلوم الظاهرية ، والعلم الظاهرى مهما بلغ به صاحبه من التعمق ، لا يفى بغرض أصحاب النفوس الطموحة .

لذلك يبحث العلماء عن عالم تكون فيه الاستزادة من العلم والبحث ، عن الغيبات وهى الحقائق التى عجز العقل ، عن إدراكها وسبر أغوارها ، فيطلب من الله أن يزيده علما كما يبحث السالك عن إمام يقوده إلى طريق الحق ، وشيخ يبصره بالطريق إلى الله .

ويشرح لنا الإمام أبوالحسن الشاذلى (٤) اللقاء بينه وبين قطب وقته عبدالسلام ابن مشيش رضى الله عنه فيقول : قيل لى ، وأنا فى العراق ، أبحث عن القطب ، . . . ان القطب فى بلادى ، وأننى سأجده عند عودتى ، وذات يوم ، قدمت عليه فى مغارة برأس الجبل فاغتسلت بعين ، بأسفل الجبل وخرجت عن علمى وعملى ، وطلعت إليه فقيرا . . . وإذا به هابط إلى : مرحبا بعلى بن عبدالله بن عبدالجبار (وهذا اسم أبوالحسن الشاذلى) ثم ذكر نسبى إلى

---

(١) الفتح : ١ (٢) المائدة : ٥٢ .

(٣) الانعام : ٤٤ .

(٤) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى ص : ٣٠ وما بعدها

رسول الله ﷺ ، ثم قال : « يا على طلعت إلينا فقيرا فى علمك وعملك ، فأخذت منا . . . غنى الدنيا والآخرة .

ثم قال : « فأخذنى ، الدهش فأقمت عنده أياما ، إلى أن فتح الله على بصيرتى » .

ولقد فتح الله على أبى الحسن [١] بدعاء يسمى حزب الفتح ويسمى أيضا حزب الأنوار نورد بعضا منه

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

لا إله إلا الله نور العرش
لا إله إلا الله نور لوح الله
لا إله إلا الله نور رسول الله
لا إله إلا الله آدم خليفة الله
لا إله إلا الله نوح نجى الله
لا إله إلا الله ابراهيم خليل الله
لا إله إلا الله موسى كليم الله
لا إله إلا الله عيسى روح الله
لا إله إلا الله محمد حبيب الله
لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله
لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله

●●● الفراسة والتوسم ●●●

التوسم بمعنى التفرس أى المعرفة النافذة ، أو البصيرة ، والمتوسمون هم المتفرسون فى الدين والمتعرفون على حقائقه [٢] ، والمتصبرون الذين يثبتون فى نفسوسهم حتى يصلوا الى الحقيقة . وقد ذكرهم الله تعالى فى قوله : « إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » [٣] كما وردى الحديث عن النبى ﷺ انه قال : « اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله عز وجل » [٤]

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٢
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص ٦٥٤ (٣) اكبر ٧٥
(٤) رواه البخارى فى الادب والترمذى ، والسيوطى ، فى الجامع الصغير ص ٩

يقول أحد الصوفية عن نفسه خرجت الى البادية على التجريد [١] ، فلما وصلت جلست على حافة بركة وحدثتني نفسي فى شيء من العجب بما وصلت اليه ، واذا بالشيخ الكتانى خلف البركة ينادينى : يا فلان ، احفظ قلبك ولا تحدث نفسك بالأباطيل [٢] .

ولما تقابل أويس القرنى مع هرم بن حيان رضى الله عنهما قال أويس « هرم بن حيان » ـ كيف أنت يا أخى ؟ ومن دلك علىّ ؟ قال هرم . . . « الله » قال أويس : « لا إله إلا الله سبحان ربنا ، ان كان وعد ربنا لمفعولا » . فقال هرم : من اين عرفت اسمى ؟ وما رأيتك من قبل اليوم ، ولا رأيتنى ؟ قال أويس : « نبأنى العليم الخبير » ، عرفت روحى روحك ، حين كلمت نفسى نفسك ، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ، ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا » . [٣] .

والفراسة ليست من عالم الغيب ، بل هى علم نورانى ، أودعه الله فى قلب عبده المؤمن ، القريب اليه ، والمشغول به ، والفراسة غير الظن لأن الظن يخطىء ويصيب ، حسب طهارة القلب وظلمته ، كثيرا ما يخطىء وقليلا ما يصيب ، ولهذا أمر تعالى باجتناب كثير من الظن ، واخبر تعالى ان بعض الظن اثم ، أما اصحاب الفراسات فأثنى الله عليهم فقال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم [٤] » .

والمتفرس إذا جالس أحدا من الناس يطلع على سره ، فهو جاسوس للقلوب ، فقد القى الله فى روع سيدنا أبوبكر الصديق أن أحد الصحابة هو « بطن بن خارجة » فكان ذا حقا وصدقا ، فالذى ينظر بنور الله ينفذ فى الاشياء والحجب فيرى ما هو مقدر ومكتوب [٥] وكان ابوبكر رضى الله عنه فى قمة المتفرسين حيث استخلف على المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كما كانت صاحبه موسى عليه السلام صاحبة فراسة أيضا حين قالت : « استأجره

---

(١) راجع التجريد والتفريد بالكتاب .
(٢) التصرف ص : ١٥٢ .
(٣) روض الرياحين ص : ١٨٢ .
(٤) البقرة : ٢٧٢ .
(٥) د . عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية جـ٢ ص١٣٢ - ١٥٠

فهو القوى الأمين » . وكذلك العزيز حين تفرس فى سيدنا يوسف وقال لإمرأته : « إكرمى مثواه » .

ويرى أئمة الصوفية ان الفراسة موهبة دائمة فى جميع الأوقات ، يحظى بها الولى كمنة الهية ، ونفحة ربانية ، ويستخدمها متى شاء ، فهى فى أخلاق الصوفى وسلوكه وطبيعته لأنه ينظر بنور الله ، ولأن قلبه قد تطهر من الحظوظ والهوى فلم يعد ينظر ببصره وانما ببصيرته ويلهم بالحق الهاما .

●●● الفقر ●●●

الفقر ضد الغنى ، وذلك لكسر فقار ظهره بالحاجة ، كما يقال الفقر كمعنى حسى لاثر الفقر ، وافتقر فقر مفتقر [١] .

ويستخدم الصوفية معنى الفقر بمعنى الفقد [٢] ، أى ما يحتاج الإنسان إليه ، فلا يعتبر فقيرا عندهم إذا كان متكبرا أو متجبرا ، مغرورا ، فالفقر معناه الحاجة ، والحاجة إلى الله على الحقيقة ، بمعنى أن يشعر رغم ماله وجاهه بحاجته وبعجزة وبفقره إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا احتاج إلى غيره لم يعد فقيرا ، فشرط الفقر هو حاجة العبد إلى الله تعالى على الدوام ، لانه ليس هناك غنى إلا الله سبحانه وتعالى .

وقد وردت الآية القرآنية : « يعدكم الفقر [٣] » ، فى هذا المعنى ، كما وردت كلمة الفقير فى قوله تعالى : « ومن كان فقيرا [٤] » ، ثم يرد الله سبحانه وتعالى على الذين يقولون أن الله فقير بقوله عز من قائل : « لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير [٥]» .

والله سبحانه وتعالى هو الغنى المغنى ، فهو غنى عن عباده، ثم هو مغن عباده بعضهم عن بعض ، لأن الحوائج على الحقيقة لاتكون إلا إليه ، فالمخلوق

---

(١) معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص : ٤٤٤

(٢) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين جـ١٣ ص : ٢٣٩١. وما بعدها كتاب الشعب .

(٣) البقرة : ٢٦٨   (٤) النساء : ٦

(٥) آل عمران : ١٨١

لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك ذلك لغيره ، وفى ذلك قيل « من رفع حاجته إلى الله تعالى ثم رجع عن حاجته إلي غيره ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالحاجة إلى الفقر ، ثم نزع رحمته من قلوبهم » ، ومن شهد افتقاره إلى الله تعالى ورجع إليه عند حاجته أغناه من حيث لم يحتسب ، وأعطاه من حيث لم يفتقر [(١)] .

ولقد اختلف الصوفية فى تفضيل الفقر عن الغنى ، فذهب الجنيد والخواص فى تفضيل الفقر ، وذهب ابن عطاء إلى تفضيل الغنى ، فقال : « إن الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر » .

وفى تصورنا أن لكل منهما مقام ، فالفقير الصابر ليس بحريص على الانفاق وإنما قانع راض ، وأما الغنى الشاكر فإنه ينفق ماله فى الخيرات ، وليس حريصا على إمساكه ، أما الغنى الحريص ، والفقير الحريص ، فهنا يكون الموقف مختلف فى الحكم ، فلا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك ، كما أن الغنى الشاكر المنفق ، ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص .

●●● الفناء والبقاء ●●●

الفناء هو سقوط الأوصاف المذمومة عن السالك أو المريد الصادق ، فقد جاء رجل إلى بيت أبى يزيد البسطامى وطرقه ، فقال له : من تطلب ؟ . . . قال : أبا يزيد . . . قال : ليس البيت غير الله !! . . . وطرق مرة بابه طارق وقال : أهنا أبويزيد ؟ . . . فصاح : إن أبا يزيد فى طلب أبى يزيد منذ أعوام فما رآه ـ يشير بذلك إلى ذهابه عن الخلق إلى الحق بلا عودة .

والبقاء هو قيام الأوصاف الخيرة والنية الصادقة للسالك أو المريد الصادق ، ومعنى ذلك أنه إذا فنى العبد عن سوء الخلق بقيت له الكمالات الخلقية ، فالصفات التى يتصف بها الإنسان عبارة عن تصرف وسلوك وأخلاق هى جملة فيه وطبع ، فإذا فنى عن التصرفات والسلوك الذميم ، أى إذا فنى عن شهواته بقى له إخلاصه وطاعته فى عبوديته .

فالفناء والبقاء متكاملان ، فالعبد إذا زهد فى دنياه بقلبه ، فإن ذلك يعنى

---

(١) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص : ٨٩

أنه فنى عن رغبته فى الدنيا وزخرفتها ، وفى نفس الوقت بقى بالصدق والحق فيها ، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة ، فلم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ، أى أنه لم يجد لغير الله بديلا من الخلق . ولم يهتم إلا بالحق تعالى ، يقال عنه أنه فنى عن الخلق ، وبقى بالحق ، أى فنى عن بشريته ، وبقى مع الله ولله وفى الله بروحانيته .

والصوفية يحذرون من الوقوف فى بداية الفناء ، لأن ذلك يسبب الخلط ويوقع المريد فى الاتهام بالشرك ، كما حدث للحلاج عندما قنع بالفناء وقال « حتى ظننت أنك . . أنى » ، ولذلك يجب السلوك إلى فناء الفناء ، وهو البقاء فى عمق أبعاده ولكن ذلك بإرادة الله .

●●● الفيض ●●●

الفيض بالمعنى الحسى يقال عن الماء إذا جرى فى سهولة ويسر كما يقال عن الفيض فى المعنى المعنوى ويقصد به الجرد والعطاء الألهى [١] .

وقد ورد بهذين المعنيين فى قوله تعالى « تفيض من الدمع » [٢] وقوله تعالى « أفيضوا من حيث أفاض الناس [٣] » كما ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى « افيضوا علينا الماء [٤] .

ويرى بعض أئمة الصوفية [٥] أنه لا يصفو قلب المريد الصادق ، حتى يصير ككلب أصحاب الكهف ، فيربض بعتبه الله تعالى ويسترسل معه ، فالمؤمن الحق الذى ينتظر خروج الحق عليه بمنته وعطاياه ، فاذا شعر بضعف فى إيمانه فعلية بالكتاب والسنة ، حتى إذا قوى إيمانه أن يسعى بالهمة والعزيمة ، وعند ذلك يفاض عليه بنعم الله وعلم الله وفضل الله وذلك ما فعله الإمام أبوالحسن الشاذلى قبل أن يفتح الله عليه [٦] .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص : ١٧٠

(٢) المائدة : ٨٣

(٣) البقرة ١٩٩

(٤) الاعراف ٥٥

(٥) الامام الجيلانى - الفتح الربانى والفيض الرحمانى ص ٢٩١ - ٣٠١

(٦) أبو الحسن الشاذلى - ص ٢ تحقيق الدكتور عبد حليم محمود

ويستخدم الصوفية لفظ الفيض بمعنى أن الحق تعالى يسبغ بعض نعمه على أحبائه ظاهرة وباطنة ، بفتح ربانى ، فالصوفى الهاجر لمجالس الخلق ، يقنع بالذكر حتى يقدح فى القلب فيفيض الله عليه بنعمه وأسراره ، لمجالسته له . وان أولياء الله اذا اقتربوا من الخلق فهم صم بكم أما إذا اقتربوا من الحق تعالى لا يسمعون غيره ولا يبصرون سواه ، فهم فى هيبة دائمة ، ومحبة كاملة ، بين جلال جمال ، يغيبون بالأنس والقرب من الله ويقربهم بالفيض الرحمانى والفتح الربانى والفضل الإلهى ، فمن شراب أنسه يشربون ، فهم فى شغل عن سماع كلام الخلق لأنهم فى واد ، والحق فى واد .



حرف القاف

ق

●●● القبض والبسط ●●●

يقال القبض على أنحاء متعددة من الناحية اللغوية وقد ورد فى القرآن الكريم أيضا بمعان مختلفة كقوله تعالى « فقبضت قبضة من أثر الرسول [٢] بمعنى تناولت بيدى حفنة من التراب الذى سار فوقه فرس الرسول ، فالقبضة هنا بمعنى المقبوض [٣] .

كما أن القبض يقال أيضا ضد البسط بمعنى المحو والسحب كما ورد فى قوله تعالى « ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا » [٤] كذلك فإن القبض والبسط ورد بالقرآن الكريم بمعنى تضييق الرزق وتوسيعه [٥] وذلك فى قوله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » [٦]

كما أن يقبضون بمعنى يبخلون فلا يؤدون ما عليهم من صدقة أو زكاة أو كما يمكن أن يقال القبض على الأمتلاك والسيطرة على الشيء ، بهذا المعنى وردت الآية الكريمة فى قوله تعالى « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة [٧] أى فى حوزته لا يسيطر عليها أحد سواه .

ويستخدم الصوفية القبض ضد البسط وهى الواردة فى قوله تعالى « ثم قبضناه قبضا يسيرا » ويريدون بالقبض عليه الخوف ، وبالبسط غلبة الرجاء على

---

(١) الفتح الربانى - ص : ١٤ - ١٥ .

(٢) طه : ٩٦ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص : ١٧٣ جـ٢ .

(٤) الفرقان : ٤٦ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص : ١٧٣ جـ٢

(٦) القمر : ٢٤٥ .

(٧) الزمر : ٧٧ .

القلب ، فإذا خاف الصوفى من وعيد الله كان قبضا ، وإذا رجا الصوفى وعد الله ونعيم الله كان بسطا ، ويرى بعض أئمة الصوفية أن الله تعالى إذا كاشف عبدا بنعت جلاله قبضه ، وإذا كاشفه بنعت جماله بسطه [١] .

فالصوفية يرون أن القابض الباسط على الحقيقة هو الله سبحانهُ وتعالى ، والقبض والبسط من صفات فعله عز وجل ، لأنه قابض الأرواح عند الموت وباسط الأرواح فى الأشباح عند الحياة [٢] .

والفرق بين القبض والبسط هو الفرق فى الوارد [٣] ، فهناك وارد على قلب العبد من الله تعالى يوجب قبضا كما أن هناك وارد يوجب بسطا [٤] .

فالفرق بين القبض والسبط إذن ناتج من غلبة الحال على قلب العبد ، فهذا عبدغلب عليه حال الخوف [٥] فحاله الخوف ، وهذا عبد غلب عليه حال الرجاء فحاله الرجاء .

كما أن القبض خوف من زوال نعمة ، أو ضياع محبوب ، أو هجوم محظور ، أما البسط فهو أمن ورجاء للمريد ، كأن يتطلع إلى زوال محظور ، ويأمل فى قرب المحبوب .

وبذكر صاحب طبقات الصوفية [٦] أن سيدنا الخضر عليه السلام كان على مقام البسط دائما ، والبسط كما يعرفه الصوفية أول أسباب البقاء [٧] أما القبض فهو أول أسباب الفناء ، والصوفية يرون أن قبض كل عبد على حسب بسطه ، وبسط كل عبد على حسب قبضه بمعنى أن رجاءه حسب خوفه ، وخوفه من الله حسب أمله فى الله ورجائه فيه .

ويرى صاحب اللمع أن القبض والبسط حالان شريفان ، لأهل المعرفة ،

---

(١) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص : ٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) راجع الوارد بالكتاب .

(٤) الرسالة القشيرية جـ١ ص : ١٩٦

(٥) راجع بالكتاب الرجاء والخوف .

(٦) الامام السلمى - طبقات الصوفية ص : ١٠٦ - ١٢٤

(٧) راجع بالكتاب البقاء والفناء .

فإذا قبضهم الحق « تعالى » أبعدهم عن تناول الأكل والشرب والكلام ، وإذا بسطهم ردهم إلى هذه الأشياء وتولى حفظهم فى ذلك ، فالقبض فى رأيه معرفة ، والبسط تولى ، ورعاية من الله ، حتى يتأدب الخلق بصاحب البسط ، ويؤيد ذلك بقوله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون »[١] .

ويؤكد نفس المعنى الإمام أبو الحسن الشاذلى فيرى أن القبض ظلمة تحت النور الممتد من القلب ، وان البسط نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه ، أى أن البسط نور فى نور والقبض ظلمه تحت نور[٢] .

●●● القرب والبعد ●●●

يذكر فى القرآن الكريم القرب بمعنى الدنو أى موضع العطف والرعاية ، وذلك فى قوله تعالى « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا »[٣] ، وقوله تعالى : « كلا لا تطعه وأسجد وأقترب »[٤] ، وقوله تعالى « وإذا سألك عبادى عنى ، فإنى قريب[٥] .

فالقرب هو التقرب إلى الله وذلك بكثرة العبادات ، وعمل الطاعات ، وفى هذا الحال يكون المريد دائم التطلع إلى الله لا يرى شيئا سواه ، فلا يأتى عملا يكرهه الله ولا يترك عملا يحبه الله .

والبعد عكس القرب ، لأنه بعد عن التوفيق فى القرب من الله أو بعد عن التحقيق ، أى معرفة الله ، ولذلك يهتم أهل الحق بعمل الصالحات لتقربهم إلى الله تأييدا لقوله تعالى « إلا أنها قربة لهم »[٦] أى العمل الصالح الذى يقربهم من الله تعالى .

والبعد عند ابن عربى[٧] هو الاقامة على المخالفات ، والقرب هو القيام بالطاعة وقد يطلق على حقيقة « قاب قوسين » .

ويرى صاحب الرسالة القشيرية[٨] أن أول رتبة فى القرب ، القرب من

---

(١) البقرة : ٢٤٥ .

(٢) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى ص : ١٢٩ .

(٣) مريم : ٥٢ .

(٤) العلق : ١٩ .

(٥) البقرة : ١٨٦

(٦) التوبة : ٩٩ .

(٧) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية - جـ٢

(٨) الرسالة القشيرية - جـ١ ص : ٢٣٦

طاعته والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته ، وأما البعد فهو التدنس بمخالفته ، والتجافى عن طاعته ، وأن أول البعد ، بعد التوفيق ثم بعد عن التحقيق .

وقد سئل أحد الصوفية عن القرب ؟ [١] . . فقال : « هو الطاعة » ، وقال آخر : القرب أن يتدلل عليه ويتذلل له لقوله تعالى « واسجد واقترب » [٢] .

●●● القشر واللب ●●●

يتكلم بعض أصحاب المذاهب الباطنية عن القشر ويعنون به الشريعة الظاهرة ، وذلك فى مقابل اللب وهو الحقيقة ، ويرون أن الذكى هو الذى يتمسك باللب ويترك القشر الذى يعتبرونه للجهلاء والأغنياء ، وأنه يجب النظر إلى القرآن بعين اللب ، لأن لظواهر القرآن بواطن لا يعرفها إلا الأذكياء ولقد هاجم الإمام الغزالى هذه الفرق الضالة ، وأثبت أنها جميعا قد خرجت عن الإسلام ، ومن هذه الفرق ، القراطمة ، والثعلبية ، والمزدكية ، والسبعية ، والمحمرة ، والتعليمية ، والزيدية والاسماعيلية وغيرها كثير[٣] .

أما الصوفية فيرون أن القشر هو الذى يعين على معرفة طريق الله ، وبدونه لا علم ولا عمل ، لأن القشر هو الشريعة الظاهرة ، التى توضح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام ، والأحكام والمعاملات والطاعات والمباحات ويصون الإنسان من فساد الأفكار ، ويعين على معرفة الطريق المستقيم .

والناس صنفان أصحاب شريعة ، وهم الذين يبحثون بالنظر ، وأصحاب حقيقة ، وهم الذين يطبقون الشريعة فتصبح سلوكا وأخلاقا وغاية ، فى الظاهر والباطن .

وبهذا المعنى يكون أصحاب اللب هو المطبقون للقشر ، فاللب هو ما يخفى على الذين يتعلقون بالدنيا الفانية ، ولم يتخلصوا بعد من طبعاتهم وعادتهم وخطوط أنفسهم ، أما اللب فهو حقيقة الحقيقة أو مادة النور الالهى ، التى يلقيها الله فى قلوب عباده المقربين .

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف - ص : ١٢٧ - ١٢٨

(٢) الفلق : ١٠ .

(٣) الامام أبو حامد الغزالى - فضائح الباطنية ص : ٣ - ١٥

●●● القطب الغوث ●●●

يقول السهروردى[١] : أن العالم ما خلا قط عن الحكمة وعن شخص قائم بها عنده الحجج والبينات ، وهذا يدل على أن القطبانية هى صورة من صور النبوة .

فالإمام أو الخليفة هو القطب أو الإنسان الكامل والأقطاب أو الأئمة هم الدعائم التى يقوم عليها صرح الوجود ، وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق .

ومعنى ذلك أن القطب عند شهاب الدين السهروردى هو أعلى درجة بين الواصلين ، وقد يكون مستوليا ظاهرا ، أى له مقاليد الأمور السياسية ، فيصبح العصر نورانيا ، أى عصر ازدهار وتقدم ، وقد يكون القطب خفيا غير مسئول ، حامل الذكر ، ليس له أى تأثير فى الشئون الزمانية ، وعلى ذلك تخلو الأرض من التدبير الإلهى ، وتغلب عليها الظلمات أى التأخر والانحطاط .

ونجد أعلى الدرجات عند الحكيم الترمذى[٢] هم المقربون ويسميهم بالأمناء أو بالمنفردين ، وأحيانا بالنجباء ، وأحيانا بالبدلاء ، وهو كما يقول القائمون بالحجة المفوض اليهم فى الأمور ، فهم أولو الأمر ، الذين تجب طاعتهم على الأمة .

« أولئك الأقلون عددا ، الأكثرون عند الله قدرا . . هم الأمناء فى عباده » .

ولما كان لا يكون فى الزمان إلا واحدا يتولى القطبانية » فهو إذن الوالى فى الأفراد وإن وجد من يكون أعلم منه بالله تعالى .

●●● القيوم ●●●

القيوم من أسماء الله تعالى لا يوصف به سواه ، وهو صيغة مبالغة لقائم ،

---

(١) دكتور محمد على أبو ريان - أصول الفلسفة الاشراقية ص : ١٠٥ وما بعدها دار الطلبة العرب بيروت ١٩٦٩ الطبعة الثانية .

(٢) د . عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص : ٢٧١ - ٢٧٦ الجزء الثانى - مجمع البحوث ١٩٧١

ومعناه الشديد القيام على الأشياء والحافظ عليها[١]، وذلك المعنى وارد فى قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم »[٢].

ويستخدم صاحب الاشراق[٣] القيوم بمعنى القائم على كل شيء ، والقيام بمعنى الدوام ، ويرد فى نص عند السهروردى فى مقدمة هياكل النور ما نصه :

« ياقيوم أيدنا بالنور ، وثبتنا على النور ، واحشرنا إلى النور ، واجعل منتهى مطالبنا رضاك ، وأقصى مقاصدنا ما يعدنا لأن نلقاك ، ظلمنا أنفسنا ، لست على الفيض بضنين ، أسارى الظلمات بالباب قيام ينتظرون الرحمة ، ويرجون الخير » .

ومن هذا النص نرى ايمان السهروردى[٤] العميق بالشريعة المحمدية ، كما نرى التجربة الذوقية الفردية التى يمر بها إلى محاريب الله ، إلا أنه يستخدم تعبيرات قد استعارها من فلسفات ومذاهب أخرى .

ويرى بعض أئمة الصوفية أن من علم أنه تعالى الحى القيوم الذى لا يموت ، فإنه لا يعتمد على مخلوق ، لأن من اعتمد على مخلوق وتوكل عليه لوقت حاجته يحتمل فناؤه وقت حاجته إليه ، فيضيع رجاءه وأمله[٥].

ويروى أن رجلا قال : أن صديقى فلانا مات ، فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصرى ، فقيل له : إن الذنب ذنبك حيث أحببت الحى الذى يموت ، هلا أحببت الحى الذى لا يموت حتى كنت تستغنى عن البكاء عليه[٦].

ومن عرف أن الله هو القيوم وهو القائم بكل الأمور لاستراح من كثرة التدبير ، وتعب الاشتغال بنفسه وغيره ، وعاش فى راحة النفس ولم يكن للدنيا عنده قيمة .



---

(١) معجم ألفظاظ القرآن الكريم جـ٢ ص : ١٦٧ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) الشيخ شهاب الدين السهر وردى - هياكل النور ص : ١٠ - ٣٠ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الامام القشيرى - التحبيرى فى التذكير ص : ٧٦

(٦) المرجع السابق .

حرف الكاف

ك

●●● الكبائر ●●●

يختلف الائمة فى عدد الكبائر التى بسببها يدخل العبد النار والرأى الغالب أنها سبع عشرة ، أربعة من أعمال القلوب ، وهى الشرك ، والاصرار على المعصية ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكره تعالى ، وأربعة فى اللسان وهى شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين التى تحل بها باطلا والعكس ، والسحر لأن السحرة هم النفاثات فى العقد وثلاثة فى البطن كشرب الخمر وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا ، واثنان وهما الزنا ، واللواط ، واثنان فى اليد ، كالقتل ، والسرقة ، والفرار من الزحف وعقوق الوالدين .

وإذا لم يؤد العبد الفرائض الخمس وكان مرتكبا للكبائر فهو من الهالكين لأن صاحب الكبيرة ممن خفت موازينه فيعتبر من المسرفين أصحاب النار ، فيدخل النار لنقص اسلامه ، ولزيادة سيئاته إذ لم تمحها حسناته .

ويرى بعض الصوفية إن المؤمن صاحب الكبيرة لا يكون مخلدا فى النار وذلك لصحة توحيده ، لأن أول من يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان[1] وقد جاء فى العلم أن آخر من يبقى فى جهنم فى الموحدين سبعة آلاف سنة ، ويؤيد ذلك سعيد الخدرى[2] وهو من الصحابة فيقول : « والله لا يخرج عبد من النار بعد أن دخلها حتى يقيم فيها سبعة آلاف سنة » فيخرج المؤمن الفاسق من النار حسب ايمانه ، ويخرجون متفاوتون من اليوم والجمعة والشهر والسنة فأكثرهم ايمانا اقلهم مقاما فى جهنم ، وأقلهم مكثا أكثرهم حسنات .

والكبائر عند الصوفية هى ما كبرت ، كالفرائض الخمس التى هى أبنية

---

(١) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب ج٢ ص ٣٠٧

(٢) السابق ٣١

الإسلام ، إذا تمت كفرت ما بعدها من السيئات ، وبدلت سيئاته حسنات ، تصديقا لقوله تعالى « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ، ما عدا الكبائر ، فإذا اجتنبت الكبائر كانت الصلاة كفارة الذنوب .

ويعتبر الإمام أبو الحسن الشاذلى[١] الجهل من أكبر الكبائر ويقول : لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين : « حب الدنيا بالايثار ، والمقام على الجبل بالوضا » . لأن حب الدنيا أساس كل خطيئة ، والمقام على الجبل أصل كل معصية[٢] .

ويعتقد الإمام الجيلانى أن المؤمن صاحب الكبيرة يدخله الله النار ولكنه لا يخلد فيها ، إذ يخرجه منها لأن النار فى حقه كالسجن فى الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ، ولا تلفح النار وجهه ، ولا تحرق أعضاء السجود منه ، ولا ينقطع طمعه من الله عز وجل فى كل حال .

●●● الكبر والتواضع ●●●

الكبر من التكبر وهو التجبر وادعاء الكبر أو الانصاف به وقد ورد فى قوله تعالى : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق[٣] وقوله تعالى : « إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »[٤] ، أما التواضع فهو التذلل لله تعالى[٥] ، فيجد العبد العظمة والجبروت للحق تعالى ، ويجد فى نفسه خضوعا وانصياعا لأوامره ونواهيه ، والمتكبر على النقيض من ذلك فهو متعاظم لا يخضع للحق عنادا ، وإثما ، وتجبرا ، وذلك وارد فى قوله تعالى : « قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »[٦] وقوله تعالى : « إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه »[٧] أى عظمة تحول بينهم وبين الايمان بالله وتجعلهم ينكرون الآيات التى تدل على وجوده .

---

(١) دكتور عبد الحليم محمود - ابو الحسن الشاذلى ص : ٥٥ أعلام العرب عدد : ٧٢

(٢) الامام عبد القادر الجيلانى - الغنية جـ١ ص : ٥٥ الطبعة الثالثة ، تراث الاسلام

(٣) الاعراف : ١٤٦

(٤) البقرة : ٣٤

(٥) مختار الصحاح ص : ٧٢٧

(٦) النحل ٢٢

(٧) غافر : ٥٦

ويقول صاحب قوت القلوب[1] وفى الخبر « فضل العبادة التواضع » والتواضع يظهر بمعان خمس : القول ، والفعل ، الزى ، والأثاث ، والمنزل ويحصل المؤمن على بعض هذه المعانى ، فإذا كملت فى عبد فهو المؤمن المتواضع حقا ، وضد هذه المعانى الخمس الكبر ، ويبتلى المؤمن ببعضه منها ، ويعافى من البعض الآخر ، أما إذا كملت فى عبد فهو المتكبر .

ويرى الشيخ السمرقندى [2] أن المتكبرين يأتون يوم القيامة فى الذل ويغشاهم العذاب ، من كل مكان ، ويسلكون فى نار ويسقون من طينة أهل النار .

ويحكى عن الحسين رضى الله عنه أنه مر بمساكين يأكلون كسرا من الخبز ، فقالوا : ياعبد الله .. الغذاء .. فنزل الحسين عن فرسه وقال أنه لا يحب المتكبرين ، فأكل معهم ثم قال لهم : لقد اجبتكم فأجيبونى ، فانطلقوا معه فلما أتوا إلى منزله قال لجاريته : أخرجى ما كنت تدخرين ، فأخرجت ما كان عندهم فأكلوا وأكل معهم ، وحملوا معهم البقية .

ويقال أن الله تعالى يبغض ثلاثة أولها يبغض الفساق ، وبغضه للشيخ الفاسق أشد ، والثانى : يبغض البخلاء وبغضه للغنى البخيل أشد ، والثالث يبغض المتكبرين وبغضه للفقير المتكبر أشد .

ويحب الله تعالى ثلاثة أولها يحب المتقين ، وحبه للشاب التقى أشد والثانى يحب الأسخياء ، وحبه للفقير السخى أشد ، والثالث يحب المتواضعين ، وحبه للغنى المتواضع أشد .

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين ، فتكبروا عليهم ، لأن فى ذلك اصغار ومذلة لهم ، ولكم بذلك صدقة .

ويروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه أتاه ضيف ذات ليلة وكان المصباح ينطفىء فقال الضيف : يأمير المؤمنين . أقوم فأصلحه ، قال عمر : ليس من مروءة المضيف أن يستعمل ضيفه . قال الضيف : أأدعوا الغلام . قال عمر : « لا إنه نائم » ، وقام عمر فملأ المصباح ، فقال الضيف : قمت بنفسك ياأمير المؤمنين : فقال ذهبت وأنا عمر ، ورجعت أنا عمر ، وخير الناس

---

(١) الشيخ أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ٢ ص : ٨٢ .
(٢) الامام السمر قندى تنبيه الغافلين ٩٦ .

عند الله من كان متواضعا[١] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سافر إلى الشام فتناوب هو وغلامه ركوب الناقة ، يأخذ الغلام بزمام الناقة مقدار فرسخ ، ثم ينزل عمر ، ويركب الغلام وهكذا حتى بدت مشارف الشام ، فكانت نوبة ركوب الغلام ، وكان بالطريق ماء ، فخاض عمر فى الماء ، ونعله تحت أبطه اليسرى ، وهو يقود الناقة فاستقبله عمر أبو عبيدة وكان أميرا على الشام فقال : إن عظماء الشام يخرجون اليك ، فلا يحسن أن يروك على هذا الحال . فقال عمر : إنما أعزنا الله بالإسلام ، فلا أبالى .

ويقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأته امرأة وقالت انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، قال : أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد[٢] .

وسئل الإمام الجنيد رضى الله عنه عن التواضع فقال « هو خفض الجناح ، وكسر الجانب » وقال رويم رضى الله عنه « التواضع تذلل العلو » .

●●● الكرامة وخرق العادة ●●●

الكرامة هى خرق العادة على غير المألوف والطبيعى ، فهى تدخل فى باب المعجزات كطى المكان ـ أى الانتقال من مكان إلى آخر يبعد عنه مئات الأميال فى خطوة أو خطوات ـ والمشيء على الماء ، وكلام البهائم ، وظهور الشيء فى غير موضعه أو وقته ـ كالاتيان بفاكهة الصيف فى الشتاء ـ وقلب الاعيان ـ كتحويل المعدن الخسيس إلى معدن ثمين ، كالرصاص إلى ذهب .

قال أبو زيد :[٣] ليس الرجل من يسير مع القافلة ، انما الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها فى المنزل ، وعلامة العارف أن يكون طعامه ما وجد ، ومبيته حيث أدرك ، وشغله بربه .

والأولياء لا يفرحون باجابة الدعوات التى هى عين الكرامات ، كالمشى على الماء والهواء ، وطى الأرض ، وركوب السماء ، فإن أدعية الكفار تجاب ،

---

(١) الامام السمر قندى - تنبيه الغافلين ص : ٩٨ .

(٢) رواه الامام أحمد فى مسنده وداود وابن ماجه وابن حيان فى صحيحه وأبو هريرة والنسائى ورواه السيوطى فى الجامع الصغير ص : ٩٢ .

(٣) المناوى - الكوكب الدرية جـ١ ص : ٢٠

والأرض تطوى للشياطين ، والهواء ، مسخر للطير ، والماء للحوت ، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر .

ويتمثل الصوفية بآيات القرآن الحكيم والقصص التي وردت عن الصالحين ، كقصة مريم حين قال لها زكريا : « أين لك هذا ؟ . . قالت : هو من عند الله » . وقصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر فى خرقه للسفينة وهدمه للجدار ، وقتله للصبى ، وغير ذلك مما رواه لنا القرآن الكريم من خرق للعادة والمألوف .

والأخبار فى هذا كثيرة ووافرة ، فنجد أنه من كرامات الصحابة العديد ، قصة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين نادى قائد جيشه سارية وقال له وهو على المنبر ـ وكان سارية على بعد مئات الأميال يحارب جيش الاعداء ـ الجبل . . . الجبل أى ألزم الجبل ، وقد سمعه سارية على هذا البعد ، وأطاع أمره ، عما كان السبب المباشر فى انتصار جيش المسلمين .

والكرامة للأولياء ، أما المعجزة فالأنبياء ، والولى الصادق لا يدعى النبوة أو يقول أنه صاحب معجزة ، وهو يدعى إلى الحق والصدق ، فإذا منّ الله عليه بكرامة أو خرق عادة ، فإنه لا يدعى لنفسه النبوة ، ولا يقدح فى نبوة النبى أو الرسول أو يشك فيها ، لأنه يدعو إلى ما يدعو إليه النبى من الفضائل والآداب والمحافظة على السنن والأحكام الشرعية ، فإذا ظهرت عليه الكرامة قال : ذلك تأييد لدعوة النبى وإظهار لصدق للرسالة .

وقد أجاز بعض ائمة الصوفية ظهور خرق العادة والمألوف لدى بعض أعداء الله ، وذلك بقصد الاستدراج لهم للوقوع فى الهلاك والسقوط فى براثن الشرك ، وخرق العادة بالنسبة لهم تولد عندهم الغرور والكبرياء والتعظيم والتعجب ، ويعتقدون كذبا أنهم منحوا هذه الكرامات لأنهم يستحقونها بأعمالهم ، ويرون أن لهم الفضل على الخلق بها ، مما يزيد فى عذابهم فى الدنيا والآخرة .

أما الأولياء فإذا ظهرت لهم كرامة من الكرامات إزدادوا لله تضرعا وتذللا ، وخشية واستكانة بل وإزدراء لأنفسهم ، وتكون الكرامة بالنسبة لهم قوة تزيد من مجاهدتهم ونعمة تزيد من شكرهم ، وفضلا من الله على ما أعطاهم من نعم .

وخلاصة القول أن للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات ، وللأعداء مخادعات .

●●● الكشف ●●●

يستعمل الكشف فى المعنويات والحسيات ، فيقال كشف الشيء كشفا بمعنى أظهره ، ورفع عنه ما يواريه ، ويقال كشف عنه الهم أى أزاله[١] ، كما يقال عند الصوفية كشف عنه الحجاب ، أى حجاب الظلمة ، فرأى الحقائق فهى مكاشفة لا بعين البصر ، ولكن بعين البصيرة ، وقد وردت آيات قرآنية بهذا المعنى كقوله تعالى : « بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء الله »[٢] وقوله تعالى « أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة »[٣] .

ويروى عن الإمام أبى الحسن الشاذلى أن بعض الناس زعم أنه وصل إلى مقام المحبة لله ، وهو فى درجة تفنيه عن اتباع التكاليف الشرعية ، ويرد عليه أبو الحسن رضى الله عنه فيقول :[٤] سمعت هاتفا يقول « إن أردت كرامتى فعليك بطاعتى وبالاعراض عن معصيتى »

فالكشف الحق هو الذى لا يعارض الكتاب والسنة . والمريد الصادق هو الذى يدع الكشف ، ويتمسك بالكتاب والسنة ، والله سبحانه وتعالى ضمن للإنسان العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمها عن طريق الكشف ولا الالهام ، ولا الرؤى ، ولا المشاهدة ، وإذ لم يوافق الكشف الشريعة فلا ينبغى العمل به ، وهذا رأى الصوفية .



---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص : ٣١٦

(٢) الأنعام : ٤١

(٣) النجم : ٥٨ .

(٤) د . عبد الحليم محمود - أبو الحسن الشاذلى ص٨٩ أعلام العرب عدد ٢٢

حرف اللام

ل

●●● اللجا ●●●

معناه عند صاحب اللمع[1] صدق اللجوء إلى الله تعالى ، فالسالك إنما يشعر بعجزه وبفقره وحاجته إلى الله الصمد الكامل ، وهذه الحاجة دائمة ومستمرة ، لأنه يعرف أنه مهما أوتى من فضل ونعمة ، فإنما من الله ، فهو المعطى وهو الواهب ، وليس لنفسه حولا ولا قوة إلا بالله ، فهو فقير إلى الله ، يلجأ إليه على الدوام ، ويحتاج لعونه على الاستمرار ، فالصوفى فقير إلا بالله ، ضعيف إلا مع الله ، متوجه بقلبه أبداً إليه تعالى ، راجيا فى وعده ، خائفا من وعيده .

ويقول الواسطى رحمه الله[2] : « من لم يكن فى صدق الفاقة ، واللجأ ، إلا عند الموت ، بقيت الذلة عليه على دوام الأوقات » ، ومعنى ذلك أن من لا يلتجأ فى حياته الدنيوية إلى الله فى عمله ، ويشعر بصدق حاجته إلى الله ، إلا عندما يأتيه ملك الموت ، فيتذكر غفلته ، ويتمنى أن يمهله الموت ليتوب عن خطيئته ومعصيته ، ويرجع عن غيه ويندم على أفعاله التى افترقها فى دنياه ، ولكن قد سبق السيف العزل ، ولا مرد لكلمة الله ، فيقبضه ملك الموت وهو عاص ، ويبقى على حاله من الندم والمذلة حيث لا ينفع ندما ولا توبة ، وهنا تسود وجوه ، وتبيض وجوه ، لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، فيحصد الزراع ما زرعه إن خيرا بخير ، وإن شرا بشر » وهذا العاصى لم يلجأ إلى الله فى حياته ، فكيف يغفر الله له ما أقترفه من آثام وذنوب .

●●● اللحظ ●●●

اللحظ هو ملاحظة قلبية ، فالمريد الصادق ينظر بعين بصيرته لا بعين

---

(١) الامام السراج - اللمع ص : ٤٤٤ .

(٢) المرج السابق .

بصره . فتلقى فى قلبه المعارف القاء ، فهو عبد قد صفا قلبه ، وصدقت فراسته ، فرأى بنور الله ، وعلم الله ، وفتح الله .

وإن ما يلحظه الصوفى ، ويلاحظه ، لا يعتمد على المدركات الحسية ، من شم وبصر ، وسمع ، فحسب ، وانما يشهد الحقائق بفتح رحمانى ، ووهب ربانى ، ومنة آلهية ، وبذلك يزداد علما فوق علمه ، وعرفانا علاوة على عرفانه ، ويقينا زائدا على يقينه .

فاللحظ إذن لصاحب البصيرة ، المؤمن الصادق ، صاحب الأحوال والمقامات ، الذى يقذف فى قلبه العلم من الله ، فيزداد ايمانا ويقينا ، بما يلاحظه من المعارف والتجليات ، والكشوفات ، والمنن ، والعطايا فهو دائما فى شغل عن الخلق بالله ، فلا يلاحظ إلا الله ، ولا يسير إلا فى طريق الله ، ولا يعلم إلا عن الله ، وفى هذا يقول أحد الصوفية :

فلا إلى أحد همى ولا فطنى ولا إلى راحة أسلو فأنساه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف أذكره ؟ إذ لست أنساه[1]

●●● اللسان ●●●

استعمل اللسان فى القرآن مفردا وجمعا لأربعة معان ، إما باعتبار أنه أحد الحواس أو كعضو للتكلم ، أو كوسيلة لنقل الأفكار ، أو كطريق للذكر الحسن ، وفى المعنى الأخير يقرن بكلمة صدق[2] ، أى يقصد به « لسان صدق » هو الذى يعتبر لفظا صوفيا ، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين »[3] أى أجرى الله القرآن على لسان رسوله كبشرى للمتقين ، وكذلك ورد فى القرآن الكريم اللسان كوسيلة للغيبة والنميمة ، وذلك فى قوله تعالى : « فإذا هذب الخوف سلقوكم بألسنة حداد »[4] . ويعرض لنا الإمام الغزالى[5] لهؤلاء فيقول : « إن الذى يظن

---

(١) اللمع ص : ٤٣١ .

(٢) .معجم الفاظ القرآن ج٢ ص : ٣٨٣ .

(٣) مريم : ٩٧ .

(٤) الاحزاب : ١٩

(٥) الامام الغزالى - الكشف والتبين ص : ٢٤ (هامش كتاب تنبيه المغترين للامام الشعرانى) .

ان طاعته أكثر من معاصيه ، وذلك لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيها ، فإذا عمل طاعة حفظها ، وأعتد بها كالذى يستغفر الله بلسان ، ويسبح بالليل والنهار مثلا مائة مرة ، أو ألف مرة ، ثم يغتاب المسلمين ، ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار ، ثم يلتفت إلى نفسه ومداومة الذكر ، وما ورد فى الشرع فى فضل التسبيح ، وينسى ويغفل ما ورد فى عقوبة الكذابين ، والنمامين ، والمنافقين ، وكل ذلك محض غرور ورياء لأن حفظ اللسان عن المعاصى أكثر مثوبة من التسبيح » .

أما أخلاق الصوفية فهى تقوم أساسا على تربية النفس وتأديبها ، لذلك فاللسان هو لسان الصدق ، ويفرق بعض الصوفية بين لسان العلم ، ولسان الحقيقة فيقول الشبلى[١] رضى الله عنه « إن لسان العلم ما أتى الينا بواسطة ، أما لسان الحقيقة ما أتى الينا بواسطة ، أما لسان الحقيقة ما أتى بغير واسطة ، أى من الله وبالله ولله وفى الله . وسئل عن لسان الحق . ما هو؟ فقال : « ماليس للخلق اليه طريق »[٢] أى أن لسان الصدق لا يمكن بيان علمه ، ومعرفة حقيقته ، ولا الكشف عنه بالعبارة ، لأنه لسان الحق تعالى وأن المخلوق مهما وصل واتصل لا يعرف كنهه وصفته ونعته .

واللسان عند الصوفية بهذا المعنى كما يقرر الإمام السراج هو : « البيان عن علم الحقائق » فهو وحى الهى ، أو علم ربانى ، أو سر رحمانى ، أو فتح وكشف وفيض من الحق تعالى إلى أهل الخصوص[٣] .

●●● اللطيفة والرقيقة ●●●

يستخدم ائمة الصوفية لفظ لطيفة بمعنى الجزء المدرك من الإنسان ، أو الجزء الذى يقصد به تلك اللطيفة الربانية الروحانية للقلب الجسمانى ،

---

(١) اللمع ص : ٤٣٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) راجع أهل الخصوص بالكتاب .

ويرى الإمام الغزالى[١] أنه لا فرق بين القلب والروح لأن كلاهما بحاله الأدراك ، إلا أن الله سبحانه وتعالى حدد المقصود بالروح فى قوله تعالى : « قل الروح من أمر ربى »[٢]، كما أنه حدد دور القلب فى الإنسان فى قوله تعالى « إلا من أتى الله بقلب سليم »[٣]، وقد وصف الله نفسه باسم اللطيف ، واللطيف معان ثلاث[٤] : احداهما بمعنى العلم بدقائق الأمور وغوامضها ومشكلاتها ، والثانى يقصد به الشيء الدقيق الصغير ، وهو ضد الكثيف ، ومنه قيل لطف به إذا رفق به ، أى أوصل إلى منافعه من حيث لا يقدر ولا يقوى على الوصول إلى ذلك بنفسه ، وهذا هو المعنى الثالث ، فقوله تعالى « الله لطيف بعباده » يحتمل المعنيين أى عليما بهم وبافتقارهم وحاجتهم اليه فيرزق من يشاء كما يشاء ، ولطيف بهم بمعنى يحسن اليهم ويتفضل عليهم ويرفق بهم[٥].

وقيل من لطفه سبحانه أعطاهم من النعم ، ووصلهم إلى ما يحتاجون اليه من غير مشقة ومن لطفه أيضا توفيقهم[٦] للعبادات والطاعات وحفظهم من الوقوع فى الزلات وتثبيتهم على الايمان ، ويقول الإمام القشيرى : « ولكن سنة الله حفظ كل لطيفة فى طى كل كثيفة ، فقيل فى التراب الكثيف معدن الذهب ، والفضة ، وغيرهما من الجواهر ، وفى الدود معدن الحرير ، وكذلك جعل سبحانه فى قلب العبد لطيفه لمعرفته ومحبته مع أن القلب مضغة من لحم أو جسم صنوبرى لحمى يمثل الجانب الأيسر من الصدر فى الإنسان » .

ويستخدم كلمة لطيفة عند بعض أئمة الصوفية[٧] كاشارة تلوح فى الذهن ، وتلمح فى العقل ، ولا يمكن التعبير عنها باللفظ أو العبارة ، وذلك

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى - أحياء علوم الدين ج٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠

(٢) الاسراء : ٨٥ .

(٣) الشعراء : ٨٩ .

(٤) الامام أبو حامد العزالى - إحياء علوم الدين ج٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠

(٥) الامام الغزالى - احياء علوم الدين جـ٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠

(٦) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص ٥٣

(٧) اللمع ص : ٤٤٨ .

لدقة معناها ، وفى ذلك يقول ابن الأعرابى : « الحق يريدك بلطيفة من لدنه تدرك بها ما يريد بك ادراكه » ويوافق هذا المعنى ما أشار اليه الشيخ الأكبر[١] محيى الدين بن عربى فى معنى اللطيفة من أنها لطيفة تلوح فى الفهم لا تسعها العبارة وقد تطلق بازاء النفس الناطقة .

ويفرق العارف بالله القادرى[٢] بين الرقيقة واللطيفة فيرى أن الرقيقة هى اللطيفة الروحانية كما أنها قد تطلق على الواسطة اللطيفة كرابطة بين شيئين كالمدد الوارد من الحق إلى العبد ويقال عن تلك الرقيقة رقيقة النزول ، وكذلك نطلق الرقيقة على الوسيلة التى يتقرب بها العبد إلى الحق تعالى عن طريق العلوم والاخلاق السنية والمقامات الرفيعة ، وتسمى حينئذ رقيقة الرجوع ورقيقة الارتقاء ، وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد ونزول به كثافات النفس[٣] .

أما اللطيفة فيرى أنها النفس الناطقة ، وهى تنزل الروح إلى رتبة قريبة من النفس مناسبة لها ، بوجه ، ومناسبة للروح بوجه آخر ، ويسمى الوجه الأول لها الصدر والوجه الثانى الفؤاد .

●●● اللوائح والطوالع واللوامع ●●●

هذه المصطلحات يتشابه بعضها بعضها ، حتى يستشكل التفريق بينها فلا يكاد يظهر بينها اختلاف ، وهى جميعا من سمات أصحاب البدايات أى السالكين الصاعدين فى الترقى فى السلم الروحى من حال ، إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ـ وللمجتهدين ـ رزقهم وفى قوله تعالى : « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا »[٤] تذكير بالهبة ، أو المنة الالهية ، لأصحاب الولاية الصالحين ، والفرق بين اللوائح والطوالع واللوامع ، فرق فى الكم ، وليس فى الكيف .

---

(١) رسائل ابن عربى - كتاب اصلاح الصوفية ص : ١٥ - ٤٠ .

(٢) العارف بالله ابراهيم حلمى القادرى - مدارج الحقيقة - ١٩٦٢

(٣) مدارج الحقيقة ص ١٥ - ٤٠ . (٤) مريم : ٦٢

وتظهر اللوائح للسالك كالبرق - أى تظهر وقتية ثم تزول حالا - فتشرق نفسه بها لحظة ثم ما تلبث أن تسكن ، ويرى بعض الأئمة أن اللوائح هى ما يلوح للأسرار الظاهرة ، وذلك لزيادة السمو وللانتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك ، ويقول الجند[١] فى ذلك : لقد فاز قوم دلهم وليّهم على مختصر الطريق ، فأوقفهم على محجة المناجاة ، ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة ، بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ يقول عز وجل « وسارعو إلى مغفرة من ربكم »[٢] فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوحيدة لإقامة ما به يحظون عنده .

والطوالع أبقى وقتا من اللوائح ، وأقوى سلطانا على النفس وأدوم مكثا ، وأذهب للظلمة لكنها مع ذلك ليست دائمة أو مستمرة وانما إلى ترحال .

أما اللوامع فمأخوذة من لوامع ، البرق إذ لمعت فى السحاب وهى قريبة المعنى من اللوائح ، لكنها أظهر من اللوائح والطوالع ، وتستمر وقتا أكبر منهما .

واللوائح والطوالع واللوامع ، منها ما تشرق به النفس ، ثم يزول فينتهى ولا يبقى له من أثر ، ومنها ما يبقى عنه أثر فى النفس ، فإذازال بعد ذلك ، فإنه يسبب لها ألما حتى يفتح الله عليه مرة أخرى ويمن عليه من نعمه .

ويرى بعض العارفين أن الله يرد فى قلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت عليه القلوب من التصديق والايمان بالغيب ، وما بدا للقلوب الواقعة من زيادة النور حتى لا تمكن النفوس من توهم ذلك النور ، فلو توهمت انقطعت تلك اللوامع .

●●● اللوح ●●●

يقصد الصوفية باللوح أنه اللوح المحفوظ ، الذى لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، ويعبر عنه أحيانا بأم الكتاب ، ويوصف بأنه مستودع لما كان ويكون مما يعلمه الله ، وقدر أن يعلمه .

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص : ٤١٢ .

(٢) آل عمران : ١٣٢

ولقد ورد فى قوله تعالى ، « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ »[١] ، والألواح هى جمع لوح من جوهر معين كتب الله تعالى فيها بطريقة ما ، مواعظ وأحكاما ، مبينة للحلال والحرام ، ومجموع ما كتب فيها هو التوراة ، وقيل أن هذه الكتابة كانت قبل نزول التوراة ، كما ذكرت الألواح فى الآية الكريمة ، « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة »[٢] .

ويرى الشيخ الأكبر يحيى الدين بن عربى[٣] أن اللوح هو الموضع أو المكان الذى تسطر فيه الأعمال والأفعال الخيرة منها والشريرة إلى اليوم الآخر ، وإلى الحد المعلوم ، الذى شاء الله أن يكون .



(١) البروج : ٢٢

(٢) الاعراف : ١٤٥

(٣) الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى - رسائل محيى الدين بن عربى اصطلاح الصوفية .

حرف الميم

م

●●● المأخوذ والمستلب ●●●

المأخوذ عند أئمة الصوفية كالمستلب ، إلا أن المأخوذ أتم معنى ، فهو المنبهر أو المندهش ، يظن الناس أنه مجنون وما هو بمجنون ، لكنه مؤمن صادق فى ايمانه متوكل على الله ، والمأخوذ هو العبد المقصود فى الحديث النبوى « لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يظن الناس أنه مجنون » وفى قول الشاعر(١) .

فلا تلمنى على ما كان من قلقى   انى بحبك مأخوذ ومستلب

فهو عبد تظن أنه قد اختلطت عليه الأمور ، ولكن الحقيقة أنه سائر فى طريق الله فذهب حسه الفانى فى عظمة الله الباقى .

●●● المبتدىء ●●●

هو السالك الجاد ، أو المريد الصادق ، صاحب الهمة والعزم ، والمجاهدة فى صدق ، المكابد فى صبر ، القوى فى ايمان ، المطيع فى توكل ، الذى سلك طريق الصوفية ، يتكلف الآداب ، ويتمثل الاخلاق ، ويتأهب دائما لتأدية الواجبات ، له شيخ يرشده ، وطبيب بآفات نفسه ، يبصره ، لا يعترض ولا يضيق صدره ، بل يصح له الابتداء بقوة لا إله إلا الله ، وشهد له الصادقون بصحة عزمه ، وسلامة اراداته ، ولكنه لم يصل بعد إلى مواهب الأحوال ، ولا مكاسب المقام ، دائما يسير فى الطريق القويم والصراط المستقيم(٢) .

---

(١) اللمع - ص : ٣٢٠ - ٤٢١

(٢) السراج الطوسى - اللمع ص : ٤١٩

●●● المجاهدة ●●●

نجد المجاهد فى قول الله عز وجل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »[١] قال الحسن القزاز رحمه الله وفى مجاهدة النفس : « أن لا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنام إلا عند الغلبة ، ولا تتكلم إلا عند الضرورة »[٢] .

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله[٣] - : « إن ينال العبد درجة الصالحين حتى يجتاز عقبات ست :

الأولى : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

الثانية : يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

الثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

الرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

الخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

السادسة : يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم - عن أفضل أنواع المجاهدة : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

ويجمع ائمة الصوفية أنه لا يفتح على المريد بشيء من ثمرات التصوف أو يكشف له شيء منها بغير لزوم المجاهدة .

قال أبو يزيد البسطامى[٤] - رحمه الله - فى المجاهدة : « كنت اثنتا عشرة سنة حداد نفسى ، وخمس سنين مرآة قلبى ، وسنة أنظر بينهما (أى بين النفس والقلب) فإذا فى وسطى زنار ظاهر ، فعملت على قطعه فى اثنتى عشرة سنة ، ثم نظرت ، فإذا فى باطنى زنار ، فعملت على قطعه فى خمس سنين ، فكشف لى ، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى ، فكبرت عليهم أربع تكبيرات ، وهذه هى رحلة المجاهدة للنفس حتى لا يجد العارف اهتماما بالخلق والدنيا وما فيها ، ويبقى مع الله على الدوام وهذا مقام عال قل أن يوجد بين الناس .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) و(٣)الامام عبد القادر الجيلانى - الغنية جـ٢ ص : ١٨٢ .

(٤) الامام عبد القادر الجيلانى - الغنية ج٢ ص : ١٨٢

●●● المحاضرة والمكلشفة والمشاهدة ●●●

الدرجة الأولى التي يصل اليها السالك هى المحاضرة ثم يليها المكاشفة ، وأخيرا يصل إلى المشاهدة .

فالمحاضرة هي حضور القلب واستحضاره ، وذلك عند تواتر البرهان ، أى أن العبد المؤمن أو السالك عندما يرى برهان من ربه يتواتر ، عليه ويستحضر قلبه يطالع من وراء الستر ، أو من وراء حجاب ، ويستعد لتلقى الالهام الالهى .

أما المكاشفة ، وهى تلى المحاضرة ، وهنا يصبح الموضوع لا يحتاج إلى استيضاح ، فالقلب قد أيقن أن ما يتكشف له هو الحق ، وأنه واضح له بلا افتقار إلى بيان أو تأمل لدليل أو برهان .

ثم تأتى الدرجة العليا وهى المشاهدة ، وفيها يكون الوالى قد حضره الحق تعالى أما كلاما (صوتا يسمعه) أو برؤية عن طريق البصيرة ، ولا يمكن أن يختلط عليه الأمر أو يشتبه فيه ، ففى المشاهدة ينتفى الشك والخلط ، والشبهة ، فصاحب المحاضرة اذن يحكم بالشريعة فهو يرتبط بآيات الله ، وبيناته وشواهده ، وهو فى هذه الحالة مستوى - أى من خلف حجاب - فإذا تقدم كانت المكاشفة ويكون المريد فى حالة بسط أى متطلعا لزوال محظور وآملا رؤية أو مشاهدة محبوب :

وفى المكاشفة يرجو السالك أن يحصل بعد زوال الحجاب الحسى على ثمرة جهاده ، حتى يتحقق له ذلك بالمشاهدة ، ويصبح ملقى بذاته فى حجر الحق تعالى .

ويقول عمرو بن عثمان المكى[١] أول المشاهدة زوايد اليقين ، سطعت بكواشف الحصور غير خارجه عن تغطية الغيب ، وهو التماس القلب دوام المحاضرة ، عما دارته الغيوب وذلك فى قوله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو القى السمع وهو شهيد »[٢] أى هو حاضر .

---

(١) السراج الطوسى - اللمع ص : ١٢

(٢) ق ٣٧

●●● المحبة ●●●

الحب والمحبة ميل النفس إلى ما تراه أو تظنه خيرا ، أما محبة العبد لربه فهى تعظيم له ، وطلب للتقريب اليه وذلك بطاعته ، كما أن الله يحب عبادة المخلصين برضائه عنهم ، واحسانه اليهم ، ومثوبتهم على أعمالهم .

وقد وردت آيات قرآنية عديدة فى معنى وذلك فى قوله تعالى : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم »[١] . وقوله تعالى : « وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب »[٢] وقول عز من قائل : « سوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »[٣] .

ويرى الإمام الغزالى أنه لا تعرف حقيقة المحبة إلا بالمحبة نفسها ولا تعرف أيضاً إلا بمعرفة شروطها وأسبابها ، وبدون ذلك لا يمكن التحقيق من المقصود منها ، بمعني عما إذا كانت لله أو لشيء آخر »[٤] .

وقال الإمام الجنيد « المحبة ميل القلوب »[٥] ومعنى ذلك أن يميل القلب إلى الله ، وإلى ما لله من غير تكلف .

ومحبة الله عند الصوفية تعظيم لله ، فلا محبوب سواه ، ومحبة الله للعبد هو أن يسلبه فلا يصلح لغيره[٦] ، وهى فى معنى قوله تعالى : « واصطنعتك لنفسى »[٧] . ويقول سهل : من أحب فهو العيش ، « ومن أحب فلا عيش له »[٨] ومعنى ذلك أن المحب يتلذذ ويسعد بكل ما يرد اليه من حبيبه الذى هو الله ، من بلاء وابتلاء ، ونعمة ونقمة ، فهو العيش الحقيقى ، أما معنى من أحب فلا عيش له ، أن المحب لا عيش له مع الخلق لأنه يحيا مع حب الله

---

(١) آل عمران : ٣١ ٨ (٣) الصف : ١٢ .
(٢) المائدة : ٥٤ .
(٤) الامام الغزالى - الاحياء ج١٤ ص : ٢٥٧٤ .
(٥) التعرف - ص : ١٣٠ - ١٣١ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) طه : ٤٣ .
(٨) الاحياء ج١٤ ص : ٢٥٧٤ وما بعدها .

وعشق الله ولا يرى حبيبا سواه ولا عيش مع غيره ، فيذهب عيشه من الدنيا ويبقى عيشه لله تعالى .

ويرى الإمام الغزالى أن أسعد الناس حالا فى الآخرة ، أقواهم محبة لله ، فهو سعيد بانتقاله من الدنيا ، سعيد بلقاء محبوبه ويقول فى ذلك « ما أعظم النعيم الذى يبقى فيه المحب إذا قدم على محبوبة بعد طول شوقه ، واكتمل بذلك رؤيته على الدوام ومشاهدته على الاستمرار ، من غير حجب أو كدر ، وبدون ألم أو حزن أو رقيب ، وبلا خوف أو وجل . وهذا النعيم على قدر قوة الحب ، فكلما زادت محبة الإنسان لله تعالى ، كلما زادت اللذة التى يذوقها والسعادة التى تفاض عليه فى العالم الآخر .

ويقول الشبلى[1] رضى الله عنه « أهل المحبة شربوا كأس الوداد ، فضاقت عليهم الأرض والبلاد ، وعرفوا الله حق معرفته ، وتاهوا فى عظمته ، وتحيروا فى قدرته ، وشربوا من كأس حبه ، وغرقوا فى بحر أنسه ، وتلذذوا بمناجاته ، وأنشد فى معنى المحبة :

ذكر المحبة يامولاى اسكرنى ... وهل رأيت محبا غير سكران

وفى معنى المحبة تقول رابعة العدوية :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع [2]

والمحب على هذا الاساس قليل الاختلاط بالناس ، كثير الخلوة بالله تعالى ، دائم التفكير ، ظاهره الصمت ، لا يبصر إذا نظر ، ولا يسمع إذا نودى ، ولا يفهم إذا كلمه أحد ، ولا يحزن إذا أصيب ببلاء ، فلا يدرى ، ولا يشعر ، ينظر إلى الله فى خلوته ، ويأنس به ، ويناجيه ، ولا ينازع أهل الدنيا فى دنياهم .

ومعرفة الله واستيلاء المعرفة على القلب يتولد عنها المحبة ، والمعرفة والمحبة متلازمان ، فإذا عرف الله كان حب الله[3] .

ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلى : أحب الأحوال إلى الرضا بالمشاهدة ، واصدق الأقوال لدى قول لا إله إلا الله على النظافة ، وأولى الأعمال على محبة بغض الدنيا واليأس من أهلها »[4] .

---

(١) الامام الغزالى مكاشفة القلوب ص : ٢٢ وما بعدها .(٢) المرجع السابق .
(٣) الاحياء - ص : ٢٦٥٦ ج١٤ . (٤) ابو الحسن الشاذلى - ص : ١٤١

●●● المحو والاثبات ●●●

محاه يمحوه محوا ، أى إزاله وأبطله ، وأزال أثره ، أو طمس ما فيه ، فلا يظهر شيء منه[١] وقد رد هذا اللفظ فى قوله تعالى : « يمحو الله ما شاء ويثبت »[٢] .

ويرى بعض أئمة الصوفة أن المحو رفع أوصاف العادة ، أما الاثبات فهو عكس المحو ، وهو اقامة احكام العبادة ، فهو كعملية التخلية ، والتحلية ، تخلية عن الصفات والخصال الذميمة ، واستبدالها بالخصال والأفعال والأحوال الحميدة ، وهو بذلك صاحب محو واثبات .

وقد قيل إن الله يمحو عن قلوب العارفين من أهل الحق ذكر غير الله تعالى ، ويثبت على السنتهم ذكره تعالى .

ويعتقد ائمة الصوفية أن المحو والاثبات صادران عن القدرة الالهية ، فالمحو ما ستره ونفاه ، والاثبات ما أظهره الحق وأبداه[٣] .

●●● المخدع ●●●

هو الموضع أو المكان الذى يتستر به القطب[٤] وهو رئيس الحكومة الباطنية[٥] ـ حكومة الأولياء ـ ويسمى بالغوث ، وهو الذى يحكم المعمورة ويساعده الامامين فى ادارة الشئون ، ويختص كل منهما بحكم نصف المعمرة ، ويلى ذلك الأوتاد ، والأبدال والنجباء ، والنقباء ، والرجباء ، والرقباء ، وأهل الغيب ، وهم أعضاء الحكومة .

وكل ولى منهم يعرف المقامات التى تحته أو توازيه والقطب يختفى فى مخدعه ـ الذى يقال أنه فى مكة المكرمة ـ ولا يعرف مكانه إلا نفر قليل من الأولياء وأما أغلب الناس فلا يعرفون عنه شيئا .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن جـ٢ ص ٤٢٥ .

(٢) الرعد : ٣٩ .

(٣) الرسالة القشيرية الجزء الأول ص ٢٢٢ .

(٤) راجع القطب بالكتاب .

(٥) راجع الحكومة الباطنية للمؤلف .

ومخدع القطب يعتبر بمثابة النقطة من الدائرة إذ أنه مركز لدائرة يقع على محيطها مراكز الأولياء والمؤتمرين بأمره والخاضعين لحكومته ، وإذا مات القطب أخلف الله أحد الأولياء ليتولى شئون المعمورة بعده .

••• المداح •••

من المراسم التى تنفرد بها الصوفية دون غيرهم من الناس اختيار منشدين لطرائقهم وذلك لتشويق نفوسهم إلى الذكر ، وتقوية قلوبهم فى المجاهدة .

والمنشد أو المداح كما يراه الصوفية مثله كمثل الطبل فى الحرب ، فكما أن طبل عسكر الحرب يحرك الفرسان على الاقتحام وضرب العدو مهما كانت المعركة ضارية ـ فكذلك المداح أو المنشد فإنه يحرك عسكر الفقراء الصوفية على الاهتمام بالذكر فى حلقاته ومجالسه .

والمدح شروطا عديدة ، إذا لم تكن عنده امتنع فى رأيهم أن يكون مداحا ، بالحقيقة ، وانما مداحا بالمجاز ، فإن مشايخ الطرق تشترط أن يكون المداح الذى بمجلس الفقراء أن يمدح بغير طمع ، وتشوق لدنيا ، وأن يكون قصده مجرد وجه الله ، ولذلك يقال عند الصوفية إذا أخلص المداح « فإن له من الفقر سبعة قراريط » .

ويرى مشايخ الطرق الصوفية أن الشروط الضرورية التى يجب أن تتوافر فى المداح أو المنشد هى :

١ ـ الفقر بمعنى أن يكون فقيرا إلى الله زاهدا فى الدنيا وزخرفها .
٢ ـ أن يأذن له من شيخ الطريقة أو صاحب الجمع أن ينشد .
٣ ـ يشترط فى المداح أن ينشد الجمع ما بداخل قلوبهم من كلام الحقائق .
٤ ـ أن يكون نديم شيخ المجلس أو عارفا بروحه وقلبه .
٥ ـ أن يكون صاحب حال ووجد .
٦ ـ أن يكون أمين الخزائن السرية .
٧ ـ أن يكون بهلوانا بمعنى أن يكون مداديا ، وهذا معناه عندهم أنه يستطيع أن يظهر بعدو أهل الحق والدين ، إذا وقع فى يده ليمحوه .

والمداح ملوث بطمعه فى الدنيا ، وهو الذى يكون مدحه لأجلها ـ أو مداح أعطى وظيفته حقها ، ولكل منهما نصيبه ، وأكثر ما ينشده الصوفية ، الاشعار مع الذكر والأنغام والأصوات الحسنة ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ومناجاتهم لله تعالى ، مثل « توجهنا لرب العالمين ، وأصبحنا به متمسكينا ، وأمسينا وآيات التجلى ، كستنا من محبته اليقينا » ، ومثال آخر : « وقد شيدنا من حبه فسكرنا ، فسكرنا ، فعرفنا من أين نأتى الجوار ، ودخلنا دار الكرامة ، نروى بيقين الهدى ، وكنا حيارى » .

●●● المرى ●●●

إن الإنسان بما فطر عليه من حب المعاصي والانحراف عن الطريق القويم ، فى حاجة ماسة إلى علاج نفسه الامّارة التى تطيع الهوى ، وتعجب بذاتها ، وترغب فى لذاتها ، وتتجنب كل تكرهه وتدافع بلا هوادة عن الذى يؤلمها ، بل وتعاديه وتكرهه ، تنصب له الحقد ، والبغضاء ، والحسد وروح الانتقام ، والاستعلاء والكبرياء والتعالى والاستهزاء .

فالنفس إذا تركت وحالها دون أن ننصحها ونربيها ونعلمها دأبت بحكم جبلتها إلى المعصية، وازدات فى اعوجاجها وانحرافها ، حتى يصبح ذلك طريقها وغايتها ، ومنطقها ، وعادتها ، فلا تعرف فعلا غير حظ هواها ولذتها ، فتصبح نفسا منحرفة ، سقطت فى مكائد الشيطان ، وهذا ما يقع فيه كثير من الناس .

ولكى تنتصح النفس ويعتدل مزاجها وتتحسن طبيعتها ، وتسير فى توافق ومحبة مع الآخرين ، تحتاج إلى طبيب نفسى يعالج ما فى جبلة هذا الإنسان من آفات ، وما فى نفسه من انحراف واعوجاج ، فيبصره بعيوبه ، ويعرفه على آفاته ، ويعينه على اتجاه الطريق السليم فى فهم صحيح ودراية تامة ، فلا تتملك النفس الغرور أو التعجب ، أو الرضا عما هى فيه ، وإنما هى دائما عن طريق النصح والتوجيه والترشيد والتعليم .. تعترض على المساوىء والعيوب الباطنية ، وتنتصح بنصح الطبيب ، فلا تفرح لما هى فيه من توفيق ، ولا تعجب مما هى عليه من نجاح ، وانما هى دائما فى طريق وسط لا اسراف ولا تقصير .

ومن هنا تكون نفسا متوازنة ، متوافقة عن طريق ما يلقى فى روعها من حب الخير وتجنب الاثم والفسق والشرور .

لهذا فالنفس البشرية معرضة دائما للفتنة والغواية ، ففى أول الطريق تركن النفس إلى الشهوات وتميل إلى السيطرة والتحكم والعدوان حيث أن القلب

ما يزال ضعيفا ، ومن هذا الضعف تستطيع القوى التى ابتلى بها الإنسان أن تتحكم فيه ، وهذه القوى تتمثل فى جنود الشهوة ، وجنود الغضب ، فجنود الشهوة انما تظهر فى القلب لاستجلاب كل ملذ للنفس دون النظر إلى عواقب اللذة من أضرار .

وهذه الجنود انما تتحدد فى طبع الخنزير ، من خسة ودناءة وجبن وخبث ومكر ومكيدة ، كما تتمثل فى القلب الضعيف جنود أخرى هى جنود العدوان ، وهى تظهر فى دفع الألم مهما كان سببه عن النفس ، وهذا ما نجده فى طباع الكلب ، وتظهر ذلك عند الإنسان فى التهجم والكراهية والتعجب والترفع والاستعلاء والتجبر والعظمة والكبرياء والاستخفاف والحقد والحسد .

إذن جنود الغضب والشهوة تتحكمان فى الإنسان عندما يترك لهما العنان ويصير اليهما التحكم والقيادة بما فى قلبه من نزعات ، ومافى نفسه من شهوات ، تسير القلب حسب هواها . وتجعله تابعا لها ، لا متبوعا .

إلا أن الإنسان بما فضل به عن الحيوان ، له قوة أعظم ، وجند أقوى وأكمل فكما فى الإنسان قوة غضبية وشهوانية ، فإن فيه أيضا قوة عدل وحكمة ، هى ميزان للقوتين الاخرتين ، وتظهر هذه القوة فى ميزان العقل الذى يحكم بين الصالح والطالح من الأفعال ، أو يوازن بين متطلبات الجسم وخير الإنسان ، وسعادته ، وبها يفرق بين السليم من الأفعال وغير السليم منها .

فإذا ما قويت فى الإنسان قوة العقل ، وقوة الحكمة ، شهر القلب هذا السلاح الناجح ، ضد جنوح النفس وانحرافها ، فيتحكم القلب بهذه القوة الربانية ، على جندى الغضب والشهوة ، حتى يستقيم حال الإنسان ويتعرف على ما فيه من قوى سامية غير تلك القوى الشهوانية والعدوانية ، التى هى فى جبلته ، والتى يختص بها الحيوان .

يسلط القلب اذن جند الغضب على الشهوة ، فيسحقها ، كما يسلط القلب النورانى ، الشهوة على الغضب فتسكنه ، وهو بتسليط الشهوة على الغضب والغضب على الشهوة ، انما يوازن الجهاز النفسى ، ويجعله مستعدا للارتقاء والتسامى قابلا لتعديل موافقه وتغيير مسالكه ، فيعتاد على الخير ويتخلى عن الشر ، ويتحلى الإنسان بالصفات الكريمة المحمودة ويتخلص من الصفات الذميمة حتى يرقى بنفسه إلى درجة تصبح معه هذه العادات الطيبة أسلوبها ، وغاياتها فهو ارتقاء واع ، من حال النفس الامارة إلى حال النفس اللوامة ، التى

لا ترضى عن الخطأ ولا تقبل الانحراف ، فتفرق بين ما هو خير وما هو شر ، وما هو حلال وما هو حرام ، فلا تختلط الأمور الطيبة مع الشريرة ، ولا تتداخل الصفات المذمومة مع الصفات المحمومة ، لأن وراء ذلك كله خبرة بالنفس البشرية ومعرفة كاملة بجنوحها وشهواتها الدنيوية .

ولكن إذا ترك هذا الجهاز المسيطر فى القلب دون رعاية أو عناية ولم يستخدم ضد النفس وجنوحها ، وانحرافها ، استخداما منظما دقيقا ، ولم يأخذ دوره الرئيسى فى التربية والتعليم والتهذيب والتلقين فى حياة الإنسان فإن النفس تسير على طبيعتها هواها ، وتستخدم العادات السيئة ، والشهوات لاشباع حاجاتها فيكون كل ما هو حسى وشهوى ، من مشمومات ، ومسموعات ، ومنطوقات ، ومنظورات ، ومتذوقات ، هدفا وغاية ، وسبيلا لتحقيق الأنانية والاثرة ، وبذا يبتعد الإنسان عن الصدق والايثار ، ويركن إلى الكذب وحب الذات ، ويحاكى الحيوان فى أفعال الشهوة والغضب وينسى ما فى قلبه من قوى حكيمة أودعها الله فيه ، وأمتاز بها عن سائر الكائنات الأخرى ، ينسى الإنسان إذن ويتناسى حقيقته ، ويغفل ويتغافل عما فيه من روح وحكمة ، منقادا إلى الضلال ، فيقف فى مفترق الطرق يائسا ، قانطا ، متوجسا ، ليس له مواقف ثابتة ، أو علم واضح ، أو سلوك سليم ، وانما دائما متناقضا ، فأحيانا خائفا فزعا ، وأحيانا متكبرا جبارا متسلطا ، لا يخلو من عبودية شهواته ، وغرائزه ، ولا يشفى من هواجسه أبداً ، فهو فى موقف الحيرة واليأس والقنوط .

وإذا لم يتيسر لهذا القلب الضعيف التربية والتأديب والتعليم من طبيب عالم بهذه المسالب ، عارف بالنفس البشرية وخواطرها الشيطانية والملائكية ، ومر بالتجربة السلوكية وتفهم باطن الإنسان قبل ظاهره ، وعرف أن النفس الامارة انما هى التى ترغب فى الشهوات فتزين لنفسها كل ما فيه لذتها ومنفعتها ، وتكره كل ما تشعر فيه ضررها ومقتها ، فلا نفع منه ، ولا رجاء فيه ، فالطبيب المربى يعرف كل ذلك عن النفس الإنساني ، فإذا ما تيسر للمريد الصادق أن يقدم نفسه إلى طبيبه طالبا العون والمساعدة فيصدق معه فى القول والفعل ، وينتصح بأمره ، ويخلص له ظاهرا وباطنا ، فلا يخفى عليه خواطره الشيطانية ولا يكذب عليه فى احساساته الشهوانية ، ولا ينكر ما يجول بنفسه من رغبة فى العدوان والاستعلاء والكراهية .

عندما يكون هذا حاله من الصدق ، يرشده الطبيب النفسى ، وهو شيخه

المربى فيساعده على تخطى العقبات ، وينجيه من العثرات ، فيقوى فى نفسه اليقين بعد الضعة والضياع ، ويعلمه الاستقامة ، يستنير قلبه بالعلم والمعرفة بدل اليأس والجهل .

عند ذلك يشرق قلبه بالصدق والحق ، فيكون المريد سيدا على نفسه ، بعد أن كان عبدا لغرائزه ، ويستقيم حاله ظاهرا وباطنا ، بعد أن كان سائرا فى دنيا الانحراف ، بعيدا عن الاستقامة ومكارم الاخلاق .

إذن لكى يكتسب الإنسان شخصية متوازنة ، وسموا أخلاقيا ، وحبا ورضاء الهيا ، فعليه بالاخلاق الفاضلة ، وعليه قبل ذلك بأن يبحث عن طبيبه النفسى ، ولو كان هذا الطبيب فى بلاد بعيدة فعلية أن يطلبه ، ويبحث عنه ، حتى يعرفه ويبصره بضعفه ، فيقتدى به ، ويستمع لنصحه ، وارشاده بلا غرور ولا عصيان ، ويجاهد للتغلب على ما فى نفسه من قوى الضعف والسلبية ، ويتخلق بالمحبة والايثار ، ويتجنب الآفات والشرور ، ويتخلص من الاهواء ، والاحقاد والغواية .

وعندما يطيع طبيبه النفسى فانه يعاونة فى معرفة طريقه ، فلا يتقدم إلا فى طريق الحق ، ولا يسير إلا فى طاعة جند الحكمة فى قلبه التى تصحبه إلى طاعة الله فيزداد قلبه رسوخا ويقينا فى طريقه ، وحبا فى الله والناس جميعا .

اذن فإن صحبه الطبيب النفسى من تلك الصحبة الطيبة ، التى تعود المريد على رفض دواعى الشهوة مقتديا بشيخه وطبيبه ، مقبلا على ما ألقاه فى روعه من حب الطاعات وعمل الخيرات ، وتقوى الحق تعالى ، فيتحلى بالصفات المحمودة ، ويتخلى عن الصفات المذمومة ، ويتعاون على البر والتقوى ، فتكتمل شخصيته دينا ودنيا ، ولا يفكر إلا فيما هو حق وصدق ، ويبعد عن كل ما هو اثم وانحراف واعوجاج ، وتصبح نفسه عامرة بالايمان ، طالبة للاستقامة ، والسواء صابرة على العدوان والايذاء ، عاملة فى طريق الاصلاح والبناء ، وذلك بفضل حكمة الطبيب المربى ، واخلاصه وعلمه ودرايته .

فبدون الطبيب النفسى يصعب على الإنسان أن يتعرف على طريقه ويتخبط بين الخير والشر ، بل ويميل إلى المدح والمداهنة ، فتتلف نفسه من العزيمة والرضا عن الذات ، وتحجب عن الحقائق فلا يصلح معها علم أو تحصيل فهى وان أخذت العلم فلمصلحة الشهوة والغواية ، فلا تنتفع به إلا للمتكبر والاستعلاء على الخلق ، فتصاب بجنون حب الذات ، وبالرغبة فى السيطرة ـ والاذى بل

وتستخدم العلم للكراهية ، والمال للتسلط والعدوان ، فتمرض وليس لها من معالج ، وتهبط وليس فى استطاعتها النجاة ، لأنها سقطت فى بؤرة العادة والاعتياد ولا يمكنها الخلاص والشفاء

••• المريد والمراد •••

على المريد فى الطريق الصوفى أن يترك ما أعتاد عليه وتطبّع به بطريق التقليد والمحاكاة ، فلكى يصدق فى سلوكه إلى الله عليه أن يهجر الهوى ، ومطالب النفس الامارة ، وحظوظها وشهوتها ، ويتجه بكليته ، وبكامل ارادته لله سبحانه وتعالى ، فإذا أراد أن يتحرر من قيود الهوى والشهرة ، فعلية أن يصدق النية ويبدأ العمل .

إذن فالإرادة الطيبة ، والنية الصادقة ، انما هما الأساس الذى يجب أن يسير عليه المريد الصادق ، بل هما الطرق الموصلة لتطهير الباطن من برائن الشهوات والضلالات .

وصدق الارادة انما يكن فى الاتجاه إلى الله تعالى فحسب ، فهو اقبال خالص لطاعته ، وذلك بالعمل بالكتاب والسنة ، فيضىء القلب بنوره تعالى لا يرى حظا لنفسه لاسترسال ارادته مع الله ، ويعمى عن غيره تعالى من الخلق والمخلوقات .

فانعقاد الارادة إذن هى أساس الحب ، وما أراد المريد إلا بعد أن خلصت اراداته ، وما خلصت ارادته إلا بعد أن تطهرت نفسه ، وفتح على قلبه ، جمرة الخشية والخوف من الله ، فما بقى له إلا الله ناصرا ، وهاديا ومعينا ، فنومه ، واكله ، ووجده وكلامه ، ضرورة ، وهو يروض نفسه وينصحها ، ولا يجيبها إلى هواها وما تتلذذ به ، ويأنس بالخلوة مع الله ، ويرضى بقضاء الله ، ويختار أمر الله ، ويستحى من النظر لله ، ويقف على كل سبب يقربه من الله ، فهو مخلص على الدوام ، صادق على الاستمرار .

وعندما يصل المريد إلى هذه الدرجة ، يحبه الله ، ويقربه فهو اذن مراد الله قريب من رحمة الله ، ولطف الله ، تخلع عليه أنواع الخير وهى المعرفة ، والطمأنينة ، وينطق بالحكمة بأمر الله ، ويلقب بألقاب يتميز بها بين أحباب الله ، ويسمى باسماء لا يعرفها إلا الله ، ويطلع على أسرار لا يبيح بها الله

لغيره ، ويسمع ويبصر وينام ويسكن ويسعى وينطق ويبطش بقوة الله[١] .
ونحن نقصد من ذلك أن المريد إذا سكنت حركاته الشهوانية صار قلبه خزانة الله ، فهو مريد مبتدىء فى أول الطريق ، مراد لله فى نهايته ، فلقد جاهد كمريد ، وعانى كصابر ، وخالف نفسه الامارة ، ثم هو كمراد القى الله فى قلبه السكينة ، والطمأنينة ، من غير مشقة وتعب .
فالمريد[٢] يكابد ويجاهد ، والمراد يتنعم ويسعد ، والمريد يتولاه سياج العلم ، والمراد تتولاه رعاية الحق تعالى ، والمريد يسير ، والمراد يطير ، فمتى يلحق السائر على رجليه بالطائر فى الفضاء ، المريد إذن هو طالب الحقيقة والمراد هو المطلوب من الله ، المريد يجاهد يجاهد ، والمراد موهوب واصل ، والمريد موجود ، والمراد فان ، والمريد يعمل ، والمراد لا يرى العمل ، بل يرى التوفيق والمنة ، والمريد يكافح فى سلوك السبيل المستقيم ، والمراد قائم على مجمع كل سبيل ، والمريد ينظر بنور الله ، والمراد ينظر بالله ، والمريد قائم بأمر الله ، والمراد قائم بعلم الله والمريد يخالف هواه ، والمراد يتبرأ من درجته ومناه ، والمريد يتقرب إلى الله ، والمراد مقرب إلى الله .

••• المسخ •••

هو تحول الخلقة إلى صورة أخرى قبيحة[٣] ، كأن يحول الإنسان قردا أو خنزيرا ، ويرى بعضهم أنه أيضا تحول الإنسان إلى جماد ، والله سبحانه وتعالى إذا شاء مسخ الحيوان أو الإنسان على أى صورة شاء .
وقد استخدم الصوفية هذا اللفظ بمعنى مسخ القلوب ، فيعرف صاحب اللمع[٤] المسخ بأنه مسخ للقلوب التى اتبعت حظوظها ، وتوجهت لغير الله بعد أن كانت تسير فى رحابه ، متوجهة اليه ، فهى قلوب أعرضت ، ولما امتنعت عن حقوق ربها مسخت .

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية الجزء ٢ ص : ١٥٨٤
(٢) نفس المرجع .
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ٢ ص : ٤٤٠ .
(٤)اللمع - ص : ٤٤٨ .

وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز فى قوله تعالى : « ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون »[١] .

●●● المطلع ●●●

يقال اطلع على الأمر ، أى أعلنه به[٢] ، فأراه اياه ، واطلع على الأمر ، رآه وعلم به ، وذلك ورد فى قوله تعالى : « هل أنتم مطلعون »[٣] ، كما ورد فى قوله تعالى : « لعلّى أطلع إلى اله موسى »[٤] .

ويستخدم الصوفية هذا اللفظ بمعنى المعرفة ، أو العرفان الصوفى ، الذى يحظى به السالك ، الذى من الله عليه بنعمه ، فتجلى له فكشف له بعض الحقائق والأسرار عن طريق الذوق والالهام ، فالمطلع هو صاحب المكاشفة ، أو صاحب علم الحقيقة الذى ينظر إلى الكون بعين الحق تعالى[٥] .

●●● المكر ●●●

يسند المكر أحيانا إلى الله سبحانه وتعالى بأن يمهل العبد العاصى ولا يعاجله بالعقاب ، فيتركه ، فى غيه وتماديه ، فى الخديعة والمكر ، ثم يمكر الله به ، فيوقعه فى شر أعماله ، من حيث لا يشعر وذلك وارد فى قوله تعالى : « ومكروا ومكرا الله ، والله خير الماكرين »[٦] و قوله تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم ولا يشعرون »[٧] .

فمن قال إنى مؤمن فقد زكى نفسه وعصى ربه ، فالله تعالى قد نهى عن تزكية النفس ، وعرض المزكى نفسه للكذب مع الله ، لقوله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »[٨] وقوله تعالى : « الم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكى من يشاء »[٩] وقال تعالى : « انظر كيف يفترون على الله الكذب »[١٠] .

---

(١) يس : ٦٧ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ١
(٣) الصافات : ٥٤ .
(٤) القصص : ٣٨ .
(٥) رسائل ابن العربى - كتاب اصلاح الصوفية .
(٦) آل عمران : ٥٤ .
(٧) النمل : ٥٠ .
(٨) النجم : ٣٢ .
(٩) النساء : ٤٩
(١٠) النساء : ٥٠ .

فلا يشاء العبد إلا ما يشاء الله ، لأن الله قد سبقت كلمته ، وعلمه تعالى شامل جامع ومشيئته إلا هو ، فلا يأمن المرء من سعة علم الله ، واقتضاء مشيئته وهذا هو خوف المكر .

ويرى صاحب قوت القلوب[١] أن المكر مكران ، « الأول أن يظهر شيئاً ويخفى ضده ، والثانى أن يكشف ما كان قد ستره ، ويفشى ما كان قد اسره بعد الطمأنينة والعزة ، والأنبياء عليهم السلام رغم مكانتهم وعلو مقامهم يخافون مكر الله .

أما الضعيف الجاهل بايمانه يشعر بالغرور ، والاغترار بظاهر أمره فيحسب أنه فى مأمن من المكر ، ولا يعلم أن القبول غير العمل ، وحكم الله غير ما أظهر من المعاملة ، ولا ينبغى عليه لذلك أن يأمن فى شىء من الأحوال .

وقال بعض الأئمة أن أبا الدرداء رضى الله عنه كان يحلف بالله عز وجل ، ويقول :[٢] « ما أحد أمن أن يسلب ايمانه إلا سلبه » ومعنى ذلك أنه يجب على المؤمن أن يرجو الله أن يحفظ عليه ايمانه ، وأن يخاف مكر الله فى أن يسلبه ايمانه ، وعليه أن لا يأمن دخول الجنة ، والبعد عن النار ، نظرا لأعماله التى يقوم بها على خير وجه ، فالولى الصالح ، رغم اشراق نور الله فى قلبه ، وفتحه عليه ، وكشفه له ، بعض المغيبات ، وعلمه يقينا بأن الله معه ، رغم ذلك يستثنى فى كل شىء ويقول ربما كان عملى رياء ، ربما لا يتقبل منى ربى ، ربما لا تحسن خاتمتى فهو دائما يخاف المكر ، ويرجو الزيادة ، فى الطاعات ، والتوكل ، ويفنى ارادة نفسه ويسقط تدبيره مع الله ، ومن هنا يتقرب أكثر وأكثر إلى المقامات الرفيعة ، وهى مقامات القربة ، ومع ذلك لا يأمن المكر[٣] .

●●● المناجاة ●●●

من المناجاة ناجاه ونجاه أى ساره ، وخصه بالحديث فهو مناج ، ويأتى النجى فى معنى المناجى ، ويقال ناجيته فهو نجى[٤] وذلك المعنى وارد فى قوله تعالى

---

(١) قوت القلوب ص : ٢٧٦ وما بعدها ج ٢

(٢) المرج السابق .

(٣) قوت القلوب ج ٢ ص : ٢٧٦

(٤) معجم ألفاظ القرآن جـ١ ص : ٤٩٦

« وتناجوا بالبر والتقوى »[١] وقوله تعالى « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا »[٢] وكذلك فى قول عز من قائل « إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة »[٣] .

والصوفى كعبد صادق سترسل بنفسه وقلبه وعقله وروحه جميعا مع الله ، يشعر دائما باحتياجه إليه ، ولا يطيق أن يبتعد عنه ، فيناجيه تعالى ، ولا يجد لذة أجمل من تقربه اليه بالأذكار ، والنوافل والعبادات والطاعات ، فهو عبد عابد شاكر راض متوكل عليه تعالى ، ويرى نور الله فى قلبه ، وهيبة الله فى نفسه ، يتأمل ابداع الله فى خلقه ، فلا يرى إلا جماله وجلاله ، فيسبح فى بحار أحديته ، ويناجيه سبحانه وقد خفق قلبه بالمحبة ، واستضاء بنوره الأقدس وهذا ما نجده عند ذى النون الصوفى العاشق لجلاله وجماله يناجيه تعالى فيقول :

« الهى ما اصغيت إلى صوت حيوان ، ولا حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقعة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك ، دالة أنه ليس كمثلك شيء » .

ويناجى صوفى أخر ربه قائلا :

ومن أنت ؟ ياربى أجبنى فإنى   رأيتك بين الحسن والزهر والماء

ويناجى صوفى ثالث ربه فيقول :

يامـــن يرانـــى ولا أراه   كـــم ذا أراه ولا يـــرانى

ويحكى عن أبى عمرو بن علوان أنه سمع الجنيد رضى الله عنه طوال الليل يناجى ربه فيقول : « الهى وسيدى ، تريد أن تقطعنى عنك ، بوصلك أو تريد ان تخدعنى عنك ، بترك هيهات فسئل » أبو عمرو ما معنى هيهات ؟ . . . « قال التمكين » وهى مقام العارفين أصحاب الولاية العظمى أو كما يسميهم الإمام الغزالى أصحاب المرتبة الرابعة « الصديقون » .

●●● المنة ●●●

من عليه أنعم عليه ، كأن المنعم يقطع بإحساسه حاجة المحتاج[٤] ، وقد

---

(١) المجادلة : ٩ .

(٢) مريم : ٥٢ .   (٣) المجادلة : ١٢

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص : ٤٦٧ جـ ٢

ورد هذا المعنى فى قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم »[١] فهو انعام آلهى ومنه الهية ، وعطية ربانية ، ومنحة رحمانية ، وكذلك فى قوله تعالى « ولكن الله يمن على من يشاء من عباده »[٢]

ويرى ائمة الصوفية ، أنه إذا اجتهد المريد الصادق بالأخلاص والطاعة ، واثمر عمله بمنة آلهية ، أو منحة ربانية ، أو كشف رحمانى فإن ذلك يعد دليلا على القبول من الله . فالثمرات والنعم التى يحظى بها المريد الصادق ، انما هى لتأكيد أنه يسير فى طريق الحق فيجد لذة فى حلاوة الطاعة واستئناس بما يلقى فى قلبه من المعارف والتجليات وهى متن وعطايا .

ولكن لا ينبغى أن ينظر المريد إلى المنن كلذات يحصل عليها كنتيجة لاخلاصة فى عبادته ، أى لا يكون تاجرا مع الله ، بل يجب أن يشكر الله ويزداد ايمانا وتوحيدا واخلاصا ، لأن المنة الآلهية إنما تأكيد للمريد أنه يسير فى طريق الحق .

●●● الموت ●●●

يقال أن الموت حالة الإنسان بدون اتصال الروح به ، وهناك آيات قرآنية كريمة عديد فى ذكر الموت كقوله تعالى « والسلام على ، يوم ولدت ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا »[٣] ، وقوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها »[٤] والموت هنا مغادرة للعالم الدنيوى ، وانتقال إلى العالم الأخروى ، فحسب .

ولذلك يؤكد أئمة الصوفية أن أحباء الله من الأولياء والصالحين والشهداء لا يموتون ، وانما ينقلون من دار إلى دار ، أى ينقلون إلى دار الخلود للحياة الأبدية ، ولذلك فإن الأولياء لا يخافون الموت ، بل يطلبونه وينشدونه ابتغاء البقاء ، فى حجر الرحمن ، وكنف الله والعيش الرغد الذى وعدهم به الله تعالى ، ورسوله فى آيات عديدة وفى السنة المحمدية

---

(١) آل عمران ١٦٤
(٢) ابراهيم ١١
(٣) مريم ٣٣
(٤) الزمر ٤٢

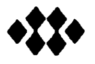
ويروى بعض الصوفية عن كثير من الصالحين معرفتهم المسبقة بانتقالهم إلى الدار الآخرة كقصة الشاب الصالح الذى وجد مكانا نظيفا . . فقال هذا مكان نظيف أموت فيه ، ثم وجد بعض الصالحين جلوسا فسلم عليهم ثم توضأ وصلى . . وبعدها وجد ميتا[١] .

ويروى عن شيبان الصوفى رضى الله عنه أن أحد الصالحين نزل عنده ضيفا فمات ، فلما أدخله قبره ، وضع خده على التراب تذللا عسى الله أن يرحمه . . فتبسم الشاب فى وجهه وقال له : تدللنى بين يدى من يدللنى ؟ فقال شيبان : لا ياحبيبى ولكن . . . أحياه بعد الموت ؟ فقال الشاب : أما علمت أن أحباء الله لا يموتون[٢] .

وقد سأل أحد الصوفية أخ له انتقل (وذلك بطريق التوجه) فقال له : أبعد الموت حياة ؟ فأجابه ، نعم . إنى لقيت ربى ، وأنه تلقانى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وأنه كسانى سندسا وحريراً ، وأنى قد وجدت الأمر ايسر مما ترون ، فلا تغتروا ، فإن خليلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ينتظرنى ليصلى على » .

ويروى الإمام ابن القيم الجوزية[٣] أن الموت يكون العذاب والتقيم للنفس والبدن جميعا وذلك باتفاق أهل السنة والجماعة .

ويقول اليافعى[٤] عن ابن الجلاء لما مات أبى ابتسم للمغسل ، فخاف ، ولم يجرؤ أحد أن يغسله واعتقدوا أنه حى جاء رجل من أقرانه (أى من الأولياء) وغسله .

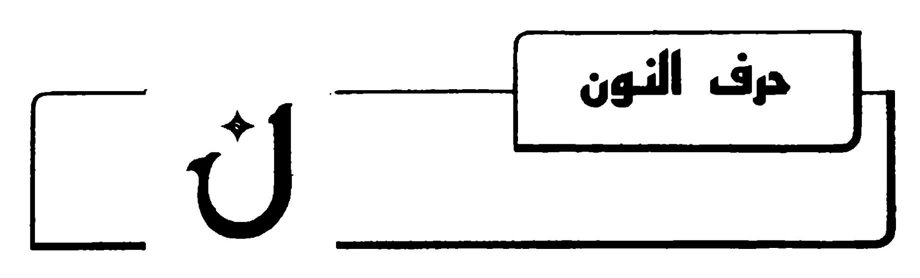


---

(١)و(٢)روض الرياحين ص : ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) الروح لابن القيم الجوزية ص : ٢٥ وما بعدها .

(٤) روض الرياحين - ص : ٢٠٥ وما بعدها .



●●● النجباء ●●●

ذكر سيدنا على كرم الله وجهه حدثنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إن كل نبى أعطى معه نجباء رفقاء ، أو قال رقباء ، وأعطيت أنا أربعة عشر فقلنا من هم ؟ قال أنا ، وأبنائى ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال وسليمان ، وعمار ، وعبد الله بن مسعود ، وقال صلى الله عليه وسلم لم يكن قبلى نبى إلا أعطى سبعة نجباء ، وزراء ورفقاء ، وأنى أعطيت أربعة عشر ، حمزة ، وجعفر ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والحسن ، والحسين ، وسبعة من قريش وابن مسعود ، وعمار وحذيفة ، وأبو ذر ، والمقداد ، وبلال)[١] .

النجباء والرحباء والنقباء :

وهم أثنتا عشر نقيبا فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد البروج الاثنى عشر وكل نقيب عالم بخاصية كل برج بما أودع الله فيه من الأسرار[٢] .

والرجباء هم ثمانية فى كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدو عليهم علامات القبول وأحواله ، وهم وان كانوا كذلك فليس لهم اختيار فى الحال الذى يكونون عليه ، ولا يعرف حالهم من كان فوقهم ، ولا من دونهم ، وهم أصل الصفات السبع المشهورة ، والادراك هو الثامن .

ويروى صاحب روض الرياحين عن سيدنا على بن أبى طالب قال[٣] :

---

(١) روض الرياحين ص : ٢٠٥ وما بعدها .

(٢) الشيخ المحب الطبرى - الرياض النضرة فى مناقب العشرة جـ ٢ أول ص : ٣٣

(٣) الروح لابن القيم - ص : ٢٥ وما بعدها .

البدلاء بالشام والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق ، والنقباء بخرسان والأوتاد بسائر الأرض ، والخضر عليه السلام بسائر الأرض .

وقال قال بعض العارفين : الصالحون كثير ، يخالطون العوام لصلاح الناس فى دينهم ودنياهم ، والنجباء فى العدد أقل منهم والنقباء أقل منهم[١] ، وهم مخالطون للخواص والابدال ، وفى العدد أقل منهم فى مصر إلا الواحد بعد الواحد وقال : بعض العارفين : أن عدد النجباء ثلاثمائة والنقباء ، أربعون والبدلاء ثلاثون ، وقيل أربعة عشر ، وقيل سبعة ، وهو الصحيح - والأوتاد أربعة[٢] .

ويروى ابن تيمية أن الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة هى الغوث الذى بمكة ، والاوتاد الأربعة ، والأقطاب السبعة ، والابدال الأربعون[٣] .

●●● النسبة ●●●

يقصد بعض أئمة الصوفية بالنسبة ، اهتمام الإنسان وهمه ، فإذا كانت هم الإنسان واهتمامه بالدنيا كانت نسبته إلى الدنيا ، وإذا كان همه الآخرة ، كانت نسبته إلى الآخرة ، إما إذا كان هم الإنسان ليس الدنيا ولا الآخرة وانما إلى الله تعالى كانت نسبته إلى الله تعالى ، فالمنتسب للدنيا مشغول بهوى نفسه ، وحظوظه فيها ، والمنتسب إلى الآخرة « يعمل فى دنياه من أجل آخرته ، ويطلب المثوبة على صالح أعماله . أما المنتسب إلى الله فهو التقى الورع ، العامل العابد ، المخلص لله على الدوام ، المحب له على الاستمرار ، فلا تشغله دنيا ولا آخرة ، ولا بلاء أو ابتلاء ، وانما عبد لله كالميت فى يد الغاسل ، لا يرى ولا يسمع إلا من الله ، وبالله ولله ، وفى الله .

والصوفى المحب لله ، المتوكل عليه ، يرى نفسه غريبا فى الدنيا ، فليس له أى نسبة فيها ، وانما نسبته لله تعالى .

---

(١) د مصطفى الشيبى - الصلة بين التصوف والتشيع ص : ٢٥٧ - ٢٦٥ - دار المعارف .

(٢) دكتور عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ص ٥٣

(٣) المرجع السابق ص ٥٣

ويقول صاحب اللمع[١] أن النسبة هى الحال الذى يتعرف به على صاحبه ، ومعنى ذلك أنها الحال الذى ينتسب اليه العبد ، ويقول الرازى رحمه الله : النسبة نسبتان ، نسبة الحظوظ ، ونسبة الحقوق ، فإذا غابت الخليقة ظهرت الحقيقة ، وإذا ظهرت الخليقة غابت الحقيقة[٢] .

●●● النفس ●●●

إن النفس الأمارة حالتين لا ثالث لهما ، حالة عافية وحالة بلاء[٣] ، فإذا كانت فى بلاء ، فالجزع دثارها ، والشكوى لباسها ، والسخط والاعتراض منهجها والتهمة للحق أخلاقها ، فلا صبر لها ولا رضا ، ولا موافقة بل إن سوء الأدب معدنها والشرك والكفر عقيدتها وايمانها .

وأما الحالة الثانية إذا كانت فى عافية ، فإن هذه النفس تتصف بالشره ، والبطر ، واتباع الهوى ، والشهوات ، وكلما تحققت لها لذه طلبت أخرى واستحقرت ما عندها من النعم ، من مأكل ، ومشرب ، وملبس . . الخ .

وتخرج النفس الأمارة لكل نعمة من هذه النعم عيوبا ، ونقصا وتطلب أبدا أعلى منها وأسمى مما لم يقسم لها ، وتعرض عما قسم لها ، فتوقع الإنسان فى كفر شديد وتعب طويلا ، ولا ترضى بما فى يديها ، فترتكب الحماقات وتخوض المهالك وتحيا فى غم شديد ، وتعب طويل لا غاية له ولا نهاية .

وقد قيل أن أشد العقوبات للنفس طلب ما لا يقسم ، وإذا كانت فى بلاء تتمنى أن ينكشف عنها ذلك البلاء ، وتنس كل نعيم وشهوة ولذة فلا تطلب شيئا سوى العافية والسلامة ، فإذا ما عوفيت رجعت إلى رعونتها وشرهها وبطرها ونسيت بلاءها وابتلاءها ، وأعرضت عن طاعة الله ، وأنهمكت فى معصية الله ، ثم ترد إلى بلاء أشد مما كانت عليه من البلاء والضر لما اقترفت من آثام وارتكبت من كبائر وعصيان ، وبهذا تكف هذه النفس عن المعاصى ، وتطلب العافية ، ولكن العافية لا تصلح لها ، والنعمة لا تقنع لحياتها ، بل أن حفظها فى البلاء ، والبؤس والشقاء .

---

(١) اللمع : ٤٣٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) الامام عبد القادر الجيلانى - فتوح الغيب ص : ٩٧ وما بعدها .

فلو أحسنت هذه النفس الأدب ، ولازمت الطاعة ، والشكر ، والرضا بما قسم لها لكان خيرا ، لها فى الدنيا ، والآخرة ، ولوجدت زيادة فى النعيم والعافية ، والرضا من الله عز وجل .

وإذا كان القلب والروح لهما أكثر من معنى ، فكذلك النفس تشترك فى أكثر من معنى ، فهى من ناحية صاحبة القوى الجامعة لجندى الغضب والشهوة فى الإنسان ، وبذلك تحمل الصفات المذمومة ، ولهذا دعى أئمة الصوفية إلى تربية النفس وترويضها ، عن طريق المجاهدات ، والرياضات ، ومخالفة هواها وشهواتها وذلك للوصول بها إلى الكمالات الأخلاقية .

ومن ناحية أخرى فإن للنفس الإنسانية معنى مختلف غير معنى الشهوة والغضب ، فيقصد بها الإنسان وحقيقته ، أو هى الروح التى بها حياة الإنسان ، فإذا زايلت الجسم نزل به الموت ، وهى باقية ما بقى فى الحى نفس .

كما أن النفس تقع موقع القلب والضمير الذى يكون فيه السر الخفى وقد يعبر عن هذابأن يقال لشخص ما : أنا أعلم بما فى نفسك ، وكذلك يمكن أن تكون النفس معنى فى الإنسان ، يوجهه فى أفعاله الخيرة والشريرة ، فيقول : أمرتنى نفسى ، وسولت لى نفسى ، ثم أن هناك معنى للنفس للتمييز ، والإدراك ، والإحساس ، لما يحيط بالإنسان فى حالة يقظته ، وهذا المعنى يفارق الإنسان فى حاله النوم حيث يغيب وعيه[١] .

إذن فللنفس أوصاف مختلفة فى الإنسان ، فإذا كانت هذه النفس عاصية فاسقة فأنها تسعى بالنفس الأمارة ، فما هى النفس الأمارة ؟ . .

النفس الأمارة[٢] هى النفس المذمومة التى تأمر بكل سوء ، وهذا من طبيعتها إلا إذا وفقها الله ، وثبتها ، وأعانها ، فى التخلص من شرورها ، وآثامها ، وابتعدت عن الضلالات ، وسارت فى طريق الله ، وهى المذكورة فى قوله تعالى : « فيما أوردته ارمأة العزيز عن نفسها » « وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربى ، إن ربى غفور رحيم »[٣] .

والشريكين فى النفس البشرية ، ويوجهها إلى سيئات الأعمال ، فإذا خلا الله

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى - احياء علوم الدين ج ٨ ص : ١٣٤٢ - ١٣٦٠

(٢) الامام ابن القيم الجوزية الروح ص : ٢٢٦

(٣) يوسف : ٥٣ .

بين العبد ، وبين نفسه انحرف الإنسان ، وأطاع هواه ووقع فى الآثام والشرور ، أما إذا وفقه الله ، واعانه ونجاه ، من هوى نفسه الأمارة ، فإن صاحبها ينزع إلى صالحات الأعمال ، ويرتقى فى درجات الهدى والطاعة ، وهنا تسمى النفس بالنفس اللوامة[١] .

والنفس اللوامة وهى التى تلوم النفس نفسها عند التقصير ، وتحاسبها عند الاخلال بالتكاليف والواجبات الشرعية ، أو عند الوقوع فى الأخطار والمعاصى ، وهى التى أقسم بها الله سبحانه وتعالى فى قوله : « ولا أقسم بالنفس اللوامة »[٢] .

ولقد اختلف فيها كثير من أهل الحق ، فقال بعضهم ، هى التى لا تثبت على حال واحدة ، أى التى تتلون وتتقلب ولا تثبت على حالها ، فهى تذكر الله كثيرا ، وتغفل عن الله قليلا ، وترضى وتعرض وتتلطف وتتكثف ، وتنيب وتحب ، وتبغض وتفرح ، وتحزن ، وتسر وتغضب ، وتطيع ، وتتقى ، وتفجر ، . . . وغير ذلك كثير فى حالات تلونها فى الساعة والشهر والعام والعمر[٣] .

وقالت طائفة أخرى من الائمة ، أن النفس اللوامة ، هى نفس المؤمن وأن هذا اللوم انما من صفاته المجردة ، ويقول الإمام حسن البصرى فى أدب الدنيا والدين ، إن المؤمن لا تراه إلا ويلوم نفسه دائما ، ويقول زاجرا لها : لماذا أردت هذا ؟ . . . لماذا فعلتى هذا ؟ . . . كان غير هذا أولى . . . وعلى هذا النحو يكون اللوم .

ويرى بعض الصوفية أن النفس اللوامة هى نفس المؤمن التى توقعه فى الذنب ، ثم هى فى نفس الوقت التى تلومه على ما أقترف من ذنوب ، ويعتبر اللوم هنا نوعا من الايمان ، لأن الشقى لا يلوم نفسه على ذنب ، وانما على العكس من ذلك انما يلوم على فواته إذا ضاع منه .

وقالت طائفة أخرى بأن اللوم يأتى من نفس الفاجر والمؤمن ، والسعيد هو الذى يلوم نفسه على ارتكاب المعاصى ، وترك الطاعات ، والشقى هو الذى لا يلوم نفسه إلا على فوات حظها وهواها .

(١) الامام ابن القيم الجوزية ص : ٢٢٦ وما بعدها .
الامام ابن القيم الجوزية ص : ٢٢٦ وما بعدها .
(٢) القيامة : ٢
(٣) الإمام ابن القيم الجوزية ص : ٢٢٦ وما بعدها .

وأولت فرقة أخرى الآية الكريمة « ولا أقسم بالنفس اللوامة » بأن هذا اللوم انما يقع يوم القيامة لقوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة » لأن كل إنسان فى هذا اليوم يلوم نفسه ، على ما اقترفت من ذنوب ، قد فعلها فى حياته الدنيا .

وعلى أى حال فإن هذه الأقوال جيمعا حق وصدق ، ولا تختلف بعضها مع بعض لأن النفس موصوفة بها فى القرآن الكريم ، وبهذه الصفة سميت لوامة .

وفى تصورنا أن أشرف النفوس من لامت نفسها فى طاعة الله ، وصبرت واحتملت لوم اللائمين فى سبيل الله ومرضاته ، وهى النفس التى لا يأخذها فى الحق لومة لائم ، وأنها تخلصت من لوم الله لها .

أما التى رضيت وسكنت عن أعمالها ، ولم تلم نفسها فهى التى يلومها الله عز وجل ، لأنها نفس لوامة ملومة ، جاهلة ظالمة .

أما إذا ارتقت النفس من الامارة إلى اللوامة[1] ، وأكرمها الله وابتعدت عن المعاصى ، وحاربت شهواتها بالكلية ، فإنها تصل إلى مقام النفس المطمئنة ، وهى غاية فى الكمال والصلاح ، يؤيدها الله سبحانه وتعالى بجنود من عنده ، فيقذف فيها الحق ، ويرغبها فيه ويجعلها تراه فى أجمل صورة ويجنبها الباطل والضلالات ، ويزهدها فى الشر ويريها قبح صورتها ، ويمدها بعلم من لدنه ، ويعلمها القرآن والاذكار وأعمال البر ، وفعل الخيرات ، ويمنحها التوفيق ، والمنن ، والعطايا ، فتقوى على محاربة النفس الأمارة التى يقذف فيها الباطل ، ويأمرها الشيطان بالسوء ، ويزين لها ، ويطيل فى الأمل ، ويعدها بالأمانى الكاذبة ، والشهوات المهلكة ، ويسلط عليها هواها ، وارادتها فتدخل فى كل مكروه ، فيصبح اخوانها الشياطين ، والمردة ، من الأنس والجن ، ويفتح لها باب الهوى ويجلس معها ، ويعبث فى الديار فسادا ، ويفسد ويفتك ويهدم معالم الايمان ، والقرآن ، والذكر ، والصلاة ويخرب المساجد .

فالملك هو قرين النفس المطمئنة ، والشيطان قرين النفس الأمارة ، وذلك فى قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء »[2] .

والنفس المطمئنة تسير بمقتضى الايمان ، إلى التوحيد ، والإحسان ، والبر ، والتقوى ، والصبر ، والتوكل ، والتوبة ، والانابة ، والاقبال على الله ، وقصر الأمل ، والاستعداد للموت ، وما بعد الموت ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز فى

---

(١) الروح لابن القيم الجوزية ص : ٢٢٦ وما بعدها .

(٣) البقرة : ٢٨٦ (مكرر) .

شأنها : « ياأيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[١] .

وهناك صراع بين النفس الأمارة والنفس المطمئنة فى الإنسان ، فأصعب شىء على النفس المطمئنة ، أن تتخلص من براثن الشيطان ، ومن هوى النفس الأمارة ، فلو علمت النفس المطمئنة أن عملها فى طاعة الله لنجت من العذاب والعقاب ، ولكن النفس الأمارة والشيطان يقفا لها بالمرصاد ، فلا يدعا لها عملا واحدا من أعمال الخير والطاعة يصل إلى الله تعالى ، ولذلك يقول بعض العارفين : إن عملا لى واحد ، خالصا لله ، إذا وصل اليه تعالى ، لكنت أفرح بالموت ، كفرح الغائب الذى يعود إلى أهله .

ويقول فى ذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « لو أعلم أن الله تقبل سجده واحدة ، فلا شىء أحب لى من الموت »[٢] .

وإذا وصلت النفس إلى هذا المقام « أى مقام النفس المطمئنة » وجاهدت فانها ترقى إلى مقام النفس الراضية ، ثم المرضية ، ثم الكاملة ، وهى مراتب ومنازل نفوس الأنبياء والأولياء الكمل أصحاب الدرجات العليا .

ويرى الإمام الجيلانى[٣] أن آفات النفس هى : « ركونها إلى استجلاب المدح وطلب الذكر الطيب ، وثناء الخلق ، وقد يحتمل صاحبها اثقال العبادات لذلك ، ويستولى عليه الرياء والنفاق ، ويكشف هذه الآفات عند امتناع المدح ، والشكر ، والثناء على نفسه فتميل إلى الكسل والفشل ، ولا يعرف الإنسان نفسه إلا عند امتحانها فى الابتلاءات فيظهر كذبها ، وخداعها وغشها .

فالنفس لا تتكلم بكلام الخائفين ، إلا إذا اضطرت إلى ذلك ، فإذا طلبتها وهى فى مواطن الخوف ، وجدتها آمنة سلسة وتحدثك حديث الأبرار ، وكلام الفضلاء ، ما لم تمتحنها بالتقوى وشروطها ، وهنا تكشف عن دعواها وتخلع رداء تقواها وتظهر على حقيقتها مرائية معجبة ، وتزعم الايمان ما لم تمتحن بالاخلاص وتدعى التواضع ما لم تفضح بخلاف هواها عند الغضب ، كذلك تدعى السخاء والكرم والايثار رعونة وصلفا ، وإذا امتحنتها تجدها كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

---

(١) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) الامام ابن القيم الجوزية - الروح ص : ٢٢٦ .

(٣) الشيخ عبد القادر الجيلانى - الغنية ج ٢ ص : ١٨٣ وما بعدها تراث الاسلام

لو صدقت النفس ما تزينت للخلق الذين لا يملكون لها نفعا ولا ضرا ولصحت أعمالها عند امتحانها ، فوافق قولها عملها .

ويقول عثمان رحمه الله[١] « لا يرى أحد عيب نفسه ، وهو يستحسن من نفسه شيئا ، وانما يراها من يتهمها فى جميع الأحوال » ويرى أبو حفص - رحمه الله « أسرع الناس هلاكا من لا يعرف عيبه ، فإن المعاصى بريد الكفر » .

●●● النور ●●●

يقصد بالنور اليقين بالحق ، والهدى ، واطمئنان القلب به ، ويذكر النور دائما بضده وهى الظلمات التى يراد بها الشكوك والشبهات ، كما فى قوله تعالى : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات النور »[٢] .

كما يفسر النور بالإيمان ، والظلمات بأنواع الشرك ، كما يراد بالنور المعارف والحقائق التى تجلب اليقين فى العقائد ، كما يقصد بالنور الكتاب السماوى وذلك فى قوله تعالى : « ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا »[٣] .

ويمكن أن يحمل معنى النور على النبى الذى يجىء بما ينير السبيل ، وقد استخدم الصوفية معنى النور ، ونور الأنوار ، فعند السهروردى[٤] الاشراقى نجد النور فى مقابل عالم الظلمات ، ولذلك يرى أن نور الأنوار هو الحق تعالى ، وفى اصطلاح محيى الدين بن عربى فى رسائله يرى أن النور هو الوارد الالهى الذى يطرد العالم الفانى باعتباره الظلمة من القلب ، فلا يبقى فيه غير نوره تعالى .

وعند الإمام الغزالى[٥] العلم اللدنى أو الوهبى أو العلم الالهامى هو نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فيصبح علما وعالما ومعلوما جميعا .

وفى نفس السهروردى المقتول فى هياكل النور يقول : « ياقيوم أيدّنا بالنور وثبتنا على النور ، واحشرنا إلى النور ، واجعل منتهى مطالبنا رضاك ، وأقصى

---

(١) المرجع السابق .
(٢) البقرة : ٢٥٧ .　　(٣) النساء : ١٧٤ .
(٤) د . محمد ابو ريان - الفلسفة الاشراقية ص : ٢٥ - ٨٥ .
(٥) الامام الغزالى .

مقاصدنا أن نلقاك ، ظلمنا نفوسنا ، لست على الفيض بضنين ، أسارى الظلمات بالباب قيام ينتظرون الرحمة ، ويرجون الخير ، دأبك اللهم والشر قضاؤك وأنت بالمجد السنى مقتضى المكارم ، وأبناء النواسيت ليسوا بمراتب الانتقام ، بارك فى الذكر ، وادفع السوء ، ووفق المحسنين ، وصلى على المصطفى وآله أجمعين .

●●● النية ●●●

روى عن أهل البيت عليهم السلام « لا يقبل تعالى قولا إلا بعمل ، ولا قولا وعملا إلا بالنية »[١] .

ويروى الإمام أبو طالب المكى عن سيدنا عمر رضى الله عنه قوله : « أفضل الأعمال إداء ما أفترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى »، وصدق النية فيما عند الله عز وجل وذلك تصديقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل أمرىء ما نوى »[٢]ق٢ .

لابد للإنسان إذن من قصد ونية فى أكله وشربه وملبسه ونومه ونكاحه ، كلها أعمال يساءل عنها ، فإذا كانت لله زادت حسناته ، وإذا كانت فى سبيل هوى نفسه وشهواته ، دخلت فى سيئاته ، وذلك تصديقا لقوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه ، وكان أمره فرطا »[٣] ، أى كان أمره تفريطا وضياعا وغفلة وسهوا ، وهذا هو الهلاك الأعظم .

إذن النية الصالحة أول العمل الصالح ، وأول العطاء من الله تعالى ، ويكون ثوابه على أعماله على حسب النية ، فربما اتفق كثير من الناس على عمل واحد ، ولكن يكون الثواب والعقاب بمقدار نية كل منهم ، ومقدار علم كل منهم ، ويثاب على كل نية حسنة .

وللنية أكثر من معنى ، الأول صحة قصد القلب أو العمل ، عن التيقظ فيه ، والاخلاص به ، لوجه الله تعالى ابتغاء ما عبده من الأجر .

---

(١) أبو طالب المكى - قوت القلوب ج ٢ ص : ٣٢٧

(٢) عن الفاروق عمر رواه الدارقطنى وذكره صاحب الحلية والسيوطى فى جامعة ومالك فى الموطأ برواية محمد بن الحسن والشيخان .

(٣) الكهف : ٢٨

ويروى صاحب قوت القلوب[١] أن الفاروق عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعرى كتابا قال فيه : « إن من خلصت نيته ، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس » .

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز- رضى الله عنه : « أعلم ياعمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية ، فمن تمت نيته تم عون الله تعالى اياه ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله » .



---

(١) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ ٢ ص : ٣٢٧ .

حرف الهاء

هـ

●●● الهجوم والغلبات ●●●

عندما تبتعد النفس عن الهوى ، وترغب فى الحق ، ولا تركن للشهوات ، تستطيع أن تسمو وترتفع ، وهذه الرغبة القوية تدفع النفس الخالصة إلى المزيد فى طلب القرب من الله ، والسير فى طلب المطلوب ، وهو نوع من الجهاد النفسي فلو وجد السالك نفسه فى بحر لجى لسبحه ، أو فى صحراء موحشة لسلكها ، ولو رأى نارا لاقتحمها بالهجوم[1] .

ومعنى الغلبات قريب من معنى الهجوم ، حيث أن الغلبات هى قوة الإرادة أو غلبة المطالبة ، فإذا كان الهجوم كانت الغلبات أى بالرغبة والبذل والعطاء دون خوف أو وجل أو تردد .

●●● الهم المفرد والسر المجرد ●●●

وهما عند أئمة الصوفية بمعنى واحد ، أى أن هم العبد هو سره ، وسره هو همه ، فلا فرق بينهما ، فإذا تجرد العبد من انشغالات النفس ، وانقطع للسير فى طريق الله ، ونظر إلى الله الحق ذو الجلال والاكرام ، فلا تقف عوائق تحجبه ولا حجب تقطعه ، ولا عوارض تمنعه عن السير فى طريقه والتوجه إلى الله بالكلية من اتصال وقرب وايصال ، وبذلك يكون هذا العبد منشغل بهمه وسره فى الله ، ومع الله ، وهو بذلك بمثابة المناجى لله والمحدث فى الله ، والطائع فى طريق الله .

---

(١) الشيخ أبو نصر السراج الطوسى - اللمع ص : ٤١٧ .

●●● الهمة والعزيمة ●●●

يقال هم بالفعل يهم هما ، أى قصد إلى الشىء ، واتجهت نيته إليه ولم يفعله ، وقد يبلغ الشىء مبلغ التصميم والعزم ، وقد يبلغ هذا المبلغ فيعقد القلب على الفعل ويكون منه عزيمة[١] ، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم »[٢] وورد هذا اللفظ فى قول عز من قائل : « ولقد همت به ، وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه »[٣] ، وهم يوسف عليه السلام انما كان خاطرا نفسيا طبيعيا سرعان ما انثنى عنه .

ويقال عن العزم الصبر ، أى مالى عنك صبر ، كما يقال أيضاً العزم هو الحد بالمعنى الحى ، وعقد النية على أمر ما ، ولقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فإن ذلك من عزم الأمور »[٤] ، وكذلك قوله تعالى : « كما صبر أولى العزم »[٥] ، وقوله تعالى : « إذا عزمت فتوكل على الله »[٦] .

ويستخدم أئمة الصوفية تعبير أصحاب الهمم والعزائم بنفس المعنى القرآنى ، وهم المجاهدون الصابرون الصادقون الذين انعقدت قلوبهم على بلوغ مرادهم ، فلا كلل ولا سأم ، وإنما جهاد ومجاهدة ، ومخالفة للنفس ، واسترسال مع الله ، حتى يحظوا بالنعمة الكبرى ، والمنة العظمى ، والفتح الربانى .



---

(١) معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص : ٦١٢ .

(٢) المائدة : ١١

(٣) يوسف : ٢٤ .

(٤) آل عمران : ١٨٦ .

(٥) الاحقاف : ٣٥ .

(٦) آل عمران : ١٥٩

حرف الواو

و

●●● الواقعة ●●●

الواقعة من أسماء القيامة ، وسميت بذلك لأنها واقعة لا محالة وهى فى الأصل وصف من قولك : وقع الشيء ، حتى وجب ونزل[١] ، وقد وردت الواقعة فى قوله تعالى : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة »[٢] .

والواقعة عند بعض أئمة الصوفية ، هى النور ، أو التجلى الالهى على قلب العبد الصادق[٣] ، فهو الفتح ، وهو السر ، وهو الفيض الذى يقذف على قلب السالك فيصبح علما وعالما ومعلوما جميعا .

●●● الوجد والوجود والتواجد ●●●

يقال وجد فى الحزن[٤] ، ويستخدم الصوفية الألفاظ وجد وتواجد ووجود بمعنى سكر وتساكر .

ويرى الإمام ابن عربى أن التواجد استدعاء الوجد ، وقيل إظهار حالة الوجد من غير وجد[٥] .

والتواجد كالتباكى ، أى استحضار الموجد بالتكلف ، أما الوجود فمن الوجد وهو فناء البشرية عند غلبة سلطان الحقيقة .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ ٢ .

(٢) الواقعة : ١ .

(٣) الامام محيى الدين بن عربى - رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية .

(٤) مختار الصحاح ص : ٧١٠

(٥) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية ص : ٥ .

ويرى صاحب اللمع[١] أن الوجد مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا وأما التواجد فهو كالتساكر ، أى من السكر ، والتواجد ناتج من الوجد والسكر ، والواجد انما يتشبه بالصادقين من أهل الله ، الذين يقضون حياتهم فى وجد دائم وتواجد مع الله .

ويتفق صاحب التعرف مع صاحب اللمع[٢] فى معنى الوجد ، إلا أنه يضيف على منا ذكره من أن الواجد قد يصادف قلبه فزع أو غم ، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة ، أو كشف حالة بين العبد وربه .

ويقول النورى[٣] ـ رحمه الله ـ « الوجد لهيب ينشأ فى الأسرار ، ويسنح عن الشوق ، فتضطرب الجوارح طربا أو حزنا عند ذلك الوارد » . .

يقول بعض الصوفية[٤] : « أنا منذ عشرين عاما بين الوجد والفقد ، أى إذا وجدت ربى فقدت قلبى ، وإذا وجدت قلبى فقدت ربى »[٤] .

●●● الوحشة ●●●

بكى الجنيد رضى الله عنه عندما سمع هذا البيت :

منازل كنت تهواها وتألفها   أيام أنت على الأيام منصور

ثم قال : ما أطيب الألفة والمؤانسة ، وما أوحش مقامات المخالفات والوحشة ، ولا أزال أحسن ارادتى ، وجدة سعيى وركوبى الأهوال ، والمعروف أن الجنيد كان شيخ الصوفية وإمامهم وأنه كان من أصحاب المقامات العليا الرفيعة ومن العارفين بالله ، ولكن الأنس بالله هو العيش الحق عند الأولياء الكمل ، وأما الوحشة فهى اللاعيش ، لأنه اتصال مع الخلق ، وبعد عن الخالق ، فلا يطيق الصوفى فى هذه الوحشة ويطلب الأنس[٥] .

---

(١) اللمع ص : ٣٧٥ - ٣٨٥

(٢) التعرف ص : ١٣٤ - ١٣٥

(٣) الامام السلمى - طبقات الصوفية ص : ١٠٦ - ١٢٤

(٤) الرسالة القشيرية جـ ١ ص : ٢٠٣ (للصوفى أبو الحسين النووى) .

(٥) روض الرياحين فى حكايات الصالحين ص : ٢٢٢ وما بعدها .

ويروى لنا اليافعى عن بعض الصوفية قال : كنت على بساط الأنس وفتح على باب من البسط ، فزللت زلة ، فحجبت عن مكانى ، فكيف السبيل إلى ما كنت عليه ؟ وكان يسمعه الشيخ الجريرى فبكى وقال : الكل فى قهر هذه الحالة وانشدة ابياتا يجد فيها جوابه منها .

قف بالديار فهذه آثارهم وابك الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا من أهلها متحيرا أو مشفقا

••• الورد •••

قال تعالى : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا »[١] .

وعن أحد الأئمة قال : اجتمع رأى آل محمد صلى الله عليه وسلم أنه من صلى ورده الذى فاته من الليل قبل الزوال كان كمن صلاه فى الليل »[٢].

ويروى صاحب اللمع حدينا نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لاتناموا عن طلب أرزاقكم »[٣] .

وكل طريقة من الطرق الصوفية لها وردها الخاص وعلى كل مريد قراءة الورد صباحا ومساء ، وغالبا ما يكون الورد استغفارا لله كأن يقول المريد « استغفر الله » تسعة وتسعون مرة ، ثم يقول فى المرة المائة « استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه » وفى الطريقة الشاذلية يقول المريد « اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما بقدر عظمة ذلك فى كل وقت وحين » تسعة وتسعون مرة ، واكثر ما يذكر فى الورد فى الطرق الصوفية المختلفة قول : « لا إله إلا الله » تسعة وتسعون مرة .

---

(١) الفرقان : ٦٢
(٢) الغنية جـ ٢ ص : ٩٣ - ١٠٨
(٣) لم نجد لهذا الحديث أصلا .

ويشترك فى قراءة الورد .

١ ـ الطهارة لكل عضو .

٢ ـ استقبال القبلة .

٣ ـ دفع الخواطر .

٤ ـ التوجه إلى الله .

٥ ـ عدم الكلام « فليست البصيرة كالبصر فإن ادنى شىء يكدرها .

●●● الوعد والتوعيد ●●●

الوعد عند الصوفية وعد الله لقوله تعالى : « وكلا وعد الله الحسنى »(١) وقوله تعالى « أفمن وعدناه وعدا حسنا »(٢) فالوعد رجاء فى الله ، وطلب من الله لموعدة وعدها للصالحين ، فالوعد مقابل الوعيد ، الذى هو خوف من الله ، ومن عذابه وذلك اللفظ وارد فى قوله تعالى : « وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد »(٣) .

ويفرق حجة الإسلام فى الأحياء بين الوعد والوعيد ، عندما يربط بين الخوف من الله ، والرجاء فى الله ، فيرى أن الخوف مرتبط بالوعيد ، والرجاء يرتبط بوعد الله ، لقوله تعالى : « وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا »(٤) .

●●● الورع ●●●

للورع درجات ثلاث : ورع العلوم ، وورع الخواص ، وورع خواص الخواص ، فأما ورع العوام ، فهو ورع الحرام والشبهة أى البعد عن ما يحكم به الشرع بأنه من المحظورات والمحرمات .

وورع الخواص هو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة(٥) ، أى أن صاحبها يؤد بها ويعكس طلبات نفسه الشيطانية والشهوانية :

---

(١) النساء : ٩٥ . (٢) القصص : ٦١

(٣) طه : ١١٣ . (٤) النساء : ١٢٢

(٥) احياء علوم الدين ج ١٣ ص : ٢٣٣٣ وما بعدها .

وأما ورع خواص الخواص وهو ورع عن كل ما لهم فيه ارادة ورؤية أى أن صاحب الكشف والولاية يتورع عن اظهار قدراته وكراماته للناس ، رغم أنه فى استطاعته كشفها واظهارها ، ولذلك يقول أئمة الصوفية « لا كرامة إلا لحكمة » ، ومعنى ذلك أن الولى يظهر كراماته أو خرق للعادة إلا لحكمة يعلمها الله ، أو بأمر علوى ، وليس بغرض استظهار قدراته ، أو عجيب أفعاله ، فإن السالك الذى يريد أن يظهر كراماته على الناس للتباهى بها ، فإنه ينتكس وليس له فى الطريق الصوفى شيء .

والورع ورعان ـ ظاهر ، وباطن[١] ـ أما الظاهر فلا يتحرك إلا بالله وأما الباطن هو ألا يدخل قلبك سوى الله تعالى ، وهذا معناه أن الذى لا ينظر فى دقائق الورع لا يحمل على شيء من معانيه ونفائسه ، ذلك أن الورع عطاء ، والزهد أول درجاته ، والقناعة طرف من أطراف الورع .

قال بعض الصوفية[٢] : « من أحب أن يعرف ورعه غير الله تعالى ، فليس من الله فى شيء ، وروى صاحب قوت القلوب عن زكريا عليه السلام أن قوما دخلوا عليه وكان يعمل فى بناء حائط من الطين ـ إذ كان يشتغل من عمل يديه ـ وقدم له أهل البيت رغيفان ، وجعل يأكلهما حتى فرغ ، فسألوه فى ذلك لعلمهم بزهده وكرمه ، فقال « إنى أعمل لقوم بأجر وقدموا لى بهذين الرغيفين لأتقوى بهما على عملهم ، فلو أكلتم معى لم يكفكم (هذا الطعام) ولم يكفنى أيضا ، ولضعفت عن الانتهاء من عملى ، ولذلك تركت دعوتكم فضلا لفرض »، أى أنه لم يدع أحدا للمشاركة فى الغذاء القليل جداً ، وذلك ليستطيع العمل الموكول اليه فترك حسنة ، من أجل فرض واجب وهذا يعد من الورع .

●●● الوسواس ●●●

هناك فرق عديدة من المغرورين منهم فرقة اشتغلت بعلم النحو واللغة والشعر واغتروا وزعموا أن الله قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ اعتقدوا أن قوام الدين والسنة علوم النحو واللغة ولو عقلوا لعلموا أن لغة العرب كلغة العجم وهذا مضيعة الوقت[٣] .

---

(١) الامام أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ ٢ ص : ٣٢٠ .
(٢) أبو طالب المكى - قوت القلوب جـ ٢ ص : ٣٢٠ .
(٣) الامام الغزالى - الشك والتبين ٦٨ - ٧٠ (هامش كتاب تنبيه المغتربين للشعرانى) .

وفرقة أخرى من المغرورين وهم أصحاب العبادات والأعمال ، منهم من غروره فى الصلاة ، ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم من غروره فى الحج ، أو الجهاد أو فى الزهد بل هناك فرق أهملت الفرائض ، واشتغلت بالنوافل ، بل وتعمقوا فيها إلى حد الاسراف والعدوان . فالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء يبالغ ولا يرتضى الماء المحكوم بطهارته فى الشرع ، ثم يقدر الاحتمالات البعيدة ، قريبة فى النجاسة ، وإذ آل الأمر إلى أكل الحرام ، قدر الاحتمالات القريبة بعيدة ، وربما أكل الحرام المحض ، ولو انقلب هذا الاحتياط فى الماء إلى الطعام لكان أولى بدليل سير الصحابة رضى الله عنهم فقد توضأ عمر رضى الله عنه فى جرة نصرانية مع احتمال ظهور النجاسة ، وكان مع هذا يدع أبواب من الحلال ، خوفا من الوقوع فى الحرام .

وفرقة أخرى غلبت عليهم الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان لعقد نية صحيحة ، بل يوسوس عليه ، حتى تفوته الجماعة ، وربما أخرج الصلاة عن الوقت وأن أتم تكبيرة الإحرام ، فتكون فى قلبه وترد فى صحة نيته وقد يتوسوس فى التكبير حتى يغير صفة التكبير .

وفرق أخرى غلبت عليها الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة من مخارجها وكذلك سائر الاذكار فلا يزال يحتاط فى التسديدات وبين الفرق بين الضاد والفاء ولا يهم غير ذلك أى لا يهتم إلا بالنطق وهو فارغ القلب .

●●● الوصل وللوصل ●●●

وصل الشيء بالشيء إذا ربطه وجمعه عليه[١] ، فكأنه إذا أحسن إنسان إلى إنسان ربطه بنفسه ، واتصل به ، وهذا المعنى وارد فى قوله تعالى « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم »[٢] .

وإذا أجتهد السالك ، وحظى بالمنة الالهية ، والفتح الربانى ، وبلغ ما يتمناه يقال أنه وصل واتصل ، أى تحقق مراده ، وبلغ ما فاته ، ويقول الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى الوصل هو ادراك الفائت[٣] .

---

(١) الأمام الغزالى الكشف والتبين فى غرور الخلق ٦٨ - ٧٦ (هامش تنبيه المغتربين للشعرانى) .

(٢) معجم الفاظ الصوفية ج ، ص : ٦٥٦ .

(٣) الرعد : ٢١ .

أما الفصل فهو حال الصحو بعد الوصل ، فبعد أن يمن على الولى بالهبات والعطايا ، يرجع إلى حالة العبودية وتسمى فضلا ، وهى عند الصوفية الغذاء الروحى الذى يرجوه السالك ، من محبوبه الحق تعالى ، إذ أنه فى الفصل يعرف نفسه ويميزها عن غيرها ، بل ويفصل مقام العبودية عن مقام الربوبية ،



حرف الياء

ى

●●● اليقين ●●●

ورد لفظ اليقين فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين »[١] .

ويشرح الشيخ الأكبر[٢] هذا المعنى القرآنى على أنه صعود للمولى إلى المقامات العليا فيقول : ويرتفع الشك والالتباس، ويأتى اليقين ، كما قال تعالى باجلاء هذه الأشياء وهذه هى القيامة الصغرى ضربها لك الحق مثلا فى هذا التجلى سعادة لك وعناية بك أو شقاوة أن ضللت بعدها » .

ويروى صاحب التعرف[٣] أن اليقين هو ارتفاع الشك ويقسم اليقين إلى علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

علم اليقين : هو العلم اللدنى أو العلم الالهى الذى لا شك فيه ولا ريب ، وهو منحة ربانية يحظى به الأولياء والصالحون ، والمقربون ، والصديقون ، عن طريق الالهامات ، والتجليات ، والفتوحات ، والكشوفات ، والمشاهدات ، والفيوضات ، والرؤى ، وهذا العلم سر الأسرار يودعه الله قلب عبده المخلص ، ولقد ذكر هذا العلم فى القرآن الكريم فى آيات عديدة : « عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »[٤] .

وهذا العلم وهبى وسيلته البصيرة وهو غير العلم الكسبى ، الذى وسيلته الابصار ، والذى يحصل السالك عليه بالمجاهدة والنظر ، بطريق العلم

---

(١) الحجر ٩٩

(٢) رسائل ابن عربى - اصطلاح الصوفية ص ١٢

(٣) رسائل بن عربى - كتاب التجليات ص .

(٤) التعرف - الكلاباذى ص ١٢٢

والتلقين ، أما العلم الوهبى ، فهو علم يقينى ، وهو هبة ، أو منحة ، أو منة الهبة ، يهبها الله لمن يشاء من عباده .

عين اليقين :

يرى أئمة الصوفية أن عين اليقين[٢] هو العلم اللدنى ذاته ، أو الهبة الربانية نفسها وعين اليقين واردة فى القرآن الكريم بنفس المعنى « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين »[٤] .

حق اليقين

هو منتهى غاية الواصلين للعلم الالهى[٥] ، فهو الصدق اليقينى الذى يشهده السالكين فى المقامات العليا ، ويراه الشيخ الأكبر هو ما حصله المريد الصادق من العلم حسب مجاهداته ، واخلاصه ، وطاعته ، وصدقه ، بل حسب ما قدر له الله أن يعاين من العلوم الالهية[٦] .



(٤) الكهف : ٦٥ .
(١) رسائل ابن عربى - كتاب التجليات .
(٢) (٢) التعرف تحقيق د . عبد الحليم محمود ص : ١٢٢
(٣) التكاثر : ٥ ، ٦ ، ٧ .
(٤) رسائل ابن عربى - كتاب اصطلاح الصوفية .
(٥) رسائل ابن عربى - كتاب التجليات .
(٦) الشيخ الأكبر د . عبد الحليم محمود - ابو الحسن الشاذلى ص : ٣٢ - ٢٣

••• صاحب إذن •••

صاحب الإذن هو صاحب الدعوة من الأولياء الذى ألقى الله فى روعه أمرا بالدفاع عن الشريعة الاسلامية ، والدعوة لها ، فهو السائح العابد الذى يدعو إلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وهو من طبقة الأولياء ، ويختلف تأثيره حسب صفاء نفسه طلاقة لسانه أو علمه بالكتاب والسنة .

ويفسر الإمام أبو الحسن الشاذلى معنى الإذن فى المباح ، والإذن فى حق الولى ، فيرى أن الإذن عند الأولياء ايما فى كل شىء من الأمور المباحة فضلا عن الإذن الخاص بالدعوة ، والإذن هو نور ينبسط على القلب يخلقه الله تعالى فيه ، وعليه فيمتد ذلك النور على الشىء الذى يريد فيدركه نور مع نور ، أو ظلمة تحت نور ، والنور هو الذى يحدد للمولى أن يأخذ أو يترك ، أن يسافر أو يقيم ، أن يمنع أو يعطى ، أن يقبل أو يدبر ، وهذا هو باب المباح فى الإذن .

ويوضح الإمام أبو الحسن لمريديه طريق السالك فيقول : إذا ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ، فلا يخلو أن يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب ، فاحذر ذلك وتجنبه .

وصاحب الإذن صمته دعوة إلى الله وسيره دعوة إلى الله ، وكذلك حديثه ، وجلوسه ، وعمله ، والله يستجيب لدعواه ، كما يستجيب الناس له بمقدار ما فى قلبه من الخير ، والصفاء ، والايمان ، ولا يحاربه إلا أهل الشقاوة والبغضاء .



••• صاحب بصيرة •••

ينسب العلم إلى الله تعالى بمعنى البصر والبصيرة جميعا ، وذلك فى قوله تعالى: « والله بصير بما تعلمون »(١) كما أن الله سبحانه وتعالى السميع البصير ، وهما صفتان زائدان على علمه ، فلا يخرج مسموع عن سمعه ولا موجود عن بصره .

فإذا كان العبد دائم المراقبة لله ، مراعيا الآداب مطالبا نفسه بالتشبه بأخلاق الله تعالى والقدرة الحسنة فى شخصية رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحب بصيرة .

ويمثل الإمام القشيرى تقديم الله سبحانه وتعالى لصاحب البصيرة بهذه القصة(٢) ، « أن ملك من الملوك كان يقرب إليه عبدا من رعيته على غيره ، رغم أنه لم يكن أحسن منهم صورة ، ولا أكثر قيمة ، فكانوا يتعجبون من ذلك ، وقام الملك برحلة مع حاشيته إلى الصحراء ونظر إلى الجبال وبعد ساعة حضر العبد ومعه ثلج قدمه للملك فتعجبوا عندما أحضر الثلج ، فقال العبد : لأنه نظر إلى الجبل ونظر الملوك لا يكون عبثا فقال الملك : وأنا أقربه وأقدمه عليكم لأنكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالى » .

فالعبد المشغول بالله يقربه الله إليه ويفيض عليه ، من نعمه ويفتح عليه من أسراره ويكشف له ما غمض من أمره ، ويمن عليه من رحمته ، ويجعله على بصيرة من أمره ، وذلك وارد فى قوله تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة »(٣) ، والبصيرة هنا هى نور فى القلب وهى علم الهامى مقابل العلم الكسبى ، ويستبصر المؤمن بقلبه ، كما يبصر الإنسان بنور عينيه ، ويقال للصوفى صاحب بصيرة لأنه صاحب فراسة وتوسم ، فيرى الأشياء عن بعد ، وهى من الله تعالى تأييداً لقوله تعالى : « قد جاءكم بصائر من ربكم »(٤) .



(١) البقرة : ٩٦ .

(٢) الامام القشيرى - التحبير فى التذكير ص ٤٩

(٣) يوسف ١٠٨

(٤) الاعراف ٢٠٣

●●● نحن مسيرون ●●●

يهتم الصوفية بالتوكل واسقاط التدبير مع الله ، ولذلك يعد الاعتراض على الله من الكبائر لأنه من الشرك الخفى ، فالسالك عليه أن يتوكل على الله ويهمل حظوظ نفسه وهواها ، ليبلغ المقامات العليا ، ولن يصل إلى ذلك ما دام يطلب ثمرات عمله ، ويعترض على حاله ومقامه ، ولذلك فهو خالص لله ، طائع له لما يريده ظاهرا وباطنا ، فلا يدعى لنفسه منزلة ، ولا يقول أنه استحق كذا وكذا ، وانما هو مسير من الله أى أن قلبه سائر من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، بمنة الهية ونعمة ربانية ، وليس ذلك ناتج عن عمله ، وحسن عبادته .

ولذلك فإن الصوفى يقول دائما « نحن مسيرون » ويقصد بذلك تسيير القلوب من الله فى الأحوال والمقامات[1] فقلب الصوفى متوجه دائما مع الله ، مستسلما لمشيئة الله ، وعطف الله ورحمة الله ، ولذلك يقول يحيى بن معاذ رحمه الله : « الزاهد سيار ، والعارف طيار » ، والفرق بين الزاهد والعابد أن الثانى أكثر سرعة فى الفتح الربانى ، والمنن الالهية والتنقل فى الأحوال والمقامات وذلك لعدم التفكر فى زهده ولا مجاهداته ولا رياضاته فهو فى حجر الرحمن كيفما شاء ومتى شاء ، ولذلك يطير لصفاء قلبه ، ونقاء سريرته ، فلا تنفذ اليها الخواطر الشيطانية ، ويتجلى قلبه بالرضا واسقاط التدبير مع الحق تعالى ، وذلك تصديقا لقوله تعالى : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر »[2] ، وقوله تعالى : « وقدرنا فيها السير »[3] .



(١) الامام السراج الطوسى - اللمع ص : ٤٤٢ - ٤٤٣ .

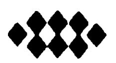
(٣) يونس : ٢٢ .

(٣) سبأ : ١٨

●●● وقت مسرمد ●●●

السرمد هو الزمن الطويل الدائم[١] ، ومسرمد من السرمدى وهو تعبير صوفى معناه لا زمان ولا مكان ، فيقال الحياة السرمدية أى الأزلية الأبدية ، وذلك وارد فى قوله تعالى : « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا »[١] .

فإذا قال الصوفى وقتى مسرمد ، فمعنى ذلك أنه يعيش مع الله ، وأنه حال لا يتغير فى جميع أوقاته ، والمعروف أن الصوفى ابن وقته ، فإذا كان حاله الحزن فوقته الحزن ، وإذا كان حاله الفرح فوقته الفرح ، وهذا هو طريق أصحاب الأذواق ، الذين يتجردون فى أحوالهم من حظوظ أنفسهم ، ويعيشون فى مواجيدهم فلا يشعرون بالمكان أو الزمان ، وأنما أوقاتهم مع الله ، ولله ، وبالله ، وفى الله ، فعندما يقول الصوفى وقتى مسرمد ، فذلك معناه أن يتحدث عن نعت سره ، وليس عن نعت صفاته[٣] .



---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ ١ ص : ٥٦٥

(٢) القصص : ٧١

(٣) الامام السراج الطوسى - اللمع ٤٤١ .

خاتمـــــة

بعد أن عرضنا للألفاظ الصوفية ، وأوضحنا مدى التقارب بينها وبين ألفاظ القرآن الكريم فى المعنى ، فإنه يتضح لنا دون أدنى شك أن هذه المعانى مأخوذة من القرآن الكريم والسنة المحمدية ، وأن الصوفية لم يجانبوا الحق ، ولم يبتدعوا شيئا جديدا كما يدعى بعض الطاعنين والحاقدين والجهلاء ، إلا أنه يجدر الاشارة أن بعض هذه الألفاظ لا تفهم إلا ذوقا ، وليس عن طريق النظر والبحث فحسب ، ومهما كان صاحب العقل واسع الاطلاع فإنه لن يقدر على الوصول إلى هذه المعانى الاخلاص والصدق والطاعة والايمان بالله .

لذلك فإنى حاولت أن أعرض هذه الألفاظ وأنا أنظر إلى كتاب الله لأتعرف إلى المصدر الحقيقى لها ، وأحمد الله تعالى أننى وفقت فى معظمها إلى اثبات أن مصدرها هو القرآن الكريم ، والسنة المحمدية ، وقد استشهدت بالمعنيين الحسى والمعنوى فى اللغة العربية لأصل إلى هذا الهدف الذى كان له الأهمية الأولى فى بحثى .

ولا أستطيع أن أقول أننى وصلت بهذا المؤلف إلى ما كنت أصبو اليه من كمال ، إذا أنه لبنة متواضعة فى التعريف بالاخلاق والسلوك عند الصوفية وذلك بتعبير سهل مبسط أرجو أن يتبعه فى هذا الطريق أبحاث أخرى ، حيث أن مكتبتنا العربية ـ مع الأسف ـ فقيرة فى هذا المجال ـ والحق أننا نعتمد فى دراساتنا المتخصصة للمجتمع الصوفى على مصدرين وحيدين ـ الأول هو دراسات ومؤلفات أئمة الصوفية حتى القرن العاشر الهجرى ، وهى جميعا بأسلوب يصعب على القارىء غير المتخصص أن يتابعه فهما وذوقا ، أما المصدر الثانى فهو ما كتبه عديد من المستشرقين عن التصوف الإسلامى ، وهذه الابحاث تتسم أما بطابع التحسين ضد الإسلام أو بالجهل به وبأصحابه ، أو أنها دراسات وأبحاث صدرت عن غير متذوق لألفاظ ومصطلحات الصوفية ، ومن هنا جاء هنا القصور فى هذه الابحاث ، والغريب أن أغلب الباحثين العرب والمسلمين نقلوا آراء المستشرقين على أنها آراء علمية ، لا تحتمل الكذب ، واشاعوها بين العام والخاص ، حتى أن طلاب الدراسات الفلسفية والتصوفية ، يعرفون من التصوف جوانب ما تلقنوه وما دفع إلى عقولهم دفعا دون فحص أو تمحيص ،

ومثل ذلك أن التصوف دعوة سلبية انعزالية ، وأنه يقوم على الزهد فى الدنيا ، وأنه يدعو إلى التواكل ، وأن أصحابه ينادون بوحدة الوجود ، وأن أغلبهم أما ملحد أو صاحب بدعة أو زنديق .

ومما يؤسف له أن الذى كتب هذه الأفكار أصحاب الاستشراق كما سبق الاشارة ثم تتلمذ عليهم بعض الباحثين العرب ، ولما أتمو دراساتهم بالجامعات الأوربية نقلوا هذه الأفكار دون نقد أو تحليل فجاءت على النحو الذى سبق الاشارة اليه .

ولذلك فإننا سنحاول جهدنا أن نخدم قضية واحدة ، لهدف واحد ، وهو احياء التراث الإسلامى ، ومع تواضع علمنا ، يوجد ايماننا أن هذا الطريق هو الطريق المستقيم ، الذى نرجو به من الله التوفيق والسداد .

المؤلف

ثبت المراجع

المراجع العربية

مراجع أصلية :

إبراهيم الباجورى : تحفة المريد على جوهرة التوحيد

إبراهيم السمرقندى : تنبيه الغافلين

إبراهيم حلمى القادرى : مدارج الحقيقة

ابن القيم الجوزيه : الروح

ابن عربى : الفتوحات المكية سفر ١ ، ٢ ، ٣

ابن عربى : رسائل ابن عربى

ابن عربى : مشكاة الأنوار

ابن عطاء السكندرى : التنوير فى إسقاط التدبير

ابن عطاء السكندرى تاج العروس

ابن عطاء السكندرى الحكم العطائية

أبو بكر الكلاباذى التعرف لمذهب أهل التصوف

أبو بكر بنانى مدارج السلوك إلى مالك الملوك

أبو نعيم الأصفهانى حلية الأولياء ج من ١ إلى ٩

أبو حامد الغزالى إحياء علوم الدين جزء من ١ إلى ١٦

أبو حامد الغزالى الاقتصاد فى الاعتقاد

أبو حامد الغزالى الكشف والتبيين

أبو حامد الغزالى الجام العوام

أبو حامد الغزالى المنقذ من الضلال

أبو حامد الغزالى فضائح الباطنية

أبو حامد الغزالى مكاشفة القلوب

أبو حامد الغزالى المصنون به على غير أهله

أبو حامد الغزالى المصنون الصغير (المسمى بالأجوبة الغزالية)

أبو طالب المكى قوت القلوب جـ ١ ، ٢

أبو النصر السراج الطوسى : اللمع جزىء ١ ، ٢

السلمى طبقات الصوفية

المحب الطبرى	الرياض النضرة فى مناقب العشرة جـ ١ ، ٢
جلال الدين السيوطى	الجامع الصغير
جلال الدين السيوطى	تأييد الحقيقة العلية
جلال الدين السيوطى	جمع الجوامع
جمال الدين أبو المواهب :	قوانين حكم الاشراق
شهاب الدين السهروردى :	هياكل النور تحقيق د. أبو ريان
عبد القادر الجيلانى	الغنية
عبد القادر الجيلانى	الفتح الربانى والفيض الرحمانى
عبد القادر الجيلانى	فتوح الغيب
عبد الرؤوف المناوى	الكواكب الدرية
عبد الكريم الجيلانى	الانسان للكامل
عبد الكريم القشيرى :	الرسالة القشيرية جـ ١ ، ٢
عبد الكريم القشيرى	التحبير فى التذكير
عبد المجيد النقشبندى	الأنوار القدسية تحقيق وتقديم محمد الرخاوى
عبد الوهاب الشعرانى	الطبقات الكبرى جـ ١ ، ٢
عبد الوهاب الشعرانى	اليواقيت والجواهر جـ ١ ، ٢
عبد الوهاب الشعرانى	الكبريت الأحمر
عبد الوهاب الشعرانى	تنبيه المغتربين
عبد الوهاب الشعرانى	الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد
عفيف الدين اليافعى المكى	روض الرياحين فى حكايات الصالحين
:	الصادق (مخطوط)

مراجع فرعية :

الاستاذ أحمد فهمى أبو الخير:	الحياة بعد الموت
الشيخ الشطنوفى	بهجة الأسرار ومعدن الأنوار
الشيخ الشرنوبى	شرح تائية السلوك
سير جيمس فندلاى	على حافة العالم الاثيرى . ترجمة أحمد فهمى أبو الخير
الشيخ صادق عرجون	التصوف فى الاسلام
صلاح عزام	أقطاب التصوف الثلاثة
فتحى رضوان	الإسلام ومشكلات الغد

الشيخ عبد العزيز الدباغ : الأبريز
د. عبد الفتاح بركة الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية جـ ١ ، ٢
الاستاذ عبد الحكيم المغربى : القيم الذاتية فى الاسلام
د. عبد الحليم محمود : أبو الحسن الشاذلى
الشيخ محمد حسنين مخلوف : حكم الاسلام فى التوسل بالأنبياء والأولياء
د. محمد على أبو ريان أصول الفلسفة الإشراقية
د. محمد غلاب هذا هو الإسلام
نيكلسون فى التصوف الإسلامى وتاريخه
تعليق دكتور عفيفى
الشيخ وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى .

المراجع الأجنبية

1) H.A.R. Gilb. Mohammedanism

2) J.L. Goodall An Introdution to the philosophy of Religion.

3) Bertrand Russell. Mystieism and logic.

4) E.C. Hodgkin. The Arabs.

فهرست الموضوعات

﴿ تم بحمد الله ﴾

رقـم الإيـداع ٤٠١٤ / ٩٢ .